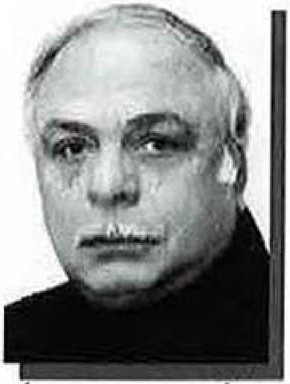
كلمة العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

"يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي" (صدق الله العظيم)

السيد أحمد حجازي في ذمة الله



لقد تلقينا خبر وفاة الأستاذ سيد أحمد حجازي الصحفي والإنسان ببالغ الحزن والأسى على رجل كان نموذجاً يُحتذى به في عمله وفي سلوكه ومسيرة حياته لأهله وذويه وأحبته وأصدقائه، فقد توفي رحمه الله في القاهرة بعد صراع مع المرض لم يمهله طويلا...

كان الأستاذ سيد أحمد حجازي رحمه الله محباً للحياة، هادئاً، متواضعاً، مخلصاً، عظيم الهمة، نظيف القلب و اليد و اللسان...كما كان رحمه الله من الصحفيين المجدّين الذين يعطون ما عندهم بغير حساب، يتركون بصماتهم في أماكن عملهم ويشتغلون كما الشموع في محاربة جيوش الظلام، ظلام الجهل وقلة المعرفة ومن أجل إضاءة الطريق، طريق الخير والعطاء، طريق النور والمعرفة للاجيال القادمة من بعدهم، هؤلاء الصحفيون قليلون وقد كان الراحل واحداً منهم...

إن الأستاذ سيد أحمد حجازي رحمه الله كان يزرع قلبه في عمله فينمو في قلوب القارئين، كان كبيراً في عطائه، دقيقاً في تعامله، متسامحاً، كريماً، عطوفاً، لطيفاً، فأحبه الجميع وبادلهم حباً بحب... كما أنه لم

يتوان يوماً عن القيام بمسؤولياته، ولم يفرّط بصداقة صديق... كان الراحل يؤمن أن الإخلاص في العمل وفي التعامل مع الآخرين سوف يكسبه صداقتهم وهذا ما كان....

لقد أحبه من حوله لأنه كان يستحق المحبة، لطيف المعشر، دمث الأخلاق، لين العريكة، متفان في عمله، مقدراً للمسؤولية، دؤوباً، معطاءاً، محباً للآخرين... ولذلك ليس من قبيل الصدفة أن صورته غادرت عيوننا إلى قلوبنا لتستقر هناك... كما أن رحلته لم تبعد عنا، بل ستبقى ذكراه عطرة في قلوبنا...

كثيرةٍ هي الذكريات ومؤثرة جداً، والموت أيها الراحل الكريم حقٌ علينا جميعا... ستفتقدك المحبة، محبة الآخرين والاخلاص في العمل والتضحية من أجل الخير، ستفتقدك العلاقة الطيبة التي كانت تربطك مع الجميع حيثما عملت ومنذ أن كنت أحد الرواد الأوائل في أسرةٍ تحرير جريدة ((أخبار الخليج)) البحرينية على مدى ١٥ عاماً، ونائبا لرئيس تحرير جريدة ((الأخبار)) القاهرية، ومن ثم مديراً لتحرير مجلة ((الوثيقة)) الفصلية نصف سنوية والتي تصدر عن مركز الوثائق التاريخية بمركز عيسى الثقافي ولمدة واحد وثلاثون عاما، إضافةً إلى إدارة تحرير مجلة ((الهداية)) الإسلامية البحرينية...

جزاك الله خير الجزاء فيما عملت وفيما قدمت ورحمك الله رحمة واسعة وأسكنك فسيح جناته، وهذا قدرنا أن نكون في هذه الحياة الدنيا عابرين مصحوبين بأعمالنا ومآثرنا التي تدل علينا وتحفظ لنا مساحة للذكرى في ذاكرة الأيام والأجيال القادمة ... فلك الرحمة والمغفرة وللجميع الصبر والسلوان.... وإنا لله وإنا إليه راجعون..

عبد الله بن خالد آل خليفة

الحوار الوطني

يرسخ البناء والتنمية في المملكة

بقلم : عبد الله بن خالد آل خليفة

إن مملكة البحرين وعلى مدى تاريخها الحديث انحازت دوماً للحوار صيغةً أخذ بها حكامها الكرام ركيزةً لحكمهم... حيث أن الحوار هو من صميم تراثنا العربي البحريني الأصيل وليس بجديد أو غريب على قيادتنا الرشيدة أو مجتمعنا البحريني العريق... وقد ظهر ذلك جلياً في عهد المغفور له صاحب العظمة الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة طيب الله ثراه ، وسار على نهجه من بعده صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة عاهل البلاد المفدى حفظه الله ورعاه، مؤكداً على التجربة الديمقراطية البحرينية التي سبقت العديد من الدول ، واتخذت من الشورى ركيزةً لها، وأصبحت نبراساً يُقتدى به، فضلاً عن كونها سبباً في التطور الهائل الذي شهدته مملكة البحرين في شتى المجالات وعلى جميع الأصعدة المحلية والإقليمية والدولية...



صاحب الجلالة الملك
حمد بن عيسى آل خليفة
رائد الوحدة الوطنية

إن نهج حضرة صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة عاهل البلاد المفدى، وصاحب السمو الملكي الأمير خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء، وصاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن حمد آل خليفة ولي العهد الامين نائب القائد الأعلى، نحو الدعوة للحوار الوطني بين مختلف مكونات الشعب هو خطوة لوضع نظامنا الديمقراطي على طريق المزيد من الإصلاح وتمتين لُحمة وحدته الوطنية، كما أنه النهج الصحيح والسليم في مسار الدول التي تسعى إلى تعزيز الديمقراطية وتوحيد قواها السياسية والوطنية...

ومما لاشك فيه فإن الدعوة للحوار الوطني هي دعوة قائمة ومستمرة يتعرف من خلالها الحاكم على قضايا شعبه وتطلعاته من خلال الحوار الهادف البناء الذي يحقق الإستقرار والنماء والحفاظ على المكتسبات إضافة إلى إنجاز المزيد منها...

ويبدو جلياً أن المنهج الديمقراطي للقيادة الحكيمة وعلى رأسها صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة عاهل البلاد المفدى حفظه الله ورعاه ودعواته للحوارات الوطنيّة والمقابلات الهادفة البنّاءة مع جميع الفئات الوطنية المخلصة، الفردية والجماعية، لهو مما يؤكد على أهمية دور الإتصال المباشر بين القيادة والمواطنين من أجل السعي والمشاركة في كل ما من شأنه أن يعود على مملكة البحرين وشعبها المخلص بالفائدة والتنمية والبناء والإنجازات في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية...

إن الحوار الوطني هو معادلة اجتماعية وسياسية واقتصادية من أجل فتح باب المكاشفة بكل حرية وشفافية ووضوح ما بين القيادة والمواطنين وإعطاء فرصة للنقاش وتبادل الآراء بكل تعقل وحرية وسلام، مع الشعور بالولاء والمحبة والاخلاص والمصداقية تجاه العمل والانتاجية فيما يخدم مصالح مملكة البحرين ويرفع من شأنها...

ومن ناحيةٍ أخرى، نجد أن الحوار الوطني البحريني هو وسيلة إتصال مباشرة وجهاً لوجه لتحقيق المتطلبات والإحتياجات والأهداف النبيلة السامية بطريقة مباشرة وبنّاءة تعود على البحرين وشعبها بالمنفعة، كما تحقق الأمن والاستقرار والتنمية بعيداً عن إثارة الشغب والكراهية والفتنة فضلاً عن الطائفية التي تخدم مصالح الأطراف الخارجية المغرضة وأذيالها

ممن يسعون إلى إخراج القضايا والإنجازات والتطلعات والطموحات الإصلاحية عن مسارها الصحيح وأهدافها المرسومة...

إن المواطن البحريني المخلص أصبح لديه الوعي الكامل لكي يضع مصالح بلاده في مقدمة أولوياته... فهذه المصالح هي التي تعم بخيرها على الجميع، ولايجوز لأحد أن يستجيب لدعاوى الهدم والتفريق خدمةً للمصالح الأجنبية الخارجية التي تسعى بكل قوتها للهيمنة على البحرين، مستغلةً للعديد من الجوانب، ومُسخرةً للإعلام والتكنولوجيا ووسائل الإتصال الحديثة (مثل التويتر والفيس بوك) وغيرها من الوسائل من أجل إحداث شروخ في الإستقرار، فضلاً عن إشاعة الفوضى والتي تعد الوسيلة المثلى لخلق الأجواء المناسبة لتدخل الأطراف الخارجية الأجنبية وتمرير أجنداتها المشبوهة، وهو ما يرفضه عموم الشعب البحريني والشعوب العربية... حيث لايسمح أبناء الوطن الشرفاء لمن تسوّل له نفسه أن يعصف بأمن البحرين وأمانها، فضلاً عن إستقرارها الذي يعدُّ سبباً أساسياً في كل ما تشهده المملكة من نهضة وتقدم في جميع المجالات وعلى جميع الأصعدة...

وعليه ولجعل الحوار الوطني مثمراً حقاً يجب مناقشة جميع المواضيع بكل حكمة، ودراستها دراسة علمية دقيقة وعميقة وبما يخدم مصالح مملكة البحرين تحت مظلة قيادتها الرشيدة وحكامها الكرام، وبما يحقق مصالح وطموحات وتطلعات شعبها المخلص...

إن أبواب الحوار مفتوحةٌ على مصراعيها دوماً أمام الحوارات الوطنيّة الهادفة التي تنطلق من مصلحة المملكة، ومصلحة شعبها ذو التاريخ التليد والحضارة العريقة، وبما يحقق القيم والتقاليد الإسلامية الراسخة فيه... والتي تنادي بالشورى وتنحاز للأغلبية وترجّح المصالح العليا للمملكة والتي

تتحقق من خلال الحوار الوطني الذي يضع كافة الأمور على الطاولة ويناقشها بكل شفافية ووضوح من أجل تحقيق مصلحة البحرين وشعبها، آخذاً بنظر الإعتبار أن مسيرة البناء والتنمية لا يمكن أن تتحقق إلا بالاستقرار ومشاركة الجميع في بناء بلدهم ...

لقد أثبتت التجربة بأن الحوار هو أسلوب حضاري يجب الإستفادة منه بكل إحترام وتقدير وتجنب كل ما يثير الشكوك أو الإنفعالات النفسية، لأن كلمة وطن كلمة عميقة في معانيها.. والعلاقة بين الوطن والمواطن علاقة إيجابية من الصعب وصفها، حيث إن الشعور بالولاء والانتماء الوطني يسير في دماء كل مواطن بحريني لديه الغيرة والنخوة العربية، فالمواطن المخلص يحب أن يرى وطنه في أمن وإستقرار ورفاهية... ومن المناسب الإشارة في هذا السياق .. وبكل صدق.. بأن هناك شعوراً قوياً تجاه محبة الوطن، حيث أن الشعب البحريني العريق يحب بلاده...ويعشق أرض أجداده ويفتخر بتاريخها، كما يتحلى بكل معاني الإخلاص والإجلال لدينه ووطنه وحكامه، وليعلم العالم كلّه، بأن أبناء الوطن المخلصين لن يتنازلوا عن حقوقهم الوطنية وأمانهم وإستقرارهم الأمني تحت راية قيادتهم الحكيمة مهما كانت الظروف...

إننا نريد أن نبني بحريننا الغالية بالحب والتواصل بين أبناء الشعب تحت قيادة صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة عاهل البلاد المفدى حفظه الله ورعاه... فالقيادة الرشيدة تعرف حقوق الوطن والشعب وتستجيب لمطالبه، كما أنها تسعى دوماً لخلق روح المحبة والتآلف بين جميع فئاته ، فضلاً عن رأب أي صدع يحدث بينهم...وعلى أبناء الشعب المخلصين أن يعوا الأجندات الخارجية وأهدافها التي تسعى إلى ضرب

الإستقرار والتنمية في المملكة ، وأن يدافعوا عن وطنهم ضد أي مؤامرات تُحاك ضدّه، وأن يرفضوا كل الممارسات والأساليب المغرضة والفتن والصراعات التي تهدد كيان بلادهم وتنال من أمنها وإستقرارها...

إن الأمن والإستقرار هما الأساس لبناء مستقبل أفضل لشعب البحرين الكريم، ومن أجل ذلك كان الحوار الوطني هدفاً ينشده الجميع لإزالة أي خلافات، ولتجميع أبناء الوطن في بودقة واحدةٍ من أجل إستمرار مسيرة التنمية والبناء والتقدم...

إن مملكة البحرين ستظل حريصة بشعبها الوفي على عروبتها وإستقلالها وستواجه بكل قوة المؤامرات الخارجية التي تسعى للنيل من إستقرارها ووحدة شعبها... كما إن الحوار الوطني إنجاز كبير، وهذا الانجاز يعتبر فرصة عظيمة وقناة تواصل مباشر يتحقق من خلالها الإصلاح والإرتقاء بالوطن ، كما وينكشف من خلالها مايجول في الخواطر ويتجدد العهد والولاء والإنتماء لخدمة القيادة الحكيمة والوطن العزيز عبر الحوار المفتوح والنقاش الهادف الذي يعود على مملكة البحرين وشعبها بالمنفعة ، لأننا نتطلع الى مستقبل زاهر مبني على المحبة والتآلف والمحافظة على مصالحنا وإستقرارنا وأمننا الوطني في مملكتنا الغالية وحفظ الله مملكتنا من كل شر وسؤ وأدام علينا نعمة الأمن والامان والاستقرار تحت قيادة صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة وحكومته الرشيدة ...

والله ولي التوفيق

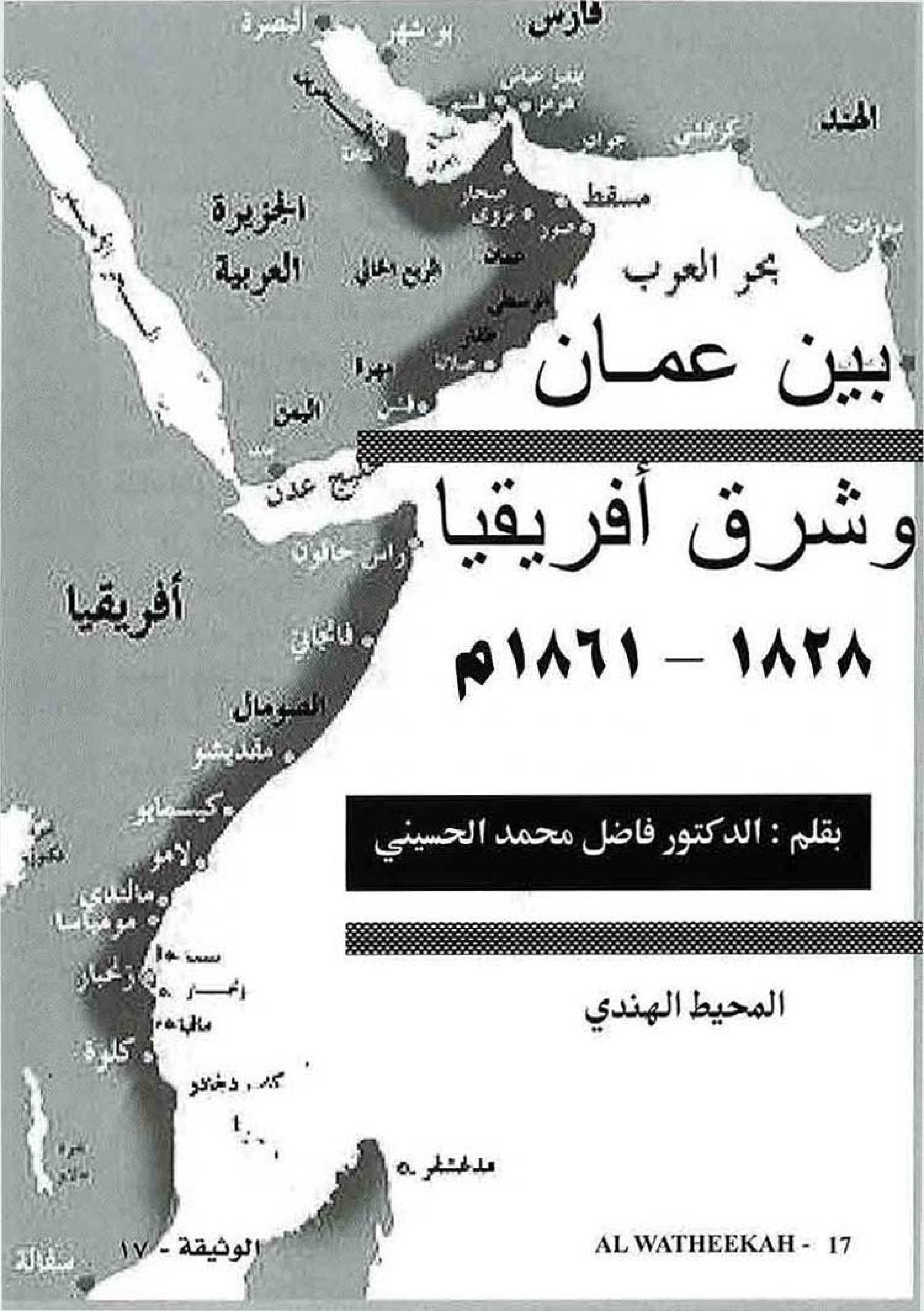
عبد الله بن خالد آل خليفة

الوحدة السياسية



وصل العمانيون إلى شرق أفريقيا قبل ظهور الإسلام لأسباب عدة في مقدمتها الدوافع التجارية والبحرية التي تميز بها العمانيون منذ القدم، إذ اشتهروا ببراعتهم كتجار وملاحين منذ بداية تاريخهم المدون، وقد عملت الرياح الموسمية التي أفرزت رحلتي الشتاء والصيف التجاريتين على تمتين الصلات العمانية الأفريقية، الأمر الذي شكل تأثيراً عربياً واضح المعالم في الجنبات الأفريقية، وقد أكد ذلك غالبية المؤرخين والرحالة ومنهم الإغريق والرومان الذين أطلقوا أسماء عربية على بعض الممالك الساحلية بشرق أفريقيا .

بالنظر إلى القوة البحرية العمانية وموقع عمان الجغرافي الوسيط فإنها كانت تتمتع باحتكار نقل تجارة الشرق والتي كانت تدر أرباحاً طائلة، وقد لعبت عمان قبل ظهور الإسلام دوراً تجارياً مهماً يماثل إلى حد ما دور الفينيقيين في البحر الأبيض المتوسط خلال القرن العاشر قبل الميلاد[١] .



بين عمان وشرق أفريقيا

١٨٢٨ - ١٨٦١م

بقلم : الدكتور فاضل محمد الحسيني

المحيط الهندي

وتشير لنا المصادر التاريخية القديمة بأن علاقة العمانيين التجارية بالساحل الأفريقي تمتد إلى القرن الأول الميلادي[٢] .

كما تؤكد المصادر التاريخية بأن العمانيين هم أقدم من وصلوا إلى ساحل شرق أفريقيا من العرب المسلمين وأنهم أول من اختلطوا بسكانه وتزوجوا من نسائه وأقاموا المراكز التجارية حتى تحدث لنا المؤرخون عن مملكة عربية قديمة هاجرت قبل الإسلام من عمان إلى ساحل أفريقيا الشرقي لتؤسس مملكة هناك أطلق عليها الإغريق والرومان اسم "مملكة عزان" .

وفي العصور الإسلامية أصبحت عمان مركزاً مهماً للملاحة والتجارة البحرية بسبب موقعها الجغرافي المتميز حيث تقع في مواجهة الخليج العربي وبحر العرب ومياهها عميقة وقريبة من الهند ومعظم شواطئها محاط بجبال شاهقة تحميها من الرياح القوية فتساعد على نشوء الموانئ فيها، وبذلك استمر نشاط العمانيين البحري بعد ظهور الإسلام وامتد إلى جهات بعيدة حيث تمت سيطرتهم في الغرب على سواحل شرق أفريقيا ووصولهم إلى شواطئ جزيرة قنبلو(مدغشقر حالياً) وسفالة (موزنبيق حالياً)[٣] .

كما أخبرنا المؤرخ (المسعودي) بأن أصحاب السفن الذين كانوا يبحرون إلى أفريقيا الشرقية خلال القرن العاشر للميلاد هم عرب عمان وكانت سفنهم تسير بمحاذاة عدن ثم تتجه للساحل الأفريقي[٤]، وهي محملة بمختلف البضائع كالتمور والأسماك والبن والسجاد وغيرها .

وقد اتسمت الصلات العمانية بشرق أفريقيا بسمات ثلاث هي :

السمة الأولى : وهي بداية الصلات والتي كانت صلات تجارية بحتة أدت إلى استقرار بعض العمانيين في أفريقيا من أجل التجارة فيها والبعض

الآخر كان يتاجر ثم يرحل وفقاً لمواسم التجارة المتصلة بمواسم الرياح، وقد تركت هذه المرحلة تأثيراتها الحضارية والسلالية في أفريقيا وخاصة في منطقتي تنزانيا وكينيا .

أما السمة الثانية : والتي أطلق عليها المؤرخون سمة التبعية الإسمية والتي بدأت منذ عام ١٦٢٤م حتى سقوط حكم اليعاربة في عمان عام ١٧٤٤م واستمرت بعد مجيء البوسعيد للحكم وحتى عام ١٨٢٨م العام الذي وصل فيه السلطان سعيد بن سلطان إلى زنجبار، وقد أصبح لعمان خلال هذه الفترة التاريخية سيادة اسمية على أغلب مناطق شرق أفريقيا .

أما السمة الثالثة : لصلة العمانيين بشرق أفريقيا فهي سمة الوحدة السياسية التي تمت بين عمان وشرق أفريقيا (وهو موضوع بحثنا هذا) إذ تم ضم شرق أفريقيا إلى عمان مكونة بذلك ما أسماه بعض المؤرخين بالإمبراطورية العمانية المتشكلة من شطرين، أحدهما آسيوي والآخر أفريقي وهي تبدأ من عام ١٨٢٨م وحتى التقسيم الذي وضعته بريطانيا بين الشطرين عام ١٨٦١م .

سنتناول هذا البحث من خلال المحاور التالية :

أولاً : صلات العمانيين بشرق أفريقيا منذ تولي البوسعيد الحكم في عمان وحتى عام ١٨٢٨م .

ثانياً : صلات العمانيين بشرق أفريقيا منذ عـام ١٨٢٨ وحتى عام ١٨٦١م .

ثالثاً : التقسيم البريطاني للإمبراطورية العمانية وأثره على صلات العمانيين بشرق أفريقيا .

أولاً : صلات العمانيين بشرق أفريقيا منذ تولي البوسعيد الحكم في عمان وحتى عام ١٨٢٨م

سنتحدث في هذا المحور عن الصلات العمانية بشرق أفريقيا منذ تولي سلالة البوسعيد الحكم في عمان ١٧٤٩م حتى الإعلان عن انضمام شرق أفريقيا إلى دولة عمان عام ١٨٢٨م وهي المرحلة التي أطلق عليها في مقدمة هذا البحث بالتبعية الاسمية لشرق أفريقيا مع عمان أو بالسيادة الاسمية لعمان على شرق أفريقيا وهو محور تمهيدي يتناول بشكل سريع الصلات التي كانت تربط عمان بشرق أفريقيا خلال عهد البوسعيد ابتداءً من مؤسس السلالة أحمد بن سعيد ١٧٤٩م وحتى تسلم السلطان سعيد الحكم في عمان ١٨٠٤م . هذا من جانب، ومن جانب آخر سنتناول تعميق هذه الصلات وديمومتها منذ مطلع حكم السلطان سعيد وحتى إعلانه الانضمام الفعلي لشرق أفريقيا عمان ١٨٢٨م .

الواقع، أن الأوضاع في شرق أفريقيا قبل تولي أحمد بن سعيد الحكم في عمان عام ١٧٤٩م كانت تسودها الفوضى والاضطرابات وذلك لضعف السيادة العمانية عليها بسبب الصراعات الداخلية التي مرت بعمان خلال السنوات الأخيرة من حكم اليعاربة والتي نجم عنها سقوط شرق أفريقيا بأيدي البرتغاليين ثانية(٥) .

وعلى الرغم من الأوضاع الشاذة التي كانت عليها عمان، إلا أن الإمام سيف بن سلطان الثاني قد بعث بقوة عسكرية لتحرير شرق أفريقيا من الاحتلال البرتغالي، كما قام بإجراء تغييرات سريعة لبعض الولاة هناك إذ عين محمد بن عثمان المزروعي والياً على ممباسا وتوابعها عام ١٧٣٩م(٦) . لقد انتهز هؤلاء الولاة الجدد حالة الصراعات الداخلية في عمان فعملوا على تثبيت

حكمهم في مقاطعات شرق أفريقيا وتقربوا إلى شيوخ القبائل هناك تمهيدا لانفصالهم التام عن عمان والاستقلال بمقاطعتهم فما إن تسلم أحمد بن سعيد الحكم ي عمان ١٧٤٩م حتى تزعمت ممباسا الحركات الانفصالية في شرق أفريقيا حال سماع واليها (محمد بن عثمان المزروعي) خبر انتقال السلطة في عمان من اليعاربة إلى البوسعيد، إذ رفض دفع المبالغ المخصصة من واردات مقاطعته إلى الحكم الجديد في عمان والتي كان يؤديها في السابق إلى دولة اليعاربة . ويذكر (وندل فيليبس) في هذا الصدد أن محمد المزروعي حاكم المباسا قد رد على التغير في الأسرة الحاكمة لعمان من اليعاربة إلى البوسعيد بإعلان الاستقلال والتخلي عن ولائه لعمان(٧) .

ويرى (باثرست) بأن تمرد المزروعي على سلطة أحمد بن سعيد هو أن المزاريع من الغافرية بيد أن أحمد بن سعيد من الهناوية(٨) .

غير أن أحمد بن سعيد لم يسكت على تصرف المزروعي فأمر بإرسال قوة مقاتلة تحت قيادة سيف بن خلف تمكنت من القضاء على التمرد بعد أن تم قتل المزروعي وإيداع أخيه (علي) السجن لكن هذه المحاولة لم تسترجع ولاء ممباسا الإفريقية إلى عمان تماماً حيث تم بعد سنة واحدة هروب علي المزروعي من السجن والاستيلاء على الحكم في ممباسا ثانية فعاد الحكم في ممباسا الأفريقية إلى عائلة المزروعي عام ١٧٥٤م مؤكدة استقلالها وعدم ولائها لعمان(٩)، كما اندلعت حركة انفصالية أخرى في جزيرة (باتا) في شرق أفريقيا وقد تزعمها النبهانيون وهي الأخرى نجحت في قطع ولائها للحاكم في عمان(١٠) .

وهكذا، نجد أن روح الانفصال وعدم الولاء لعمان قد سرت بين مقاطعات شرق أفريقيا مطلع حكم أحمد بن سعيد وكانت تدين بالولاء والتبعية الاسمية

لعمان خلال حكم اليعاربة بسبب دور اليعاربة الكبير في تخليصهم من براثن الوجود البرتغالي .

إلا أن هناك بعض المناطق في شرق أفريقيا مثل زنجبار ظلت على ولائها لعمان حتى في عهد أحمد بن سعيد(١١) .

وعلى أية حال، فإن الحركات الانفصالية في شرق أفريقيا لم تؤثر كثيراً على دولة عمان إذا استمرت القوافل التجارية ذهاباً وإياباً في رحلاتها المعتادة، لذلك لم يولها أحمد بن سعيد الاهتمام الفائق وكان الذي يهمه بالدرجة الأولى من شرق أفريقيا(١٢) هو أن تظل علاقاته الاقتصادية معها متينة، وقد ظل الأمر كذلك حتى مجيء السلطان سعيد إلى الحكم في عمان والذي تمكن من أن يحقق نجاحاً باهراً في تثبيت السلطة العمانية في شرق أفريقيا إذ استطاع أن يؤسس دولة عربية أفريقية تحت قيادته عُدَّت الأولى من نوعها في التاريخ الحديث(١٣)، كما سنرى في هذا البحث .

ومن الجدير بالذكر أن صلات عمان بشرق أفريقيا بعد وفاة أحمد بن سعيد بقيت تسير وفق وتيرتها المعتادة والتي كانت عليها خلال عهده غير أن ازدواجية الحكم في عمان التي أعقبت وفاة أحمد بن سعيد حيث أخذ الإمام سعيد بن أحمد يحكم عمان من الداخل بينما أخذ ابنه (حمد بن سعيد) يقود الحكم في عمان من الساحل، وبالتحديد من مدينة مسقط والذي اتخذ منها عاصمة له . إن هذا الأمر قد حصل لأول مرة في تاريخ عمان بعد أن كانت عواصم عمان، في السابق، جميعها في الداخل والتي كانت آخرها (الرستاق) أيام أحمد بن سعيد وهي ذاتها التي بقي فيها الإمام سعيد بن أحمد تاركاً لولده (حمد) الحكم في مسقط كما أسلفنا .

هذا الوضع الجديد والاستثنائي في تاريخ عمان قد شغل العمانيين بعمان أكثر من شغلهم بالمناطق التي تتبع لهم اسميا في شرق أفريقيا .

لقد توفي (حمد) عام ١٧٩٢م فأعقبه في حكم عمان عمه سلطان بن أحمد الذي استمر في حكم عمان حتى ١٨٠٤م حيث أعقبه ولده (سعيد) في تولي الحكم في عمان والذي شهد عهده تحولات إيجابية كبرى لعمان إذ كانت شخصيته تقف وراءها، فكان يتمتع بمؤهلات قيادية وقدرات كبيرة في إدارة الأزمات والعمل على تطوير عمان في كافة المجالات، أما جهده الاستثنائي الخلاق الذي بذله فهو في خلقه إمبراطورية عمانية تمتد على أراض مشتركة بين قارتي آسيا وأفريقيا، وهذا يقع في صلب بحثنا، لذا سنتناوله بشيء من التفصيل والاهتمام.

منذ أن تولى السلطان سعيد الحكم في عمان وعينه ترنو نحو شرق أفريقيا التي كانت تتمتع وعمان بعلاقات اسمية فقط كما نعت ذلك بعض المؤرخين، ولكن طموح السلطان سعيد كان أكثر من ذلك وأكبر وهو إلحاق مقاطعات شرق أفريقيا بالدولة العمانية الأم وتحت قيادته، وهذا ما حدث بالفعل عندما وصل السلطان سعيد إلى زنجبار عام ١٨٢٨م ترافقه قوة مؤلفة من ٦٤ سفينة مدفعية مع ثلاث فرقاطات ومركبان من ذوات الصاريين مع ١٤ مدفعاً وحوالي مائة سفينة نقل شراعية مسلحة فضلاً عن ستة آلاف جندي[١٤]، لكي يضمها إلى دولة عمان، ولم يقتصر السلطان سعيد على ضم زنجبار إلى دولته، بل ألحق العديد من المناطق في شرق أفريقيا أمثال ممباسا وكلوة وباتا وغيرها إلى الدولة العمانية.

ثانيا : الصلات العمانية بشرق أفريقيا منذ عام ١٨٢٨ وحتى ١٨٦١م

كان الاهتمام الأول للسلطان سعيد منذ أول وصوله إلى شرق أفريقيا هو العمل على الازدهار التجاري لشرق أفريقيا لاسيما وهو الذي كان يردد دائماً

"لست إلا تاجراً"[١٥] لذلك أقدم منذ الأيام الأولى لوصوله إلى زنجبار على زراعة القرنفل وتشجيع زراعته بمختلف الوسائل والسبل، وبالرغم من المحاولات السابقة الفاشلة لزراعة هذا المحصول في زنجبار إلا أن إصرار السلطان سعيد على إنجاح زراعته تكللت في الآخر بالنجاح الباهر، إذ أصبحت زنجبار وحدها تمد العالم كله بهذا المحصول، وبذلك اعتُبر العمانيون أنهم أول من أسس لزراعة القرنفل في شرق أفريقيا والذي أدى إلى رخائها فيما بعد[١٦].

لم يقتصر العمانيون في عهد السلطان سعيد على الازدهار التجاري لشرق أفريقيا فحسب بل عملوا على جعل زنجبار الجزيرة الهادئة الخضراء مقراً لإقامتهم الرسمية الدائمة مبتعدين بذلك عن عمان ذات الصخور المتوهجة والرمال الملتهبة، وعلى ضوء ذلك، اتخذ السلطان سعيد من زنجبار عاصمة ثانية لملكته عمان وبالتالي أصبح اعتبار عمان منذ عام ١٨٢٨م إمبراطورية تمتد أراضيها على قارتي آسيا وأفريقيا بعد أن ضمت لها مناطق عدة من شرق أفريقيا وأصبحت عمان تمتلك عاصمتين إحداهما في أفريقيا وهي (زنجبار) والثانية في آسيا وهي (مسقط) وقد أخذ الأسطول العماني يتنقل بين العاصمتين بالرغم من طول المسافة بينهما والتي تقدر بحوالي (٢٥٠٠) ألفين وخمسمائة ميل تقريباً[١٧].

يعتقد البعض أن الوحدة السياسية بين عمان وشرق أفريقيا قد تمت في عام ١٨٣٢م[١٨]، حيث الإعلان الرسمي عن قرار السلطان سعيد بالإقامة في زنجبار بوصفها العاصمة الثانية لدولته، لكننا في هذا البحث قد اعتمدنا عام ١٨٢٨م هو العام الذي تمت فيه الوحدة السياسية بين عمان وشرق أفريقيا لاعتبارات عدة منها الانتقال الفعلي للسلطان سعيد ولأول مرة إلى زنجبار مصحوباً بقواته العسكرية المتعددة الأغراض وبصفته الحاكم الفعلي لهذه الممتلكات الأفريقية وانتفاء الحكام السابقين لهذه المناطق من خارج أسرة البوسعيد، وقد قرر

السلطان سعيد منذ اليوم الأول لوصوله إلى شرق أفريقيا أن ينوب عنه بالحكم ولده (ماجد) عندما يسافر إلى الشطر الثاني من دولته في آسيا(مسقط) وكذلك ينوب ولده الآخر (ثويني) عنه في حكم مسقط عندما يعود إلى شرق أفريقيا وبالتالي يتضح جلياً بأن الحكم الفعلي لشرق أفريقيا من قبل السلطان سعيد قد بدأ فعلاً من أول وصول له إلى زنجبار عام ١٨٢٨م لكن اعتقد البعض بأن الوحدة السياسية بين عمان وشرق أفريقيا قد بدأت عام ١٨٣٢م مستندين في ذلك إلى إقامة السلطان سعيد الدائمة في شرق أفريقيا بعد هذا التاريخ حيث لم يغادر زنجبار إلا لماماً وقد قضى فيها البقية الباقية من حياته حتى دفن فيها .

ولو أردنا تحري الأسباب التي دفعت السلطان سعيد لاتخاذ زنجبار عاصمة ثانية لدولته عمان وأن يمكث فيها طويلاً لوجدنا هناك أسباباً ترقى إلى مستوى مثل هذا القرار الخطير لاسيما أن المسافة بين العاصمتين ليست بالقصيرة، فضلاً عن تحكم الرياح الموسمية فيها، وعلى رأس هذه الأسباب غنى مناطق شرق أفريقيا بالمحاصيل الزراعية وخاصة محصول القرنفل التجاري وعليه فمن الصعوبة بمكان أن تسيطر حكومة عمان سيطرة فعلية على ممتلكاتها البعيدة في شرق أفريقيا، لذا كان هدف السلطان سعيد من إقامته في زنجبار واتخاذها عاصمة ثانية لدولته هو من أجل تدعيم نفوذه في الممتلكات الأفريقية لاسيما أننا قد وجدنا غالبية مناطق شرق أفريقيا قبل قدوم السلطان سعيد إليها كان الأمن غير مستتب فيها وأنها لم تخضع بشكل تام لدولة عمان وإنما بقيت مناطق مثل (ممباسا) عصية الانقياد حتى اضطر السلطان سعيد إلى شن حملة عسكرية ضد حاكمها المتمرد (راشد بن سالم) وهو من أسرة المزاريع التي كانت تحكم الساحل الأفريقي(١٩)، وعلى ضوء ذلك ندرك بأن السلطان سعيد كانت لديه أسبابه المهمة والتي جعلته ينقل بلاطه من عمان في آسيا إلى زنجبار في شرق أفريقيا لذا نعد عام ١٨٢٨م الذي قدم فيه السلطان سعيد شخصياً إلى شرق أفريقيا ليحكم بنفسه هذه المناطق هو عام الوحدة السياسية

بين عمان وشرق أفريقيا[٢٠] لأن الأخيرة قبل عام ١٨٢٨م كان ارتباطها بعمان شكلياً أو كما عبر عنه (رودولف) نوعاً من السيادة ذات الطبيعة الغامضة[٢١] أو مثلما أطلق عليها غالبية المؤرخين بالسيادة الاسمية .

ومن جانب آخر، شجع على انتقال السلطان سعيد إلى زنجبار العديد من الشخصيات العربية من العمانيين الانتقال والمكوث في شرق أفريقيا كما فتح انتقال السلطان سعيد إلى زنجبار الباب واسعا للتجار العمانيين بالاتجار مع شرق أفريقيا وقد ازدهرت التجارة العمانية مع شرق أفريقيا ازدهاراً كبيرا، وبالتالي عاد هذا الأمر على ميزانية الدولة العمانية بمضاعفة إيراداتها بنسبة عشرة أضعاف وهناك عدة تقديرات لميزانية عمان إبان الوحدة السياسية مع شرق أفريقيا تدل على مضاعفة الأرباح وضخامة الإيرادات فكيرزون (Curzon) الحاكم العام البريطاني في الخليج قدر الإيراد السنوي العام بعد انتقال السلطان إلى زنجبار بـ (٨٠) ألف باوند فيما قدره البعض بأكثر من ذلك حيث وصل إلى ربع المليون دولار سنوياً[٢٢] ولا ننسى أن العمود الفقري للاقتصاد العماني بعد انضمام شرق أفريقيا إلى عمان كان من محصول القرنفل الذي عاد بالأرباح الطائلة للدولة العمانية ولشرق أفريقيا حتى بعد الانفصال بين الشطرين وبذلك ظل أبناء شرق أفريقيا يعتبرون شجرة القرنفل حتى يومنا هذا تمثل نصباً تذكارياً يخلد ذكرى السلطان سعيد في شرق أفريقيا[٢٣] .

لا ننسى أن السلطان سعيد اتخذ جميع الإجراءات الحكيمة من أجل المحافظة على الوجود العماني في شرق أفريقيا واستثمار خيراتها للدولة العمانية ومن هذه الإجراءات توثيق الصلة مع الدول المجاورة لزنجبار والممتلكات الأخرى في شرق أفريقيا لاسيما التي تقع على الساحل الأفريقي بهدف المحافظة على سير القوافل التجارية في هذه المناطق بأمان ويسر، كما

بعث الهدايا النفيسة إلى حكام تلك المناطق ولم يألُ جهداً أو يعدم وسيلة لكسب ود أولئك الحكام كما لم يعدم سبيلاً دون أن يطرقه لمواجهة الذين يصرون على عرقلة قوافله التجارية(٢٤) .

ومن المفيد الإشارة أيضاً إلى أن السلطان سعيد عندما قرر ضم شرق أفريقيا إلى دولته واتخذ من زنجبار عاصمة ثانية ومقراً لحكومته قد رفض ما طلبته الولايات المتحدة الأمريكية منه بحصولها على مستعمرات في الساحل الشرقي لأفريقيا من خلال المعاهدة الأمريكية العمانية المبرمة عام ١٨٢٣م بين عمان وأمريكا كما أفادت الوثائق التاريخية بأن السلطان سعيد قد أقر بنوداً مع بريطانيا تتضمن تحريم مزاولة تجارة الرقيق في شرق أفريقيا من قِبَل الإنجليز، جاء ذلك ضمن الاتفاقية التي عقدت بين بريطانيا وعمان ١٨٣٩م(٢٥) .

هذا من جانب، ومن جانب آخر فقد نظم السلطان سعيد علاقاته الدبلوماسية بدقة متناهية سواء مع الدول المجاورة كما أسلفنا ، أو الدول الكبرى من خلال عقد المعاهدات التي نصت على فتح القنصليات لها في شرق أفريقيا كالولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا وغيرها فضلاً عن الدول العربية والآسيوية، وبذلك ارتقى السلطان سعيد بدولته عمان بشطريها الأفريقي والآسيوي إلى مصاف الدول الراقية ذات الثقل السياسي والدبلوماسي في المجتمع الدولي من حيث الاقتصاد المتين والعلاقات الدولية المتميزة وعلى ضوء ذلك يذكر لنا (Copland) بأن السلطان سعيد جعل عمان في مصاف الدول العظمى سواء في قوتها أو ثرائها فهو الذي استرد ووسع ووحد السيطرة العربية على شرق أفريقيا وقد أعادها إلى الاتصال الوثيق بالعالم الخارجي بعد أن كانت مجهولة(٢٦) .

ثالثاً : التقسيم البريطاني للإمبراطورية العمانية وأثره على العلاقات العمانية الأفريقية

استمرت الإمبراطورية العمانية بالتألق الحضاري والازدهار التجاري طيلة السنوات التي كان السلطان يقود فيها دفتها ببراعة ويسر، ولكن ما إن توفى السلطان سعيد في التاسع عشر من شهر تشرين الأول عام ١٨٥٦م(٢٧) أثناء عودته من مسقط في طريقه إلى زنجبار حيث دفن فيها بحديقة قصره، حتى بدأ الضعف يدب في الدولة العمانية، كما أن الصلات العمانية الأفريقية والتي كانت متماسكة ومتينة في عهده، أخذ الانحلال والاضمحلال يدب في مفاصل هذه الصلات، ولهذا الأمر عدة أسباب يمكننا التطرق إليها بإيجاز في هذا المحور من البحث . . .

عندما قدم السلطان سعيد إلى شرق أفريقيا كانت هناك دوافع عدة قد دفعته إلى ذلك في مقدمتها الدافع الاقتصادي، وعلى ضوء ذلك تطورت التجارة في عهده فأخذت قوافله التجارية تجوب أجزاء واسعة داخل القارة الأفريقية حتى وصلت إلى الكونغو، ولم يعتمد السلطان سعيد على مورد التجارة فحسب، بل عزز اقتصاد دولته بموردين آخرين هما الضرائب الجمركية إذ فرض ضريبة على الواردات التي ترد إلى دولته مقدارها (٥٪) وقد ارتاح التجار الأوروبيون إلى ذلك كثيراً إذ أن هذا النظام قد جنبهم تحكم أي حاكم على الساحل يفرض على التجارة الأجنبية ضرائب باهظة، كما أعفى السلطان سعيد صادرات دولته من الضرائب الجمركية، أما المورد الآخر فهو احتكار السلطان سعيد لبعض السلع وحرمان الآخرين من الاتجار بها مثل الاتجار بالعاج والصمغ، حيث كانت هاتان السلعتان تصدران من الدولة العمانية فقط الأمر الذي عاد على الخزينة العمانية بالنفع الكثير(٢٨) .

لقد عزز التقدم الاقتصادي، لاسيما التجاري منه العلاقات بين العرب العمانيين والأفارقة، وبالتالي فقد تبلورت العلاقات العربية الأفريقية إلى ما هو أقوى من مجرد العلاقات أي إلى طور الارتباط العربي الأفريقي، الارتباط بين مسقط وزنجبار في دولة واحدة قوية امتد نفوذها إلى جميع أنحاء شرق أفريقيا وتحت قيادة حاكم واحد اتخذ من زنجبار مقراً لقيادة إمبراطوريته، غير أن القوى الاستعمارية لم تكن لتترك هذا النمو والازدهار للارتباط العربي الأفريقي أن يأخذ مساره بالتصاعد، لذلك بدأت الدوائر الأوروبية وخاصة بريطانيا وفرنسا تعد العدة بعد وفاة السلطان سعيد من أجل اقتناص أية فرصة لتقسيم الإمبراطورية بغية إضعافها وتلاشيها فيما بعد . ومن الأسباب الأخرى التي أدت إلى إضعاف الإمبراطورية العمانية بعد وفاة السلطان سعيد، هو أنه قد عيّن – خلال حياته – نائبين له من أولاده يتوليان الإشراف على الدولة العمانية أثناء غيابه، إذ عيّن ولده (ثويني) بأن يقوم بحكم مسقط أثناء غيابه عنها وكذلك يقوم (ماجد) بحكم زنجبار خلال غيابه عنها أيضاً[٢٩] .

واستمر هذا الأمر حتى وفاة السلطان سعيد، وقد ساهمت بريطانيا كثيراً في تكريسه وقد ساعدها أيضاً في تحقيق ما كانت تصبو إليه من تقسيم الإمبراطورية العمانية، فقد عملت بشكل دءوب بعد وفاة السلطان سعيد على تحريض الأخوين أحدهما ضد الآخر إذ شجعت (ماجد) على التقدم نحو بسط سيطرته على مسقط لتكون الدولة العمانية بأكملها تحت سلطته كما كانت لأبيه، وفي نفس الوقت، بذلت جهداً كبيراً في تحريض (ثويني) كي يتوجه بحملة نحو زنجبار ليضمها لحكمه دون أخيه، هكذا نجد أن بريطانيا قد استغلت ما فعله السلطان سعيد من تعيين نائبين له من أولاده في حياته، واستغلته بريطانيا بعد وفاة السلطان سعيد بشكل مكثف ومتواصل حتى تم لها ما أرادته من تفتيت الإمبراطورية العمانية .

ومن الأسباب الأخرى التي تقف وراء التقسيم للدولة العمانية هو عدم تعيين السلطان سعيد أثناء حياته لمن يخلفه في حكم الإمبراطورية العمانية وإنما ترك الباب مفتوحاً للاجتهاد والصراع بين أبنائه، فضلاً عن أن هناك سبباً آخر ساعد على الصراع بين الأبناء للسلطان سعيد وهو أن الممتلكات الأفريقية لعمان كانت تتسم بالغنى والثراء بيد أن المناطق الآسيوية لعمان بخلاف ذلك .

حري بنا ونحن في ظل هذا التحليل للأحداث التاريخية التي أدت إلى تقسيم الدولة العمانية بعد وفاة السلطان سعيد، أن نذكر بأن بعض المصادر تخطئ عندما تعتقد بأن حاكم مسقط (ثويني) هو وحده فقط الذي كان يتطلع إلى ضم زنجبار إلى دولته على اعتبار أن دخلها السنوي كان أكثر بكثير من دخل مسقط، بيد أن الواقع أن حاكم زنجبار (ماجد) كان يتطلع أيضاً إلى ضم مسقط لحكمه على اعتبار أن حاكمها هو الحاكم الفعلي لجميع أركان الدولة العمانية بشطريها الآسيوي والأفريقي .

وفي ختام تحليلنا للأحداث التي جرت بعد وفاة السلطان سعيد، نقول للأسف الشديد فإن الأخوين (ماجد وثويني) لم يتوصلا إلى اتفاق بينهما وعجزا عن التراضي بغية ديمومة الإمبراطورية العمانية واستمرارهما أو ليقطعا الطريق تماماً أمام المحاولات الأوروبية التي كانت تهدف إلى تقسيم الإمبراطورية العمانية وتفتيتها من أجل إنهاء وجودها تماماً . . .

إن عدم اتفاق الأخوين أعطى الفرصة سانحة لتدخل الغير من الدول الأوروبية وفي مقدمتها بريطانيا التي أبدت نشاطاً ملحوظاً من أجل تأزم العلاقة بين الأخوين وبالتالي تدخلت بينهما على أساس حسن النية في رأب الصدع بين حاكمي مسقط وزنجبار فأنجزت قرار التحكيم الذي أنجب قرار التقسيم سيئ الصيت والذي أدى إلى تقسيم الإمبراطورية العمانية إلى جزئين منفصلين ولم يعودا بعدها أبداً للالتئام مثلما كانا في عهد السلطان سعيد وقد تعرض كل

شطر منهما لأحداث تاريخية وسياسية تختلف تماماً عما تعرض له الشطر الآخر[٣٠] .

لقد بذلت كل من بريطانيا وفرنسا جهوداً استثنائية كما عززتا من قواتهما العسكرية وأساطيلهما الحربية على السواحل العمانية والأفريقية ولم يدخرا جهداً عسكرياً أو دبلوماسياً من أجل تحقيق التقسيم للإمبراطورية العمانية إلى شطرين، فقد ادعيا أن السلطان سعيد قد أعد – أثناء حياته – مستندات أصولية لتقسيم الإمبراطورية وتوزيعها بين أبنائه[٣١] .

إن جانب هذا الادعاء من أجل التقسيم والتفتيت للإمبراطورية العمانية من خلال توزيع أجزائها بين أبناء السلطان سعيد فقد استمرت بريطانيا من جانب آخر، بتحريض الأخوين (ماجد وثويني) من أجل استمرار تأجيج الصراع بينهما، وبالفعل فقد نجحت أخيراً في دفع (ثويني) إلى إعداد حملة عسكرية عام ١٨٥٩م بهدف إرسالها إلى زنجبار[٣٢] .

كما نشطت بريطانيا في إثارة مخاوف أبناء السلطان سعيد من المحاولات الفرنسية التي أدت إلى مساندة أحدهما ضد الآخر، بيد أنه في الواقع لم تكن فرنسا تمتلك ذلك النشاط المحموم الذي كانت تملكه بريطانيا .

وعلى كل حال، فقد بادرت بريطانيا إلى إرسال بعثة يرأسها الكولونيل كوجلان (Coghlan) المقيم السياسي البريطاني في عدن إلى كل من مسقط وزنجبار عام ١٨٦٠م تهدف إلى التحقيق في أسباب النزاع القائم بين الأخوين (ماجد وثويني)[٣٣] .

وبالفعل، زارت البعثة البريطانية كلاً من زنجبار ومسقط وأقرت بأن أهالي زنجبار قد انتخبوا (ماجد) – بعد وفاة أبيه – حاكماً عليهم وعلى ضوء ذلك، فليس هناك ما يبرر مطالبة (ثويني) بالسيطرة على ممتلكات أخيه وينبغي أن يبقى كل منهما حاكماً على منطقته[٣٤] .

بعد ذلك، قدمت البعثة البريطانية تقريرها إلى اللورد كاننج (Canning) الحاكم العام للهند والذي اعتمد عليه في وضع التحكيم المشهور عام ١٨٦١م حيث تم طبقاً لهذا التحكيم إقرار السيد (ماجد) في منصبه كحاكم على زنجبار والممتلكات الأفريقية الأخرى، كما نص التحكيم على أن يدفع حاكم زنجبار مبلغ أربعين ألف ريال سنوياً إلى حاكم مسقط السيد (ثويني).

ومن أجل قطع الصلة بين الجانبين (وهذا ما كانت تسعى إليه بريطانيا) فقد أقر التحكيم كذلك بأنه لا ينبغي لحاكم مسقط أو القبائل العمانية التدخل في شئون زنجبار كما أوضح كاننج بأن قرار التحكيم الذي أقر المبلغ الذي سيدفعه حاكم زنجبار إلى حاكم مسقط بأنه لا يعني أبداً تبعية زنجبار لمسقط.

ومن الغريب في الأمر أن (ثويني) قد بعث بكتاب شكر إلى اللورد كاننج على جهوده الطيبة في التحكيم وحل النزاع بينه وبين أخيه وقد أقر بموافقته على بنود قرار التحكيم.

وهكذا، وعلى ضوء هذا التحكيم أصبح التقسيم بين شطري الإمبراطورية العمانية أمراً واقعاً، وقد قطعت جميع أواصر الصلات الأفريقية العمانية بعد تطبيق هذا القرار ولم يبق بين الشطرين سوى الصلة المالية وهي أن تدفع زنجبار إعانة مالية لمسقط لا غير.

إن الذي زاد الطين بلّة وساهم في تعزيز الهدف البريطاني القاضي بتقسيم الإمبراطورية العمانية، هو تصرفات وسياسة (ماجد) التي أعقبت تنفيذ قرار التقسيم حيث اتبع سياسة من شأنها إضعاف الصلات الأفريقية العمانية، إذ منع سفن مسقط من الملاحة في مياه زنجبار، كما أمر مشايخ الخليج العربي بعدم إرسال سفنهم إلى زنجبار وحرّم على سكان زنجبار تأجير مساكنهم

للتجار العرب القادمين من الخليج العربي، حتى الهدايا أمر بألا تتبادل بين الحكام وقبائل عمان والتي كان معمولاً بها سابقاً .

والحقيقة أن هذه السياسة يبدو أنها كانت تملى عليه من قبل الجانب البريطاني لكي تقطع بريطانيا الأمل في عودة الصلات العمانية الأفريقية إلى سابق عهدها أيام السلطان سعيد سواء منها الرسمية أو الشعبية .

ومن المفيد الإشارة في نهاية المحور إلى أن بريطانيا وفرنسا بعد مرور عامين على تحكيم اللورد كاننج قد أبرمتا اتفاقاً بينهما أعلنتا فيه التزامهما باحترام استقلال سلطنتي عمان وزنجبار[٣٥] .

الواقع أن اتفاقهما هذا بحد ذاته يكشف لنا بوضوح أنهما كانتا معاً وراء قرار التقسيم للإمبراطورية العمانية وأنهما كانتا وراء الاضطرابات أيضاً التي اندلعت بين الأخوين في كل من مسقط وزنجبار .

وفي الختام، فإن بريطانيا بقيت تترقب الأوضاع في زنجبار بعد قرار التقسيم وكانت تطمح في أكثر من ذلك إلى فرض الحماية على زنجبار أسوة ببعض المناطق في آسيا وأفريقيا وقد واتتها الفرصة لذلك خلال عهد خليفة بن سعيد وقد استمر الحكم العربي في زنجبار تحت الحماية البريطانية حتى عام ١٩٦٣م عندما تمكن عبد الله بن خليفة بن حارب بن ثويني من إعلان زنجبار دولة مستقلة، لكن لم يدم هذا الأمر طويلاً فلم تمض أكثر من خمسة أسابيع حتى أطيح بحكمه العربي في أوائل عام ١٩٦٤م، وبمساندة بريطانية وتحريض منها تولى مجموعة من رجال القبائل في زنجبار السلطة فيها تحت النفوذ البريطاني، وبذلك أسدل الستار نهائياً على آخر حكم للعرب العمانيين في شرق أفريقيا[٣٦] .

الخاتمة

توصلنا من خلال البحث إلى الاستنتاجات التالية :

١ – ارتبط العمانيون مع أهالي شرق أفريقيا بصلات ووشائج عريقة، زادها متانة وقوة نجدة اليعاربة لمناطق شرق أفريقيا من الغزو البرتغالي ومنذ ذلك التاريخ حكم العمانيون شرق أفريقيا وظل ولاء أبناء شرق أفريقيا اسمياً مع الدولة العمانية .

٢ – عندما تولى السلطان سعيد بن سلطان الحكم في عمان عام ١٨٠٤م تطلع إلى ضم شرق أفريقيا إلى دولته، وبالفعل حدث ذلك عندما زار السلطان سعيد زنجبار ١٨٢٨م معلناً زنجبار كعاصمة ثانية للإمبراطورية العمانية الجديدة وبالتالي أصبحت شرق أفريقيا تتبع عمان فعلياً وهو ما أطلقنا عليه في هذا البحث بالوحدة السياسية بين عمان وشرق أفريقيا .

٣ – تطلعت بريطانيا منذ إعلان الإمبراطورية العمانية إلى محاولة القضاء عليها ولكنها لم تستطع خلال غهد السلطان سعيد، وقد جاءتها الفرصة لذلك بعد وفاته فأصدرت قرار التحكيم لكانتج الحاكم العام للهند الذي أفرز قرار التقسيم لعام ١٨٦١م بين شطري الإمبراطورية العمانية والذي أنهى الوحدة السياسية التي كانت قائمة منذ عام ١٨٢٨م بين زنجبار ومسقط، وقد سلكت بريطانيا طريق التفرقة بين الأخوين الحاكمين (ماجد وثويني) خلال عهدها ثم سلكت بريطانيا طريق القضاء تماماً على الحكم العربي في شرق أفريقيا، وهذا ما حصل فعلاً عندما جاءت برجال من قبائل شرق أفريقيا ليحكموا زنجبار عام ١٩٦٤م في ظل نفوذها منهين بذلك آخر مظهر من مظاهر الحكم العربي العماني لمناطق شرق أفريقيا .

د. محمد فاضل الحسيني

كلية التربية للبنات – جامعة بغداد

الهوامش

١ – وندل فيليبس، تاريخ عمان، ترجمة محمد أمين عبدالله، الطبعة الرابعة، عمان ١٩٩٤م، ص١٠٥–١٠٦ .

٢ – مال الله بن علي بن حبيب، ملامح من تاريخ عمان، ترجمة محمد محمد كامل، عمان، بدون تاريخ، ص١٢ .

٣ – عبد الرحمن عبد الكريم العاني، دور العمانيين في الملاحة والتجارة الإسلامية حتى القرن الرابع الهجري، ط ٢، ١٩٨٦م، عمان ص٧ .

٤ – المسعودي، أبو الحسن علي بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول بيروت، ص١٠٧–١٠٨ .

٥ – شارل جيان، وثائق تاريخية جغرافية وتجارية عن أفريقيا الشرقية نقله للغة العربية ملخصاً يوسف كمال، القاهرة ١٩٢٧م، ص٣٥٦ .

٦ – سعيد بن علي المغيدي، جبهة الأخبار في تاريخ زنجبار، تحقيق محمد علي الصليبي، سلطنة عمان ١٩٨٦م، ص٢٠٧ .

٧ – وندل فيليبس، المصدر السابق، ص١٨ .

٨ – Bathurst The Arabi Dynasty in Oman, Oxford 1967 P. 317.

٩ – رودلف سعيد رودت، سلطنة عمان خلال حكم السيد سعيد بن سلطان (١٧٩١–١٨٥٦م) ترجمة عبد المجيد حسيب القيسي، البصرة ١٩٨٣م، ص١٩١ .

١٠ – جمال زكريا قاسم، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، القاهرة ١٩٧٥م، ص١١٥ .

١١ – سعيد بن علي المغيري، مصدر سابق، ص٢٣١ .

١٢ – جمال زكريا قاسم، الأصول التاريخية، مصدر سابق، ص١١٧ .

١٣ – جمال زكريا قاسم، الخليج العربي – دراسةلتاريخ الإمارات العربية المتحدة في عصر التوسع الأوروبي الأول ١٥٠٧–١٨٤٠م، القاهرة ١٩٨٥م، ص٢٠٩ .

١٤ – وندل فيليبس، مصدر سابق، ص١٢٤–١٢٥ .

١٥ – المصدر نفسه، ص١٢٦ .

١٦ – فاضل محمد الحسيني، قدم العلاقات العربية الأفريقية، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد ١٩٤، السنة الواحدة والعشرون، بيروت ٢٠٠١م، ص٣٢ .

١٧ – عمان في التاريخ، مجموعة بحوث ألقيت في ندوة عمان في التاريخ المنعقدة في مسقط عام ١٩٩٤م، سلطنة عمان، دوار إميل للنشر المحدودة، لندن، عمان ١٩٩٥م، ص ٤٧٠ .

١٨ – Coupland, R., East Africa and its invader from the earliest times to the death of Sayyed Said in 1856, Oxford, 1961, P. 6.

١٩ – وندل فيليبس، مصدر سابق، ص١٣٦–١٣٧ .

٢٠ – Coupland, op. cit., P. 6.

٢١ – رودلف سعيد رودت، مصدر سابق، ص١٧٩ .

٢٢ – المصدر نفسه، ص١٨٥–١٨٦ .

٢٣ – وندل فيليبس، مصدر سابق، ص١٢٤ .

٢٤ – ويلسن، تاريخ الخليج، ترجمة حمد بن عبد الله، عمان ١٩٨٨م، ط ٣، ص١٧٠–١٧١ .

٢٥ – فاضل محمد، علاقات عمان الدولية خلال عهد سعيد بن سلطان ١٨٠٤–١٨٥٦م، مجلة الدراسات في التاريخ والآثار، العدد ٩، السنة ٢٠٠٧، بغداد ٢٠٠٨م، ص٣٨٠ .

٢٦ – وندل فيليبس، مصدر سابق، ص١٤٢ .

٢٧ – س.ب.مايلز، الخليج – بلدانه وقبائله، ترجمة محمد أمين عبد الله، ط ٤، عمان ١٩٩٠م، ص٢٧٧ .

٢٨ – عمان في التاريخ، مصدر سابق، ص٤٧٠–٤٧١ .

٢٩ – مال الله بن علي بن حبيب، مصدر سابق، ص٢٥–٢٦ .

٣٠ – المصدر نفسه، ص٢٦ .

٣١ – عمان في التاريخ، مصدر سابق، ص٤٧٤ .

٣٢ – وندل فيليبس، مصدر سابق ص١٤٦ .

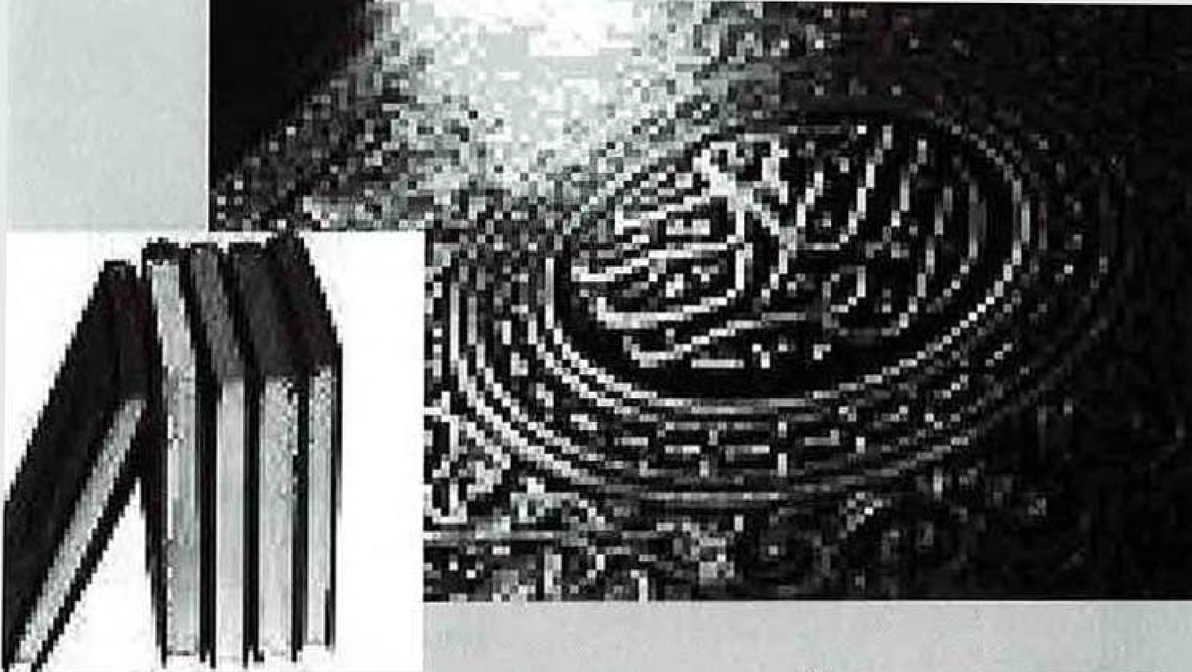
٣٣ - I.O.L. Political& Secret Dep. B. 8, Memo on the Turkish claim to shores of the Red Sea and the whole of Arabia, and on the Egyptian claim to the whole of the western shores of the same sea, including printed for the use of the F.O. Hertz let, March 10, 1874.

نقلاً عن "عمان في التاريخ"، المصدر السابق، ص٤٧٥ .

٣٤ - Atchison, C.U. : A collection of treaties, Engagements and sands relating to India and neighboring countries, Vol. XI, Delhi, 1833, P.225.

٣٥ – ويلسون، مصدر سابق، ص١٧٢ .

٣٦ – فاضل محمد الحسيني، مصدر سابق، ص٣٤ .



يعد القرآن الكريم وهو المعجز ببيانه وفصاحته النص المرجعي الأكثر حضورا وفاعليةً في الشعر العربي عموماً، إذ يمثل المنهل الثرّ والرافد الأساس في الثقافة العربية والإسلامية، ومنه انبثقت الرؤية الدينية للوجود، والأحكام الشرعية، والخطاب الرصين بنسيجه الدلالي، وتركيبه اللغوي . اتجه الشعراء إليه لبناء علاقة تفاعلية تقوم على أكثر من آلية للتفاعل معه . ركز الشعراء في تفاعلهم مع النص القرآني على تلك النصوص ذات الصلة بالمضامين والوقائع التاريخية والحضارية، وعلى وجه الخصوص ما تصل منها بتاريخ اليمن وحضارته القديمة، كقصة سبأ وأصحاب الفيل . . .، وتعامل الشعراء معها بوعي وإدراك إسلامي خالص .



أثر القرآن الكريم في الشعر العربي الحديث في اليمن

بقلم : الدكتور خالد علي الغزالي[١]

ظهر أثر القرآن الكريم في موضوعات الشعر اليمني الحديث، وكان استعمال لغة القرآن من قبل الشعراء ينفتح على النص القرآني، لاسيما النصوص القرآنية ذات البعد الإنساني، مثل صراع الخير والشر والحق والباطل، وغلب على استحضار لغة القرآن إنه كان قصدياً واعياً سعياً إلى معالجة موقف معاصر يتعلق بواقعهم المعيش سياسياً واجتماعياً واقتصادياً، وتمكنوا من إظهار رؤيتهم الخاصة لمعالجة هذا الواقع وقضايا العصر الحاضر، فضلاً عن تجاربهم الذاتية، كما كشف عن عمق فني في تجاربهم الشعرية ومدى نضج أدواتهم الفنية .

ففي الاقتباس القرآني تعامل الشعراء مع النص القرآني بصورة انتقائية، ومثلت ألفاظ القرآن نبعاً استقى منها الشعراء ما يروق لهم وينسجم مع أغراضهم، وعكس التأثر بالفاصلة القرآنية مدى ثقافتهم الدينية وقدرتهم في توظيف الفاصلة القرآنية في الأداء الشعري، وكان أثر القصص القرآني بارزاً، وعكس ضرباً من الاختزال للمعاني وتكيفها تمشياً مع طبيعة الشعر الذي يميل إلى استعمال الرمز أكثر من التصريح .

أولاً : أثر الاقتباس القرآني

معنى الاقتباس

الاقتباس في اللغة : يأتي بمعنى الشعلة، ويقال خذ لي قبساً من النار[٢]، كما في قوله تعالى : "لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى"[٣] .

والاقتباس في لسان العرب هو الأخذ والاستفادة من شعلة النار أو العلم خاصة، فيقال : " اقتبس منه ناراً، واقتبس علماً أيضاً، أي استفته"[٤] .

ويعد الاقتباس من القرآن الكريم شكلاً من أشكال تعامل الشعراء مع التراث الديني، وهذا التعامل ينبع من إيمانهم ببلاغة القرآن الكريم العظيمة، فهو مصدر الإلهام والبلاغة والإعجاز .

والاقتباس ضرب من البديع بوصفهم إياه واحداً من المحسنات البلاغية التي يعنى بها الشاعر أو الناثر . أما الاقتباس عند البلاغيين : هو : "أن يضمن الكلام شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث لا على أنه منه"[٥] .

وفي المعنى الاصطلاحي قال الرازي : هو "أن تدرج كلمة من القرآن الكريم أو آية منه في الكلام تزييناً لنظامه، وتضخيماً لشأنه"(٦) .

وظاهر قول الرازي : يشير إلى أن الغرض أو الفائدة من الاقتباس هو شكل من أشكال تعامل الشاعر أو الناثر مع النص الديني، وهذا التعامل يكشف عن نظرته إلى القرآن الكريم مصدراً من مصادر البلاغة العربية المتميزة وأنه يحمل للإنسان في كل زمان ومكان دلالات معرفية متناهية الدقة والروعة، ويفسر أشياء تمس حياة الإنسان، كما يفصح عن المشاعر والمواقف فضلاً عن إيمان المقتبس إن القرآن الكريم نصٌ مقدس له معانٍ وأفكار قابلة لإعادة التشكل في كل زمان ومكان(٧) .

ويتفق المحدثون حول تعريف الاقتباس، إذ يعرفه الدكتور بسيوني عبد الفتاح، بقوله : "أن يضمن المتكلم كلامه شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث الشريف دون أن يشعر بذلك، ويجوز أن يحتفظ المقتبس بالنص القرآني أو الحديث النبوي أو أن ينقله إلى معنى آخر، كما يجوز له أن يغير في الألفاظ المقتبسة تغيراً يسيراً"(٨) .

وتعد ظاهرة الاقتباس من أبرز الفنون البديعة التي ازدحم بها الخطاب البلاغي والنقدي بوصف القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربي وأمثال العرب وعاءً ثرياً بمجموعة القيم الإنسانية التي يتكئ عليها المبدعون في إنتاج معانيهم . ومن هنا فقد مثل القرآن الكريم لدى الشعراء العرب منذ فجر الإسلام وحتى اليوم النبع الثرّ والمعين المتجدد، والمعجزة الخالدة التي وصلت الذروة، وإن محاولات الشعراء على مر العصور الاقتباس منه يعني محاولة التقرب من تلك الذروة العالية، وكلما حاول الشعراء الإكثار من الاقتباس منه كانوا أقرب إلى تلك الذروة . وعليه يمكننا أن ننظر إلى هذه الظاهرة على أنها مظهر من

مظاهر تفاعل النصوص وتداخلها، لذا فليس هناك من ضير إذا ما نظرنا إلى هذا المظهر في ضوء مفهوم معاصر، هو مفهوم التناص، الذي ظهر حديثاً عند جوليا كرستيفا ورفاتير وغيرهما .

وبحسب رأي كرستيفا فإن النص "يمكن أن يكون عبارة عن فسيفسا من الاستشهادات، وأن كل نص تشرّب وتحويل لنصوص أخرى"(٩) .

أما علاقة الاقتباس بالتناص، فيذهب الناقد عبد الله الغذامي إلى القول : "ينظر إلى الاقتباس على أنه شكل من أشكال التناص، واستلهام وامتصاص للتراث وتفاعل معه"(١٠) .

كما يذهب الدكتور عبد الملك مرتاض إلى القول : "التناص هو الوقوع في حال تجعل المبدع يقتبس أو يضمن ألفاظاً وأفكاراً كان قد التهمها في وقت سابقٍ من دون وعي صريح بهذا الأخذ المتسلط عليه من مجاهل ذاكرته ومتاهات وعيه"(١١) .

والاقتباس أنواع أربعة هي :

١ — اقتباس النثر من القرآن الكريم .

٢ — اقتباس الشعر من القرآن الكريم .

٣ — اقتباس النثر من الحديث الشريف .

٤ — اقتباس الشعر من الحديث الشريف .

والذي يهمنا من هذه الأنواع هو الثاني، أي اقتباس الشعر من القرآن الكريم .

وتأسياً على الطرح السابق يتبين أن الاقتباس له أقسام وفوائد بعضها يعود إلى اللفظ وأخرى تعود إلى المعنى، كما أنه مظهر من مظاهر تفاعل النصوص وتداخلها الذي يعطي للكلام حسناً وروعة وسلاسة تنم عن ذوق المتكلم ومكانته

في طرائق التعبير وتذوق الكلام، لذا يكون لكلامه وقع في النفوس يجعل المتلقي في حالة تساعده على التفاعل مع معنى كلام المتكلم من ترهيب أو ترغيب أو نصيحة أو صورة جمالية أو فكرة أو أي أمر من الأمور . هذا ولم يكن الشاعر الحديث في اليمن بعيداً عن الاقتراب من هذه الذروة البلاغية، بل لقد كان أقرب إلى تلك الذروة التي يتربع عليها كتاب الله الخالد المعجز ببيانه المعجز بألفاظه وتراكيبه وقصصه شأنه في ذلك شأن الشعراء العرب في البلاد العربية كافة، هذا وسوف نقسم الاقتباس إلى قسمين :

– الاقتباس النصي . – والاقتباس الإشاري .

ومن الاقتباس النصي، قول الشاعر أحمد الشامي في قصيدته (نشيد السلام) :

ألا تخافوا الله ؟ وأنفساً سوَّاها
(أفلح من زكاها) (خاب من دساها)
إن لم تكونوا رحما يوماً . . فكونوا حكماء
وإن لم تكونوا أتقياء فلا تكونوا أشقياء(١٢) .

اقتبس الشاعر من قوله تعالى : "ونفس وما سواها"، "قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها"(١٣) .

إن المعنى الذي تتضمنه الآية الكريمة، قد أفلح من زكّى الله نفسه، أي بطاعة الله، وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل، وخاب من دساها، أي دسسها أخملها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى حتى ركب المعاصي(١٤) .

يقف الشاعر هنا موقف الناصح الحكيم، مستحضراً هذه الآيات المقتبسة من القرآن الكريم، في محاولة منه لإظهار ما به من ألم لا يمكن إنكاره أو تجاهله بسبب الوضع السائد والانقسام السائد بين الإخوة، فهو يسعى إلى إثبات

أن يلج بالمتلقي إلى عالم مغاير يشده نحو المتابعة والرصد، على الرغم من توافر المبرر الموضوعي والمعنوي .

ونقرأ للشاعر محمد عبده غانـم في قصيدته (في سبيل الوحدة العربية) يقول :

وأخيراً أجمع العرب (ليوم الفصل) جمعا
بعد أن كانوا يخرون إلى الأذقــان صرعى
منهج كم أرجف الخيل في الجو (نقعــا)[٢٠]

يتحدث الشاعر في بنية النص عن واقع الأمة المتهري، وضرورة اصطفافها وتحقيق الوحدة القائمة على أسس من الدين والتاريخ والآمال والتطلعات المشتركة لأبناء الأمة، فلم يكن أمامه إلا الرجوع إلى مخزونه الروحي مستحضراً آيات من كتاب الله، فكانت الآية الأولى من قوله تعالى : "لأي يوم أجلت ليوم الفصل"[٢١]، قول الحق سبحانه : "فأثرن به نقعا"[٢٢] .

إن اقتباس الشاعر لهذه الآيات واستلهام دلالاتها في محاولة منه لخلق تعاطف تجاه موضوعه المطروح، إذ تصبح وحدة الأمة العربية المعادل ليوم القيامة في إحقاق الحق وإزهاق الباطل ومن حيث القوة القادرة على دحض إفك من أراد استمرار التمزق والشتات بين أبناء الأمة، وبهذا الاقتباس يكون الشاعر قد استطاع أن يثري النص بكلمات لها حركة تتساوق مع غرضه الذي قام على فكرة النص القرآني واستيعاب دلالته، دون ذكر التفاصيل، مستعيناً بما ترسخ في ذهن المتلقي، تاركاً له اكتشاف العلاقات بين هذه الصور .

ولم يقتصر اقتباس الشعراء على الموضوعات الخاصة بالقضايا الاجتماعية والسياسية، بل لهم اقتباسات في أغراض أخرى . ففي قصيدة الشاعر محمد عبده غانم (في معبد الفن) يقول :

مشعل الحب بكف الشاعر هو للناس (هدى) لو تعلمون

موقد من نـــار فن طاهـــر نورها يشرق في كل الفنـون

كم بدا وسط الظلام الجائر للحيارى (فإذا هم مهتدون)[٢٣]

مقتبساً من قوله تعالى : "اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون"[٢٤] .

جاء في تفسير بن كثير أن المقصود في هذه الآية هو حبيب النجار الذي كان مستقيم الفطرة[٢٥]، يحض قومه على اتباع الرسل الذين أتوهم فقتله قومه، فلا ندَّعي أن الشاعر هنا اعتمد الفكرة من السياق القرآني نفسها فشتان ما بين الفكرتين . فإشارة النص القرآني واضحة جلية، أما سياق النص الشعري نجد فيه الشاعر يشير إلى مدى تجربته في الهوى، إذ ظهر التأثر واضحاً من حيث الأسلوب القرآني المستعمل في بث الفكرة والذي حاول الشاعر استثمارها في نصه .

أما النوع الثاني من الاقتباس وهو الاقتباس الإشاري، فيعني ما أشار إليه الشاعر في الآيات من غير أن يلتزم بلفظها وتركيبها، أو هو ما نجد فيه الشعراء يشيرون إلى آية من الآيات القرآنية . ومن الجدير بالذكر هنا أنه لا يجب الوقوف عند النص المقتبس الذي يأتي به الشاعر وحسب، بل المطلوب استلهام الدلالة التي تتساوق مع التجربة الشعرية التي يمر بها الشاعر .

ففي قصيدة الشاعر محمد محمود الزبيري (صرخة إلى النائمين) يقول :

إن لم تطيروا في السماء فكيف لم تمشوا وتمشي الشاء والأنعام

ومذبـذبيـــن تلونـــاً وتـــردداً لعنتهم الحاسـنات والآثـام

قلنا ارفعوا الأسواط عن أجسادكم قالـوا لنـا لوم الإمـام أثـــام[٢٦]

ففي البيت الثاني إشارة إلى قوله تعالى : "مذبذبين بين ذلك إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا"[٢٧] .

إن إشارة الشاعر في نصه الشعري تهدف إلى إظهار أثر المنافقين وأضرارهم في المجتمع، إذ ليس لهم ثبات على المبادئ وبحسب أهوائهم، وهذا عين الخداع والنفاق، وبهذه الإشارة إلى النص القرآني استطاع الشاعر إيصال ما أراده لاسيما عندما قرن صورة منافقي الماضي بصورة منافقي الحاضر .

وفي قصيدة القرشي عبد الرحيم (وجهك والطريق) يقول :

أحبك يا لفظة حرمت وصلها في زمان اللقاح
قوانين من خلعوا جلدة الصدق
عند قراءتها
تتخشب قاماتهم مثل أعجاز نخل
تخلت عن السعفة الرافلة[٢٨]

مشيراً إلى قوله تعالى : "وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم"[٢٩]، وكذلك قوله تعالى : "فترى القوم فيها صرعى، كأنهم أعجاز نخل خاوية"[٣٠] . إن المعنى في النص القرآني جلياً، فقد وصف فيه المنافقين، مشبها لهم بالأخشاب المسندة الجوفاء، لإبراز خواء نفوسهم من القيم الإيمانية . أما النص الذي استوعب نصين قرآنيين في بنية شعرية تحمل رؤية خاصة، اتكأ فيها الشاعر على التعبير الكنائي في وصف المنافقين الذين خلعوا جلدة الصدق كاشفاً عن صورة الخواء ومدى الجفاف الذي يتسم به هؤلاء المنافقون . لذا فقد كانت الإشارة القرآنية وتوظيفها في النص يأتي ملتحماً مع انحياز الشاعر إلى القيم وإنكاره كل ما يخالفها، مع احتفاظ الآيات القرآنية بجمالها وتألقها، فاستزاد الشاعر منها الجزالة والرصانة وإحاطة بموضوعه لفظاً ومعنى ومكملة لقصده .

ونقرأ للشاعر البيحاني رباعيته (خداع الصديق) قائلاً :

لا يخـــدعك من صـــديقـــك أنـــه   حلو الحديث فقد يكون خبيثا
يلقـــاك مبتســـما ويظهـــر وده   ويسير سيراً في الفساد حثيثـــا
يثني عليك إذا حضرت مخادعاً   وإذا انصرفت أشاع عنك نبيثا[31]

إن الاقتباس الإشاري في الأبيات يستلهم معنى الآية القرآنية : "ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام"[32] .

والشاعر في توظيفه هذا يحاول إسقاط المعاني التي وردت في السياق القرآني على الحال الشعورية والنفسية التي يعيشها، نلاحظ ذلك من خلال عنوان النص وهذا ما دفعه إلى صياغة التجربة في قالب شعري .

وفي الرثاء، نقرأ للشاعر ابن شهاب يقول :

لتبيض يوم الحشر بالبشر أوجه   وتسود أخرى لارتكاب المحرم[33]

يلاحظ أن الشاعر قد استوحى صورة بيته لفظاً ومعنى عبر الاقتباس الإشاري من قوله تعالى : "يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون"[34] .

فقد جاء الاقتباس القرآني ليبين العواطف التي ألمت بالشاعر إزاء الفقيد المرثي، فأنزله منزلة الصادقين المشرقة وجوههم يوم الحشر الأعظم جزاء لما قدموه في الحياة الدنيا .

أما الحديث النبوي الشريف فقد كان أيضاً محط أنظار الشعراء .

ومن النماذج التي تأثروا فيها بالحديث النبوي، قصيدة ابن شهاب العلوي في مدح علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول :

أليس نجـــم عزمة الله أمضيت   إلى الناس إنذاراً بمنع اختصامها

بها قام خير المرسلين مبلغاً عن الله أمراً جازماً بالتزامها
ألست بكم أولى ومن كنت صادع بمن هو مولاها وحبل اعتصامها[٣٥]

ورد في كتاب البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي، الحديث النبوي "من كنت مولاه فعلي مولاه"[٣٦].

يبدو من النص الشعري اتكاء بنيته على فكرة هذا الحديث من دون مسوغ لغوي أو معنوي، إنما أراد الشاعر من وراء ذلك الانتصار للفكرة التي يؤمن بها هو ويدعو إليها، وعلى الرغم من ذلك فقد جاءت إشارته إلى الحديث تفتقر إلى النفسية المحتدمة والتحليق في الأجواء الشاعرية وسيطرت التقريرية والنثرية.

ونقرأ للشاعر زيد الموشكي:

لا يرحم الرحمن إلا راحماً فتراحموا يرحمكم الرحمن
وأتى على المختار كل منكم راع وسوف تساءل الرعيان[٣٧]

مشيراً إلى معنى الحديث النبوي "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسئولة عن رعيتها، والرجل راع في أهل بيته وهو مسئول عن رعيته، والعبد راع في مال سيده وهو مسئول عن رعيته، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته"[٣٨].

إن الشاعر بحاجة إلى تذكير أولي الأمر بمسئوليتهم تجاه رعاياهم، لذا فقد استوحى من الحديث المعاني والدلالات التي تحث على الرحمة وتحديد مسئوليات كل أفراد المجتمع لاسيما ولاة الأمر.

أثر الألفظ القرآنية

تحتل اللفظة في اللغة العربية أهمية كبرى، والدليل على ذلك الدراسات الكثيرة حولها عند القدامى والمحدثين، لبيان أهميتها وعلاقتها بالمعنى، يقول

الجاحظ : "إنما الشأن في إقامة الوزن تخير اللفظ وسهولة المخرج"[٣٩]، وممن جاء بعده كأبي الفتح عثمان بن جني القائل : "أعلم أنه لما كانت الألفاظ للمعاني أزمة، وعليها أدلة، وإليها موصولة، وعلى المراد منها محصلة، عنيت العرب بها، فأولتها صدراً صالحاً من تثقيفها وإصلاحها . . ."[٤٠].

ووصل الموضوع إلى الإمام عبد القادر الجرجاني صاحب نظرية النظم الشهيرة، ففي حديثه عن اللفظ والنظم والمعنى، إذ المعنى عنده يتأتى من "ضم الكلمة إلى الكلمة لتوخي معنى من معاني النحو فيما بينها"[٤١].

ويذهب بعض المحدثين إلى القول : إن البليغ هو "من يستفد مما للألفاظ من معان، أضفاها عليها الزمن، فتثير في النفس أعمق الإحساسات، وتملأ الخيال بشتى الصور"[٤٢].

أما اللفظة في كتاب الله الخالد، فقد اتسمت بسمات وخصائص لطيفة، ومن خصائص اللفظة القرآنية : الدقة في الوضع والاختيار والوصف والمعنى والتناسق، إن اللفظة القرآنية تشع بالحياة، لأنها مصورة وناطقة ومعبرة وموحية، فاللفظة التي هذه صفاتها لابد "أن تجعل التعبير القرآني تعبيراً فنياً مقصوداً كل لفظ وكل حرف فيه وضعاً فنياً مقصوداً"[٤٣].

طبقاً لهذا التأسيس الذي بين أهمية اللفظة العربية عامة، واللفظة القرآنية خاصة، نحاول في الصفحات اللاحقة الوقوف على مدى ما وصل إليه الشعر الحديث في اليمن من تأثر بالألفاظ القرآنية، وعلى قدرة هؤلاء الشعراء، وأدواتهم الفنية في توظيف اللفظة القرآنية في الأداء الشعري .

من الألفاظ القرآنية التي تناولها الشعراء ووظفوها في نصوصهم، لفظة (تبت يـدا)، كما في قصيدة الحامد في رثاء زوجته، يقول :

ويا سـراجي والأحداث داجيـة (تبت يدا) الدهر هل أطفاك أم كسرك[٤٤]

اعتمد الشاعر في تركيبة البيت على مخزونه الروحي، وذلك بما تحمله لفظة (تبت يدا) التي استوحاها من فاتحة سورة المسد، قال تعالى : "تبت يدا أبي لهب وتب"[٤٥] . إذ يحمل مضمون اللفظة القرآنية الدعاء والهلاك والخسران، أي ألزمه الله هلاكاً وخسراناً[٤٦] فقد استثمر الشاعر الطاقة الإيحائية لهذه اللفظة، للتعبير عن حالته النفسية، وتصوير مدى حزنه بدعائه على الدهر، إذ أن ذكر هذه اللفظة في البيت الشعري تتطلب من المتلقي استرجاع الموقف الذي وردت فيه في سياق التعبير القرآني .

ونقرأ للشاعر عبد الله البردوني من قصيدته (أغنية من خشب) يقول :

لماذا العدو القصي اقترب ؟   لأن القريب الحبيب اغترب
لأن الفراغ اشتهى الامتلاء   بشيء فجاء سوى المرتقب
لأن (أبا لهب) لم يمت   وكل الذي مات ضوء اللهب[٤٧]

وظف الشاعر لفظة أبا لهب، التي وردت في الآية السابقة، لكنه استعملها كرمز لكل معاند وكاذب، إذ جعل منه رمزاً حياً لم يمت، يومئ به إلى بعض الساسة المعاصرين الذين أساؤا إلى شعوبهم وأمتهم .

أما الشاعر محمد محمود الزبيري فقد استثمر المعنى الإيحائي الذي تتضمنه لفظة (المشكاة) في قوله تعالى : "الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح في زجاجة والزجاجة كأنها كوكب دري"[٤٨] .

ففي قصيدته (صيحة البعث) يقول :

هنا الشريعة من مشكاتها لمعت   هنا العدالة والأخلاق والشيم
هنا العروبة في ابطالها وثبت   هنا الإباء هنا العلياء والشمم[٤٩]

فالمشكاة هي الكوة غير النافذة، فيها مصباح أو سراج وأصله من الضوء[٥٠]، والالتجاء إلى هذه اللفظة إنما يجيء من ارتباط الشاعر الروحي،

وكان لابد من إيجاد فضاء يكون منسجماً مع تجربته، إذ يعبر فيه عن انبلاج النور، يصور سطوع فجر الثورة بانبثاق نور الشريعة الإسلامية. فلم يجد أمامه سوى (المشكاة) وهي من مخزونه الديني، لذا فقد جاء توظيف هذه اللفظة ملتحماً مع انحيازه إلى النور الذي جسدته تلك اللفظة .

واقرأ للشاعر شوقي شفيق قصيدته (من مذكرات الرفيق) يقول :

لما صار الجذع بحجم النور انتفض العالم
في أقبية السحر انقلب التاريخ على أقبية الساحر
فهزي الجذع لتساقط أقمار الزيف
وهزي الجذع لتصاعد أقمار الحب
وهزي الجذع(٥١)

فهو هنا يستمد من ألفاظ القرآن الكريم لفظتي (هزي، الجذع) من قوله تعالى : "وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا"(٥٢) .

تفصح الأبيات عن شعور بخيبة الأمل، ولعل توظيف هاتين اللفظتين كان عن وعي وإدراك للمعنى الذي وردتا فيه في سياق قصة مريم، فجاء استعمالها مقصودا للإيحاء بموقف مشابه، لذا فقد كان هذا التوظيف له فاعليته التي ازدادت بتكرار هاتين اللفظتين لثلاث مرات متتالية، لتكون حقلاً دلالياً واسعا يتساوق مع التجربة الشعورية التي يمر بها الشاعر .

واستعان الشعراء بألفاظ قرآنية أسعفتهم، بل وأمدتهم بدلالات جعلت بنية قصائدهم تمتاز بدقة الوصف وجمال المعنى، وذلك بما تضمنه ألفاظ القرآن بدقة وجمال، فعبروا من خلالها عن تجاربهم الذاتية ومواقفهم الانفعالية .

ففي قصيدة الشاعر لطفي جعفر أمان (حبنا مات) يقول :

لم يعد لي اليوم في الدنيا بقـاء
فانهلي يا نفس من كأس المنون

ذهبت في الكون أماني هبـــاء

كهشيم الحب تذروه الظنـــون[٥٣]

يتضح من النص أن الشاعر قد استقى لفظتي (هشيم – تذروه) من قوله تعالى : "فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا"[٥٤] .

أراد الشاعر تصوير تجربته الذاتية، فأفاد من المعنى الدلالي والمعجمي للفظتين في السياق القرآني وتوظيفها في التعبير عن تجربته التي جاءت متساوقة مع ما جاء من دلالات مشابهة للفظتين في السياق الشعري، مما أكسب نصه قوة وتأثيرا .

ويقول الشاعر محمد عبده غانم :

حيث الجمال يفيض نوراً في النفوس (المهطعة)[٥٥]

استند الشاعر للتعبير عن تجربته إلى لفظة (مهطعين) من قوله تعالى : "مهطعين إلى الداع، يقول الكافر هذا يوم عسير"[٥٦]، ومن سياق النص الشعري الذي وردت فيه هذه اللفظة، يبدو أن الشاعر لم يوفق في حسن استثمار المعنى من النص القرآني، إذ يتضمن معناها في السياق القرآني السرعة خوفاً ورهبة من هول يوم الحساب، وهذا يكون حال الكفار، بمعنى أن التوظيف لهذه اللفظة لا ينسجم موضوعياً ولا نفسياً، لأنه شتان بين فيض نور الجمال وتأثيره في النفس، وتصويره بموقف يوم الحساب والجزاء بين يدي الله .

ويقول في نص آخر :

وبصدري لوعة قد بلغت حتى (التراقي)[٥٧]

استحضر الشاعر لفظة (التراقي) من قوله تعالى : "كلا إذا بلغت التراقي، وقيل من راق"[٥٨] إذ جعل الشاعر لوعته في سياقه الشعري معادلاً للنفس البشرية عند احتضارها، لتصوير مدى معاناته في تجربته والتعبير عنها .

أثر الفاصلة القرآنية

مفهوم الفاصلة

يعد مصطلح الفاصلة القرآنية من المصطلحات التي تطورت منذ أن كانت شذرات مبسطة في الدراسات القرآنية في القرن الثاني الهجري حتى أصبح مصطلحاً متعارفاً عليه اليوم .

فقد عرفها السيوطي بقوله : "كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع"[٥٩] . وعرفها من المحدثين الدكتور أحمد بدوي بقوله : "تلك الكلمة التي تختم بها الآية القرآنية"[٦٠] . وهناك عدة من التعريفات الحديثة التي نظرت إلى الجوانب اللفظية والمعنوية والنفسية للفاصلة القرآنية، منها تعريف الدكتور بكري أمين إذ يقول : "إن الفاصلة القرآنية ترد وهي تحمل شحنتين في آن واحد، شحنة من الوقع الموسيقي وشحنة من المعنى المتمم للآية"[٦١] .

أما الدكتور فاضل السامرائي فيرى فيما يتعلق بالجوانب الجمالية للفاصلة القرآنية "إن القرآن الكريم راعى في كل ذلك أيضاً ما يقتضيه التعبير والمعنى ولم يفعل ذلك للانسجام الموسيقي وحده، فإنه لو لم يكن الجانب الموسيقي مراعاة في ذلك لاقتصار الكلام من جهة أخرى"[٦٢] .

إن اهتمام العلماء القدامى والمحدثين بالفاصلة القرآنية يرجع إلى كونها عنصراً مهماً في تأمل الآية القرآنية وما تؤديه من وظيفة أساسها الإيقاع الموسيقي في الآيات القرآنية، لذا قالوا أن وظيفتها معنوية هادفة، وليست فضلة كما يلاحظ على بعض النصوص الشعرية أو النثرية .

أما فائدة الفاصلة، فهي تقع عند الاستراحة بالخطاب لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يبان بها سائر الكلام وتسمى فاصلة ؛ لأن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها – وأخذ الاسم من قوله تعالى : "كتاب فصلت آياته" . ولا يجوز تسميتها قوافي، وكما يمتنع استعمال القافية في القرآن يمتنع استعمال الفاصلة في الشعر[٦٣] .

فالفاصلة القرآنية – بحالها هذا – تدخل ضمن الإعجاز القرآني لأنه "ما من فاصلة قرآنية لا يقتضي لفظها في سياقه دلالة معنوية لا يؤديها لفظ سواه، وقد يغيب عنا فنقر بالقصور عن إدراكه"[٦٤] . وفي مبحثنا هذا نروم الوقوف على مدى تأثر الشاعر الحديث في اليمن بالفاصلة القرآنية في قوافي قصائدهم التي كتبوها في الموضوعات المختلفة . ففي قصيدة الشاعر محمد سعيد جرادة (فردوس القرآن) يقول :

أيها القارئ المرتل آي الذكر شنف بلحنه سمعيا
يا لقلب النبي إذ يتلقى من سماء العلي نداءً خفيا
وهو في غمرة الوحي هزته شعوراً وقربته نجيا
ثقلت ركبتاه من وطأة الوحي وطافت عيناه أفقاً قصيا

....

أيقظ العرب بعد أن كان مجد العرب نسياً منسيا
سل ضمير الكتاب عن آية السيف متى كان حكمها مقضيا
نزلت لا لأن في الملة السمحاء لسفك الدماء ميلاً قويا
بل لتحمي كرامة الحي ممن صال مستكبر وجار عتيا[٦٥]

واضح أن كلمات هذه القوافي مستمدة من فواصل قرآنية جاءت في سورة مريم، من قوله تعالى : "ذكر رحمة ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداءً

خفيا"(٦٦) . ومن قوله تعالى : "فحملته فانتبذت به مكاناً قصيا . فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسيا"(٦٧)، وكذا من قوله تعالى : "قال كذلك قال ربك هو علي هين . ولنجعله آية للناس ورحمة من وكان أمراً مقضيا"(٦٨)، ومن قوله تعالى : "قال ربِّ أنّـى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغت من الكبر عتيا"(٦٩) .

فالقوافي هنا هي الفواصل نفسها في الآيات التي ذكرت، إذ انطلق الشاعر من هذه الفواصل، التي كانت بمثابة العدسة اللامة لإيضاح معاني الآيات المرتبطة بها . وانسجم غرض الشاعر الذي يروم إيصاله إلى المتلقي، مع المعاني الواردة في هذه الآيات، لذا فقد جاء التأثر بالفواصل القرآنية معيناً للشاعر على إبراز هدفه فضلاً عن رفد الصور في النص بالشحنات الصوتية المستمدة من الفواصل القرآنية وما تبعثه في النفس من أثر تجعل المتلقي يحس بالأثر القرآني ويحيله إلى آياته البينات .

ومن الشعراء من يستمد من الفواصل القرآنية قوافي لقصيدته، بل ويجعلها ملتحمة في بنية النص بما يذهب إليه من تمهيد جميل وموحي لهذه القوافي المستمدة من فواصل قرآنية، ففي قصيدة الشاعر محمد عبده غانم (نهضة الشباب) يقول :

رتل القول في المنى ترتيـلا   واهجر اللائمين هجراً جميلا
تلك أنشودة الشباب تغني   بأمانيـه بكـرة وأصيـلا(٧٠)

فهذه القوافي تحيلنا إلى الفواصل القرآنية في سورتي المزمل والإنسان، من سورة المزمل قوله تعالى : "واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلا"(٧١)، ومن سورة الإنسان قوله تعالى : "واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا"(٧٢)، ومن هنا

فقد استطاع الشاعر تحوير المعنى في النص، وخلق صورة موحية تنسجم مع تجربته، وتعكس إيمانه بأهمية الشباب في بناء أوطانهم .

ونقرأ للشاعر محمد محمود الزبيري في قصيدته (شكوى) يقول :

ظلم الزمان وجرت الدنيا وقيدني الأبد
كيف المصير وكل شيء في الحياة بلا رشد
الأرض ترتجف بالمخاوف والكواكب ترتعد
والشمس تنتظر المصارع من يد الله الصمد(٧٣)

فهذه النهايات تذكرنا بسورة الإخلاص وإيقاع آياتها، فاتكأ الشاعر في قوافيه على الفاصلة القرآنية لهذه السورة من قوله تعالى : "قل هو الله أحد . الله الصمد"(٧٤) . والمعنى الذي تحمله لفظة الصمد في النص القرآني تعني خضوع المخلوقات له في حوائجها، فلا تحتاج إلى أحد، واتخاذ الشاعر من هذه الفاصلة قافية للنص أكسبه حركة متدفقة وكثفت الصورة الشعرية، إذ أن الجو السائد في النص هو بث الشكوى، لذا فقد كانت قافيته تشير إلى الضعف والوهن بين يدي الله سبحانه، وجسدت الضرورة المعنوية والنفسية .

وفي قصيدة الشاعر محمد أحمد منصور (رب خصلة شعر حررت بلداً) يقول :

كم يدعي (بوش) أنه صمد   وأنه لا يرى كفؤاً له أحدا
إذا تأله جباراً على أمم   هوى صريعا على درب الشقاء غدا(٧٥)

ونقرأ للشاعر صالح الحامد في قصيدته (إلى بني وطني) يقول :

إننا من معشر سادوا الورى   أينما قد نزلوا أموا الأناما
أننا قوم إذا خاطبهم   ناقص أو جاهل قالوا سلاما(٧٦)

إن الشاعر في هذا الموقف الذي يفخر فيه بالمجد التاريخي والسؤدد والأخلاق الكريمة لأبناء الأمة الإسلامية، في مخاطبته الشباب للاقتداء بالسلف الصالح، يستذكر سورة الفرقان ويتأثر بها، قال تعالى : "وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما"(٧٧) . فكانت القافية في النص الشعري التي نقلتنا إلى الفاصلة القرآنية الموحية بدورها، تجعل المتلقي يتعمق في معانيها ويستشعر القيم الأخلاقية التي تحملها .

ويطالعنا الشاعر علي محمد لقمان في قصيدته (استغلال النفوذ) التي بسط فيها قضايا سياسية واجتماعية، تتعلق بالواقع المعيش للمجتمع، يقول :

أُعطيت جاهاً فشردت المساكينا   يا مستغلاً نفوذاً زائلاً فينـــا

فيم التطاول والأيـــام قد علمت   أرضيت فرداً وأغضبت الملايينا

لم تحتفل بدموع نحن نسكبهـــا   لو ذقتهـا ذقت زقوماً وغسلينـــا(٧٨)

فـ (غسلينا) فاصلة قرآنية اتخذ منها الشاعر قافية لقصيدته، قال تعالى : "فليس له اليوم هاهنا حميم . ولا طعام إلا من غسلين"(٧٩) .

إن معنى الآية الكريمة في سياقها القرآني هو التخويف والإنذار للكافرين بالعذاب المعد لهم يوم القيامة، ونجد الشاعر قد أفاد من معطيات الفاصلة القرآنية في بنية النص الشعري وتركيب قافيته التي أوحت بالمرارة والأسى مع اختلاف الإسناد بين النص القرآني والنص الشعري، ففي هذا الأخير كان الإسناد للشعب الرازح تحت عذاب الطغاة، مما نجم عنه دموع التوجع والأسى ، فكانت هناك مفارقة في توظيف الفاصلة القرآنية وانتقال الدلالة الإيحائية من العنف والقوة في تهديد الكفار وتخويفهم في السياق القرآني، إلى آلام التوجع والأسى في حياة الشعب في السياق الشعري . وبهذا يكون التأثر

نابعاً من الضرورة المعنوية الملحة التي اقتضتها طبيعة المواقف التي يتخذها هؤلاء المستغلون .

ونقرأ للشاعر أحمد الشامي من قصيدته (الحظ والنسب) :

أبــو لهـب عــم الرســول تبت يــداه ضلال وتب

لــو كان ينفعـــه أصلـــه لنال بقرباه أعلى الرتب

وما الحظ إلا جزاء الصراع إذا ما لهمام عليه رتب[٨٠]

فالقافية في النص متأثرة بفواصل قرآنية تكررت في سورة المسد، قال تعالى : "تبت يدا أبي لهب وتب . ما أغنى عنه ماله وما كسب . سيصلى ناراً ذات لهب . "[٨١]، ومناسبة القصيدة رداً على المتواكلين اعتماداً على إنسابهم، لذا فقد كان الرد عليهم متأثراً بهذه الفاصلة لتذكيرهم برمز من رموز الكبر والطغيان الذين ناهضوا الدعوة الإسلامية عند انبلاج نورها، تاركاً للمتلقي اكتشاف العلاقات بين الصورتين القديمة والحديثة، وعليه فقد أوحت له هذه السورة بآياتها وقصتها وفواصلها هذه النغمة المنسجمة تماماً مع طبيعة الموضوع في الحالتين .

ومن الجدير بالذكر هنا، أن بعض الشعراء قد كتبوا قصائد تستمد قوافيها من فواصل قرآنية غير مرتبطة بسورة قرآنية بعينها، بل وجدنا هذه الفواصل في أكثر من سورة قرآنية لاسيما في القصائد ذات المنحى التاريخي والسياسي ظناً منهم بأنها تساعدهم على الإيفاء بالغرض، والتعبير عما في أنفسهم بصورة أوضح، فضلاً عن رغبتهم الملحة في إيصال ما يريدون قوله إلى المتلقى في قصائدهم . ففي قصيدة الشاعر محمد عبده غانم (في رحاب أروي) يقول :

هنا كنت في (جبلة) تحكمين وفي صولـــة تبهـــر العـــالمين

تعيـــدين بلقيس في مجـــدها ومن مثلهـــا بالمعـــالي قميـــن

أقامت علـى مأرب جنتيـن   فـذات الشـمل وذات اليميـن
ببلقيس لقبـت لمـا علـوت   كما قد علت قبل في الحاكمين
وداعاً ولـم يبق إلا الـوداع   لجبلـة بعـد اللقـاء الحـزين
وأين الذي إن دوى صوتهـا   أصـاغ الملوك لـه أجـمعين
خليفة بلقيس فـي عرشـها   وغـرة همـدان في الخـالدين(٨٢)

هذه الأبيات تذكرنا بالفواصل القرآنية التي استمد منها الشاعر قافيته وهي كثيرة في سور القرآن الكريم .

إن الشاعر في هذا الموقف الداعي إلى الاقتداء بالرموز المشرقة والفاعلة في تاريخ الأمة، ذاكراً رمزاً بعينه، هي الملكة أروى ممجداً أفعالها وتاريخها، فكان توظيفه لهذا الرمز في سياقه الشعري المتساوق مع غرضه الذي يهدف إلى معالجة الواقع المعاصر لليمن والأمة العربية . وعليه فقد استمد من الفواصل القرآنية ما يساعده على إيضاح غرضه الذي أراد منه شحذ الهمم وإثارة العزائم والأخذ من التجارب المضيئة عبر التاريخ، فكانت قوافيه قادرة على نقلنا إلى الفواصل القرآنية الموحية بدورها إلى السور وجعل المتلقي يعيش جوها ويهتز لما تحمله من الدلالات .

ونقرأ للشاعر محمد محمود الزبيري من قصيدته (مثاب وعتاب) يقول :

لندع الخلافات الصغيرة تنمحي بيد السنين
في درس (خالد) ما يؤهلنـا لمجد الخالدين
ما كان يحدث لو عصا عمـراً أمير المؤمنين
حرب المصائر لو خسرناها هلكنـا أجمعين(٨٣)

أثر القصص القرآني :

يعد التراث الديني في صوره كافة ولدى كل الأمم مصدراً سخياً من مصادر الإلهام الشعري إذ يستمد منه الشعراء نماذج وموضوعات وصور أدبية، والأدب العالمي حافل بالكثير من الأعمال الأدبية العظيمة التي محورها شخصية دينية أو موضوع ديني أو التي تأثرت بشكل أو بآخر بالتراث الديني .

والقصص القرآني حلقة وصل مهمة من حلقات تعامل الشعراء المعاصرين مع النص القرآني، وذلك لما يشكله من تربة خصبة تعينهم على التزود من المنابع الدينية الأصلية التي تتعلق بالحوادث الغابرة، إذ اتخذ الشعراء من معجزاتها التي تجلت فيها قدرة الخالق جل شأنه معيناً ثرّاً يرفد تجربتهم الشعرية بعدد من الدلالات الروحية والإنسانية التي تسهم في تجاوز الواقع المفروض إلى واقع أكثر إشراقاً[٨٤] فالقصة القرآنية تعددت أغراضها وأهميتها وفوائدها، ومن أهم تلك الفوائد والأغراض هي بيان طريقة الدعوة إلى الله وأصول الشريعة وتصديق الرسول الكريم وإثبات الوحي والرسالة وتثبيت قلب الرسول صلى الله عليه وسلم وصدق الأنبياء السابقين وتخليد ذكراهم على مر العصور وبيان أن الدين كله من عند الله، ثم إن الأنبياء عليهم السلام يدعون إلى دين موحد الأساس متحد العقيدة وغيرها[٨٥]، فضلاً عن المعاني الأدبية والبلاغية التي يقصدها القرآن حيث المواقف الوجدانية والصور الفنية الأدبية، مما يعده أصحاب الفنون والآداب مرام الأدب وغاية البلاغة ، ثم إن هذه القصص في جانبها الفني جاءت بأشكال وأخبار مختلفة تارة بسردها كاملة، كقصة يوسف عليه السلام وأخرى متفرقة في أكثر من سورة، كقصة آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، أو بإشارة كقصص ذي الكفل وإلياس

واليسع . وبهذه الصورة إضافة إلى الفنون الأدبية[٨٦] أي أن القصص القرآني يمد الأدباء بصورة عامة، والشعراء على وجه الخصوص دروساً سامية تغني قاموسهم اللغوي وخيالهم الرائع، حيث تسبح فيه صور جميلة وأهداف وصور علياء[٨٧] .

إن الهدف من دراسة أثر القصة القرآنية في الشعر اليمني الحديث هو التعرف على طبيعة التعامل مع هذه القصص، ومعرفة السبب الذي يدفع الشاعر لأخذ هذه القصة دون سواها، وما هي العلاقة بين هذه القصة والموضوع الذي وظفت له القصة القرآنية ولماذا تأثر الشعراء بقصة معينة أكثر من غيرها .

ومن القصص الأكثر شيوعاً في دواوينهم التي حرصوا على الاستفادة من معطياتها هي قصة قابيل وهابيل ابني آدم عليه السلام . فقد كانت قصة قتل قابيل أخاه هابيل لمنعه من الزواج من أخته التوأم، تمرداً على الشرائع، إذ اتخذه الشعراء رمزاً لكل سفاح، وكل قاتل ومعتد لاسيما إذا كان الضحية يمت إليه بصلة ما .

فالشاعر عبد العزيز المقالح استثمر هذه القصة مستعملاً شخصية قابيل رمزاً للجاني، بينما استعمل شخصية هابيل رمزاً للضحية ففي قصيدته (هابيل الأخير) يقول :

هابيل
كم عام مر وأنت قتيل
مطروح في الطرقات
تبحث عن حفار قبور بين الأموات
(قابيل) الإثم حين رآك
مقتولاً فر إلى البحر

ابتلعته الأسماك

وبقيت بلا قبرٍ وحدك تبكي الجسد العريان

خجلاً وتمر حواليه الغربان

على بقايا إنسان

يشهد رحلته اليومية

كيف تواري في حزن موتاها

في رعب قتلاها(٨٨)

هذا النص يتشرب قصة ابني آدم كما جاءت في القرآن الكريم والإفادة منها، في قوله تعالى : "واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر . قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين . لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط إليك يديّ لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين . إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين . فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال يا ويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين"(٨٩) .

صوّر النص القرآني أول جريمة وقعت على الأرض، وهي نقطة البداية لسلسلة من جرائم القتل التي ارتكبت عبر التاريخ البشري على مر العصور، أما القصة في النص الشعري فقد جاءت تحمل رؤية خاصة ذات بعد واقعي معاصر، يعكس وجهة نظر صاحبه، للتعبير عما يدور من صراع في العصر الحاضر، وفيه تكمن مقصدية النص في توضيح الصورة ثانية لما يرتكب في العصر الحديث من جرائم الإنسان بحق أخيه الإنسان .

أما الشاعر القرشي عبد الرحيم فقد أفاد من معطيات هذه القصة، وجعل قابيل رمزاً للحقد الذي يسكن نفوس البشر منذ أول جريمة في الأرض حتى عصرنا الحاضر . ففي قصيدته (إسقاطات) يقول :

قبر هابيل على ظهر أخيه
جيفة تمشي
وقابيل صليب
قاتل حركه يتامى هيروشيما
يسألون الخبز والحب
وكأساً من حليب

....

قبر هابيل على ظهر أخيه
وقابيل على جمر الأسى يحصي خطاه
تصرخ الغربان بالقاتل والمقتول
واريه التراب(٩٠)

ونقرأ للشاعر عبده عثمان قصيدته (من أغاني العودة) وفيها صدى قصة ابني آدم، معلناً البراءة من قابيل بوصفه رمزاً للشر وعاملاً من عوامل فصم عرى الأخوة بين بني الإنسان . يقول :

تعانقوا تصافحوا
هزوا مدارج السماء
(قابيل) ليس مني
إني هنا
أخوتي ووحدتي أغني(٩١)

والشاعر هنا لم يتطرق إلى ذكر تفاصيل القصة تاركاً ما يحيط بها لذاكرة المتلقي لتستعي معطياتها كما وردت في القرآن الكريم .

قصة سبأ :

ومن القصص القرآني الذي استرعى انتباه الشاعر الحديث في اليمن، قصة مملكة سبأ وسيل العرم، ومن خلال هذه القصة استطاع الشعراء محاكاة الحاضر وتجسيد الارتباط بينه وبين الماضي، سعياً منهم لإيقاظ الهمم، وتحويل الحدث التاريخي المذكور في القصة القرآنية إلى هم معاصر . قال تعالى : "لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال . كلوا من رزق ربكم، واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل"[٩٢] .

استلهم الشعراء معطيات هذه القصة، ووظفوها في معالجة قضايا معاصرة تتعلق بالواقع المعيش لليمن .

ففي قصيدة الشاعر أحمد الشامي (العودة) يقول :

بلادنا سعيدة
طيبة كانت
وربها غفور
كما حكى القرآن
ثم طغى العصاة
واستكلب الطغاة
فاندثرت تلك الديار

ومزقوا أيدي سبأ

لكنها كانت ذنوب الأولين

ماذنبنا نحن ياترى ؟

إلى متى؟ إلى متى نظل تائهين؟[٩٣]

إن صياغة هذه القصة القرآنية في قوالب شعرية من لدن الشاعر الحديث قد جاء لأخذ العبرة والعظة كما يعد بمثابة حلم لاستعادة الجوانب المشرقة لهذه الحضارة، ومحاكاة أبعادها لمنظور عصري . إذ أن معالم هذه الحضارة وصورها لازالت تدور في أذهان أبناء اليمن عبر الأجيال . فقد جاء في تفسير الطبري : " إن المرأة السبئية، كانت حين تخرج إلى الحقل لم تكن لتمد يدها لتقطف ثمرة، بل تضع الطبق على رأسها فيتساقط الثمر عليه، فلا تغادر إلا وقد ملئ طبقها بأنواع الثمر[٩٤] .

وفي نص الشاعر القرشي عبد الرحيم سلام، يستوحي ملامح من قصة سبأ قائلاً :

آه ما أصعب الحب

ما أعذب الحب تحت ركام العذاب

وأسئلة المكر هين عليها

ووجهك

والجنتين ممزقة والعرم[٩٥]

ونقرأ قصيدة للشاعر جنيد محمد، يستذكر فيها أيضاً جوانب من هذه الحضارة، مستلهماً معطيات القصة من القرآن، يقول :

أقول هي الأرض تمنح عشاقها كل ما يشتهون

وحدثني الطيبون

بأن لنا جنتين قديماً بذات الشمال وذات اليمين[٩٦]

قصة أصحاب الفيل :

ارتبطت قصة أصحاب الفيل في القرآن الكريم بأبرهة الحبشي الذي كان يحكم اليمن، فقد بنا هذا الحاكم قليصاً في صنعاء ليحج الناس إليه بدلاً من البيت العتيق في مكة، ثم جهز جيشاً تتقدمه الفيلة وقبل وصولهم إلى بيت الله سلط الله عليهم طيوراً سميت بالأبابيل رمتهم بالحجارة، مما زاد من عظمة هذا البيت عند العرب، وذكرت هذه القصة في القرآن الكريم بسورة سميت بسورة الفيل ؛ قال تعالى : "ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل، ألم يجعل كيدهم في تضليل، وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم كعصف مأكول"[٩٧] .

وقف الشعراء أمام هذه القصة، لاسيما وأنها قد ارتبطت بتاريخ اليمن في المدة التي حكم الأحباش فيها اليمن ومقاومة هذا الغزو، استوعب الشعراء دلالات هذه القصة وحملوها مضامين معاصرة جاعلين من شخصية أبرهة الحبشي رمزاً لكل غازٍ ومستعمر، ومن الطير الأبابيل رمزاً لوسائل الخلاص، الذي يمثله اليوم الثوار الذين يتصدون للمعتدي الغازي .

نقرأ للشاعر عبده عثمان في قصيدته (الأصوات من الداخل) يومئ فيها إلى صورة الطير الأبابيل، وهي تمثل المنقذ، يقول :

ذكرت عام الفيل، والإنقاذ
وقصة الطيور تنزل الفناء بالغزاة
وتصفع الدخيل، والعميل

واعدة مكة الحزينة

بالفجر والمآذن[٩٨]

وفي قصيدة (رسالة إلى سيف بن ذي يزن) للشاعر عبد العزيز المقالح، نجده يستعمل شخصية أبرهة رمزاً للطغاة المنهزمين، متوعداً إياهم بيوم قريب، إذ يراه قد توافرت أسبابه يقول :

وفي الأعماق تحتشد (الأبابيل)

و(أبرهة) يناور وهو مأكول

وموعدنا نهاراً

حين يأتي بعد حر الصيف أيلول[٩٩]

قصة المسيح عليه السلام :

وظف الشاعر الحديث في اليمن بعض ملامح قصة المسيح عليه السلام، لاسيما تلك الملامح التي تتفق مع المنظور الإسلامي لهذه القصة ووردت في القرآن الكريم، كمعجزته المتمثلة في إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وكذلك رفعه إلى السماء ونزوله إلى الأرض ليخلص البشـر من الشرور . قال تعالى : "وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني، وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني"[١٠٠] .

ففي قصيدة الشاعر عبده عثمان (أصوات الشهداء) يقول :

وبعد الوقوف بتلك السفوح

تساءلت أين مسيح هنا

أعاد إلى ميت روحه

وأشفى بروح الطعين الجروح

فقالوا هنا كان هذا النبي
وكان يرانا، ولكننا لا نراه[١٠١]

وفي قصيدة الشاعر إسماعيل الوريث (الحرائق في المدن العربية) يقول :

وأحلم أني رأيتك تنفضين
ويخرج من بين نهديك طفل
يزيل شقاء النفوس
إن وجهك أعرفه
لم تخن مريم، والمسيح سيأتي
يخلصنا حين يصرخ
تلفظنا المدن الأجنبية[١٠٢]

قصة نوح عليه السلام

ومن القصص القرآني الذي لم يغفله الشاعر العربي الحديث في اليمن، قصة النبي نوح عليه السلام، إذ وقف الشعراء أمام ملامح هذه القصة، وتوظيف معانيها ودلالاتها، كصنعه للسفينة، وقصة الطوفان الذي أغرق الأرض والناس إلا من شاء الله وموقف النبي نوح مع قومه قبل الطوفان ونصحه لهم وتحذيرهم . قال تعالى : "ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون، فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين"[١٠٣] .

ففي قصيدة الشاعر عبد العزيز المقالح (مقتطفات من خطاب نوح بعد الطوفان) يقول :

قلت لكم من قبل أن يثور ماء البحر

قبل أن تعربد الأمواج

وقبل أن يغيب وجه الأرض

قلت الداء والعلاج

لم تحفلوا

لم تسمعوا

....

قلت لكم والمد لم يزل بعيداً

والبحر لم يزل بعيداً

أن تفتحوا عيونكم على الخطر

لكنكم لم تسمعوا، تعالت الضحكات

في ترهات القات

كانت الهزات

لا سفن البحر ولا الفضاء

تنقذكم من قبضة القضاء

فقد طغى الطوفان

وكان يا ما كان(١٠٤)

يبدو من النص أن الشاعر قد استدعى موقف النبي نوح، واستعمله رمزاً قناعياً مستلهماً أبعاد القصة القرآنية، ومجسداً من خلالها تجربة واسعة ومألوفة تشحن الألفاظ بأبعاد دينية قادرة على جعل المتلقي يسترجع في ذهنه تراكماتها التي ادخرتها عبر العصور ومن خلال الاستيعاب الواعي لهذا الرمز وإدراك أبعاده استطاع الشاعر أن يتقنع بهذا الرمز والاختفاء وراءه وإسقاط معاناته من دون إبراز ذاته، إذ حث قومه وأرشدهم، وكذا تحذيرهم إلا أن عدم

مبالاتهم هي التي أوصلتهم إلى ما وصلوا إليه من التمزق والاختلاف . ويتضح من خلال هذا التوظيف قدرة الشاعر في استثمار مضمون القصة القرآنية وتحميلها دلالات معاصرة ومجسدة لرؤيته .

قصة النبي إبراهيم عليه السلام :

تحمل قصة النبي إبراهيم في طياتها أحداثاً تتصل أبرزها في الجانب الفكري، وثورته على الأصنام ورفضه تعدد الآلهة، وتضحيته وإحراق قومه له بالنار، والمعجزة التي أيده الله بها، إذ سلب من النار خاصية الإحراق، فكانت عليه برداً وسلاماً، قال تعالى : "ولقد أتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين، إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون، قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلك من الشاهدين وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون"[١٠٥]، وقوله تعالى : "قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم"[١٠٦] .

نقرأ للشاعر محمد حسين الجعوشي من قصيدته (فصول منسية من مرافعة الخليل) يقول :

لقبي كان الخليل
كان لي بيت ومثل الناس كانت عائلة
عيشنا كان رغيداً آنذاك
فأخي يسرق أموال اليتامى

وأبي كان يبيع الآلهة

ولأني لم أكن أستمرئ العيش المهان

صرت معتادا على الكره فأُرمى وأُدان

....

امتطيت الثأر في غفلة قومي

وهوت كفاي بالفأس على الرب المزيف

....

وعلى ألسنة النار رموني

أيها الناس اتركوني

غير أني ما احترقت

فلقد عانقت في النار إلاهاً

أبيضاً كالثلج ذا وجه ملثم

قبّل العينين مني ثم تمتم

كوني برداً وسلاماً(١٠٧)

انتهج الشاعر في نصه هذا أسلوب الرمز المقنع كما مرّ بنا، وقد أفاد من القصة القرآنية في بسط قضايا وتجارب معاصرة، فكانت حياة النبي إبراهيم ــ عليه السلام – محل استلهام لما توافر فيها من معاني كثيرة، إذ كانت معجزة نجاته من النار رمزاً للطمأنينة التي يحس بها من يناله نصَب وهو يؤدي واجباً

مقدساً . ولجوء الشاعر إلى هذه القصة يمثل تصوره لمعالجة الوضع السياسي المحيط بالأحرار، وما تعانيه اليمن آنذاك من أزمات وأخذ الدروس، لاسيما تلكم القيم الخلقية النبيلة المتمثلة في التضحية والصمود، وانتصار الحق على الباطل وتقويض الطغيـان، لـذا وجب الاحتفـاء بمن قدس هذه القيـم والتأسي بهم .

د. خالد علي الغزالي

أستاذ الأدب والنقد المشارك

كلية التربية والآداب – خولان

المصادر والمراجع

١ – القرآن الكريم

٢ – الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الندوة الجديدة، بيروت ١٩٥١م .

٣ – أثر القرآن في الشعر الأندلسي، د. محمد شهاب العاني، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٢م .

٤ – أساس البلاغة، جار الله الزمخشري، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة بيروت: ١٩٧٩م.

٥ – الإشعاع القرآني في الشعر العربي، محمد عباس الدراجي، مكتبة النهضة، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧م .

٦ – الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، د. عائشة عبد الرحمن، دار المعارف القاهرة، ١٩٧١م .

٧ – الأعمال الكاملة، محمد سعيد جرادة، دار الهمداني عدن ١٩٧٨م .

٨ – الأعمال الكاملة، محمد أحمد منصور، دار الأمين القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م .

٩ – الأعمال الكاملة، لطفي جعفر أمان، مؤسسة ١٤ أكتوبر ٢٠٠١م .

١٠ – ألف باء اللزوميات، أحمد محمد الشامي، دار النفائس لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٠م .

١١ – إلياذة من صنعاء، أحمد محمد الشامي، دار الندوة الجديدة لبنان ١٩٧٢م .

١٢ – الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الثانية، دار الكتاب، بيروت١٩٨٠م .

١٣ – البداية والنهاية، لابن كثير، مكتبة المعارف بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٧م .

١٤ – التعبير الفني في القرآن الكريم، د. بكري شيخ أمين، دار الشروق بيروت، ١٩٧٩م .

١٥ – التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي، بيت الحكمة بغداد، ١٩٨٩م .

١٦ – تفسير ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير، دار الكتاب الحديث، الطبعة الأولى ، د. ت.

١٧ – تفسير الخازن، علاء الدين علي بن محمد البغدادي، دار المعارف للطباعة والنشر : د.ت.

١٨ – تفسير الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر العربي بيروت، ١٩٧٨م .

١٩ – الحيوان، عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، المجمع العربي بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٦٩م .

٢٠ – الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، مطبعة دار الكتاب القاهرة، ١٩٥٢م .

٢١ – الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية. عبد الله الغذامي، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٨م .

٢٢ – دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تعليق محمد رشيد رضا، دار المعرفة بيروت، ١٩٧٨م .

٢٣ – ديوان تحولات الضوء والمطر، شوقي شفيق، دار الفارابي بيروت، د.ت.

٢٤ – ديوان إكليل لامرأة قتبانية، جنيد محمد جنيد، دار الهمداني عدن، د.ت .

٢٥ – ديوان ألحان الشوق، أحمد محمد الشامي، بيروت، ١٩٧٠م .

٢٦ – ديوان الحزن الذي لم يمت، أحمد المآخذي، دار الأندلس بيروت، طبعة ١٩٨٦م .

٢٧ – ديوان الحضور في أبجدية الدم، إسماعيل الوريث، دار العودة بيروت، ١٩٨٤م .

٢٨ – ديوان الدروب السبعة، علي محمد لقمان، منشورات المكتب التجاري بيروت، ١٩٦٥م .

٢٩ – ديوان السفر إلى الأيام الخضر، عبد الله البردوني، دار الفكر دمشق، الطبعة الثامنة، ١٩٨٥م .

٣٠ – ديوان إيقاعات قدّاس معيني، القرشي عبد الرحيم سلام، دار الهمداني، الطبعة الأولى، عدن ١٩٨٤م .

٣١ – ديوان ابن شهاب العلوي، الهند، الطبعة الأولى : د.ت.

٣٢ – ديوان عبد العزيز المقالح، دار العودة بيروت، ١٩٨٦م .

٣٣ – ديوان على الشاطئ المسحور، محمد عبده غانم، عدن ١٩٤١م .

٣٤ – ديوان في المركبة، محمد عبده غانم، دار العودة بيروت، ١٩٧٩م .

٣٥ – ديوان في موكب الحياة، محمد عبده غانم، دار الآفاق الجديدة بيروت ١٩٧٣م .

٣٦ – ديوان ما لم تقله الغيوم، محمد حسين الجعوشي، دار الهمداني عدن، الطبعة الأولى ١٩٨٣م .

٣٧ – ديوان محمد محمود الزبيري، دار العودة بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٦م .

٣٨ – ديوان نسمات الربيع، صالح الحامد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة القاهرة، ١٩٣٦م .

٣٩ – رباعيات البيحاني، محمد سالم البيحاني، دار القلم بيروت، ١٩٨٢م .

٤٠ – زيد الموشكي شاعراً وشهيداً، عبد الله البردوني وآخرون، مركز الدراسات والبحوث صنعاء، ١٩٨٤م .

٤١ – صحيح مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج النيسبوري، تصحيح محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٨م .

٤٢ – علم البديع، دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة العربية ومسائل البديع، د. بسيوني عبد الفتاح، الطبعة الأولى ١٩٨٧م .

٤٣ – في أصول الخطاب النقدي الجديد، مجموعة من الباحثين، دار الشئون الثقافية العامة بغداد، ١٩٨٧م .

٤٤ – القصص القرآني في الشعر الأندلسي، د. أحمد حاجم الربيعي، دار الشئون الثقافية العامة بغداد، ١٩٩٢م .

٤٥ – لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن منظور، دار صادر بيروت، د. ت.

٤٦ – مجلة أبحاث اليرموك، العدد الثاني، الأردن ١٩٩٦م .

٤٧ – مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الأول، عمان الأردن، ١٩٩٧م .

٤٨ – مجلة فكر ونقد، العدد الثامن والعشرون، المغرب ٢٠٠٠م .

٤٩ – المضامين الدينية والتراثية في شعر اليمن الحديث، د. فضل مكوع، دار الضياء النجف، جمهورية العراق ٢٠٠٢م .

٥٠ – معجم مصطلحات الأدب، مجدي وهبه، مكتبة لبنان ١٩٧٤م .

٥١ – من بلاغة القرآن، د. أحمد بدوي، مطبعة نهضة مصر الطبعة الثانية، ١٩٥٠م .

٥٢ – نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، مطبعة الآداب القاهرة، ١٣١٧هـ .

٥٣ – واحد من الناس، عبده عثمان، دار الحرية بغداد، الطبعة الأولى ١٩٧٩م .

٥٤ – وثيقة حب، محمد عقيل الإرياني، دار الهيئة العامة للكتاب صنعاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م

الهوامش

١ – أستاذ الأدب والنقد المشارك – كلية التربية والآداب – خولان .
٢ – أساس البلاغة للزمخشري، مادة قبس .
٣ – سورة طه، آية ١٠ .
٤ – لسان العرب لابن منظور، مادة قبس .
٥ – الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني/ ٧٥ .
٦ – نهاية الإيجاز في دراية الأعجاز، فخر الدين الرازي/ ١١٢ .
٧ – مجلة الدراسات الأردنية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، خالد محمد هزيمة/ ١٢٩ .
٨ – علم البديع، دراسة تاريخية وفنية، د. بسيوني عبد الفتاح، ج٢/١٣٧ .
٩ – في أصول الخطاب النقدي، مجموعة من الباحثين /١٠٠ .
١٠ – الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، د. عبد الله الغذامي/٥٥ .
١١ – مجلة فكر ونقد، العدد الثامن والعشرون، عبد الستار الأسدي/٩٢ .
١٢ – ديوان ألحان الشوق/٣٧ .
١٣ – سورة الشمس، الآيات ٧، ٩، ١٠ .
١٤ – تفسير ابن كثير، ج٤/٢٢٦٨ .
١٥ – ديوان وثيقة حب، ج١/١٧٠ .
١٦ – سورة المعارج، آية ٤٢ .
١٧ – تفسير ابن كثير، ج٤/٢٢٦٨ .
١٨ – ديوان الدروب السبعة/١١٧ .
١٩ – سورة الإسراء، آية ١ .
٢٠ – ديوان في موكب الحياة/١٢١ .
٢١ – سورة المرسلات، الآيتان ١٢، ١٣ .
٢٢ – سورة العاديات، الآية ٤ .
٢٣ – ديوان على الشاطئ المسحور/٦٣ .
٢٤ – سورة يس، الآية ٢١ .
٢٥ – تفسير ابن كثير، ج٣/١٧٣١ .
٢٦ – ديوان الزبيري/٣٠٥ .

٢٧ – سورة النساء، الآية ١٤٣ .
٢٨ – ديوان إيقاعات قداس معيني/٦ .
٢٩ – سورة المنافقون، الآية ٤ .
٣٠ – سورة الحاقة، الآية ٧ .
٣١ – رباعيات البيحاني/٣٢ .
٣٢ – سورة البقرة، الآية ٢٠٤ .
٣٣ – ديوان ابن شهاب العلوي/٣٩ .
٣٤ – سورة آل عمران، الآيتان ١٠٦، ١٠٧ .
٣٥ – ديوان ابن شهاب العلوي/٣٣ .
٣٦ – البداية والنهاية لابن كثير/٣٣٥ .
٣٧ – زيد الموشكي شاعراً وشهيداً/٣١ .
٣٨ – صحيح البخاري، ج٢/كتاب الجمعة، رقم الحديث ٤٨٢، وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، ج٤/٤٩٢ .
٣٩ – الحيوان للجاحظ، ج٣/١٣١ .
٤٠ – الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني، ج١/٣١٢ .
٤١ – دلائل الأعجاز، عبد القادر الجرجاني/٣٠١ .
٤٢ – من بلاغة القرآن، أحمد بدوي/٦ .
٤٣ – التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي/١٣ .
٤٤ – ديوان على شاطئ الحياة/٣٣ .
٤٥ – سورة المسد، آية ١ .
٤٦ – مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي/٧٥ .
٤٧ – ديوان السفر إلى الأيام الحضر/٢٤ .
٤٨ – سورة النور، الآية ٣٥ .
٤٩ – ديوان الزبيري/٣٦٧ .
٥٠ – تفسير الخازن للبغدادي، ج٣/٣٣١ .
٥١ – ديوان تحولات الضوء والمطر/٢٣ .
٥٢ – سورة مريم، الآية٢٥ .
٥٣ – الأعمال الكاملة/٨٧ .
٥٤ – سورة الكهف، الآية ٤٥ .
٥٥ – ديوان على الشاطئ المسحور/٣٨ .

٥٦ — سورة القمر، الآية ٨ .
٥٧ — ديوان في المركبة/٥٧ .
٥٨ — سورة القيامة، الآيتان ٢٦، ٢٧ .
٥٩ — الأتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ج٢/٩٦ .
٦٠ — من بلاغة القرآن، أحمد بدوي/٧٥ .
٦١ — التعبير الفني في القرآن الكريم، د. بكر أمين/٢٠٣ .
٦٢ — التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي/١٩٦ .
٦٣ — أثر القرآن في الشعر الأندلسي، د. محمد شهاب العاني/٧٣ .
٦٤ — الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، د. عائشة عبد الرحمن/٢٥٨ .
٦٥ — الأعمال الكاملة/٦٥ .
٦٦ — سورة مريم، الآيتان ٢، ٣ .
٦٧ — سورة مريم، الآيتان ٢٢، ٢٣ .
٦٨ — سورة مريم، الآية ٢١ .
٦٩ — سورة مريم، الآية ٨ .
٧٠ — ديوان على الشاطئ المسحور/١٠٢ .
٧١ — سورة المزمل، الآية ١٠ .
٧٢ — سورة الإنسان، الآية ٢٥ .
٧٣ — ديوان الزبيري/٣٩٨ .
٧٤ — سورة الإخلاص، الآية ١ .
٧٥ — الأعمال الكاملة/١٩٥ .
٧٦ — ديوان نسمات الربيع/١٠٨ .
٧٧ — سورة الفرقان، الآية ٦٣ .
٧٨ — ديوان الدروب السبعة/١٤١ .
٧٩ — سورة الحاقة، الآيتان ٣٥، ٣٦ .
٨٠ — ديوان ألف باء اللزوميات/١٥١ .
٨١ — سورة المسد، الآيات ١، ٢، ٣ .
٨٢ — ينظر ديوان في موكب الحياة/١٢٤، ١٢٥ .
٨٣ — ينظر ديوان الزبيري/١٨٠ .
٨٤ — المضامين الدينية والتراثية في شعر اليمن الحديث، د. فضل مكوع/١٠٢ .
٨٥ — أثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي/١٠٧ .

٨٦ – ينظر القصص القرآني في الشعر الأندلسي، د. أحمد حاجم الربيعي/٦ .
٨٧ – ينظر الإشعاع القرآني في الشعر العربي، محمد عباس الدراجي/١٥١ .
٨٨ – ديوان المقالح/٢٣٧ ، ٢٣٨ .
٨٩ – سورة المائدة، الآيات ٢٧ ، ٣١ .
٩٠ – ديوان إيقاعات قداس معيني/٨٥ .
٩١ – ديوان واحد من الناس/٤٣ .
٩٢ – سورة سبأ، الآيتان ١٥ ، ١٦ .
٩٣ – إلياذة من صنعاء/١٥٣ .
٩٤ – ينظر تفسير الطبري، مجلد ٨/٥٣ .
٩٥ – ديوان إيقاعات قداس معيني/٧٤ .
٩٦ – ديوان إكليل لامرأة قتبانية/٤٩ .
٩٧ – سورة الفيل .
٩٨ – ديوان واحد من الناس/٨٠ .
٩٩ – ديوان المقالح/٢٩٣ .
١٠٠ – سورة المائدة، الآية ١١ .
١٠١ – ديوان واحد من الناس/١٠٥ .
١٠٢ – ديوان الحضور في أبجدية الدم /٢٢٥ .
١٠٣ – سورة العنكبوت، الآيتان ١٤ ، ١٥ .
١٠٤ – ديوان المقالح/٣٤، ٣٦ .
١٠٥ – سورة الأنبياء، الآيتان ٥١ ، ٥٨ .
١٠٦ – سورة الأنبياء، الآية ٦٩ .
١٠٧ – ديوان ما لم تقله الغيوم/٦٣، ٧٠ .



ابن المقرب

ديــوان الدولــة العيونية

إعداد : دكتور محمود عطية

امتازت البحرين طوال تاريخها بوجود عدد كبير من فطاحل شعراء العربية . وقد جادت هذه الأرض الطيبة منذ القدم بعدد كبير من الشعراء المتميزين الذين تجاوزت شهرتهم حدود البحرين وسجلوا أسماءهم بسطور واضحة في ديوان الشعر العربي . . وقد بدأت هذه السلسلة العظيمة بشاعر المعلقات الكبير طرفة بن العبد وخاله المتلمس وابن المقرب العيوني وصولاً إلى الشيخ خالد بن محمد آل خليفة وإبراهيم العريض وحتى غازي القصيبي وحسن كمال . . والوثيقة في هذا العدد تعرض في سطور دراسة عن الشاعر ابن المقرب العيوني الذي يعتبر بحق المؤرخ الحقيقي والموثق لدولة العيونيين في البحرين .

العيوني بالبحرين





ربما يكونٍ شاعرنا الفحل "علي بن المقرب العيوني" بشعره يمثل تجسيداً لمقولة العرب القديمة والشهيرة "الشعر ديوان العرب" . . فلقد نظر بعض المؤرخين والنقاد من العرب للشعر على أنه يحمل في طياته وثيقة تاريخية وبيئية يمكن الاعتماد عليها في التعرف على أحوال العرب وبيئاتهم وثقافتهم وتاريخهم ومجمل أحوالهم ولخص ذلك قولهم "الشعر ديوان العرب" . . وفي شعر ابن المقرب العيوني تلحظ سريعاً أبعاد هذه المقولة وتمكنها من شعره حيث تراه بحق "ديوان الدولة العيونية" . . !

فقد كان ابن المقرب العيوني عالماً بالأنساب والأيام وحوادث التاريخ وتفاصيل الدولة العيونية كما عاشه ملماً بعلم الفلك . . وعارفاً بمشاهير الرجال ممن يمثلون علامات ورموزاً لأمتنا في الشجاعة والمروءة والعدل والكرم والزهد والتصوف والبلاغة والفصاحة . . كل ذلك جعل شعره يتضمن معلومات تاريخية وحكماً . . فقد دخل هذا الاتجاه في الكثير من أغراضه الشعرية، وقد لا نجد له قصيدة تخلو من عبر التاريخ ومواعظه . . وفي فوائحه وتضميناته التاريخية أبدى إلماماً واسعاً بنواحي التاريخ وحوادثه، حتى استحق أن يعد أحد رجالات التاريخ في عصره . . وأنه ديوان الدولة العيونية .

وشاعرنا ابن المقرب العيوني ولد في منطقة العيون من البحرين (مدينة العيون حالياً) في (٥٧٢-٦٣٠هـ / ١١٧٦-١٢٣٢م) ويعد أحد الشعراء المشاهير في العصر العباسي الثاني، من شعراء الدولة العيونية . . وتؤكد الروايات صحة هذا التاريخ بإجماع المؤرخين الذين عاصروه وكتبوا عنه مثل ابن الشعار الموصلي حيث قال نقلاً عن ابن المقرب نفسه :

"أخبرني أنه ولد بالعيون في سنة اثنين وسبعين وخمسمائة" . . وقد تعلم على ما يبدو في الاحساء . . إذ ليس هناك ما يدل على خروجه لطلب العلم في شبابه . إلا أن الدارس لشعره وثقافته يكاد يجزم أنه قد نال حظاً وافراً من العلم والمعرفة في شبابه المبكر .

وقد نظم ابن المقرب العيوني في أكثر الآراء الشعر قبل بلوغه سن العاشرة . وكان لنشأته في بيئة دينية أثر في أخلاقه وسيرة حياته وعاش في ظل الدولة العيونية التي حكمت مناطق الاحساء في وقت كانت فيه الخلافة العباسية ضعيفة تحتضر في آخر أيامها . . وقد سجنه أمير الاحساء محمد بن علي بن عبدالله، وصادر أملاكه ظلماً . . فاضطر إلى الارتحال إلى بغداد . . وبعدما

خرج من سجنه، عاد إلى موطنه ثم توجه قاصداً ديار بكر يريد لقاء الملك الأشرف بن العادل فأخبر أن الأشرف نهض إلى دمياط لملاقاة الإفرنج، فنزل إلى الموصل ومدح واليها، ثم عاد إلى الاحساء، كما ارتحل إلى القطيف، وكان يحدث الناس بشعره حيثما حل، ويتغنى بمسقط رأسه شوقاً وحنيناً . ومدح عدداً من الخلفاء العباسيين، منهم الناصر لدين الله، والظاهر، والمستنصر بالله، والسلطان بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، ومما قاله في لؤلؤ :

حُطّوا الرحال فقد أودى بها الرُحَلُ ما كُلِّفت سيرها خيلٌ ولا إبــل

بلغتـم الغـاية القصـوى فحسبكمُ هذا الذي بعلاه يضـرب المثـل

وقد كان لتنقله وارتحاله ومقابلة العلماء والأدباء ومواظبته على الأخذ عن العلماء أثر في اكتساب قدر كبير من العلم والمعرفة بدا ذلك في شعره، فقد كان واضحاً أنه (عالم بالأنساب والأيام وحوادث التاريخ، وتفاصيل الدولة العيونية، ملمٌّ بعلم الفلك، عارفٌ بمشاهير الرجال ممن يمثلون علامات ورموز لأمتنا في الشجاعة والمروءة والعـدل والكرم والزهد والتصوف والبلاغة والفصاحة) .

وقد ورد ذكر العيوني في كتاب (الأعلام)، لخير الدين الزركلي، فقال : "شاعرٌ مجيدٌ، من بيت إمارة . نسبته إلى حي العيوني في مدينة "المبرز"، وهو من أهل الاحساء – غربي الخليج العربي – . اضطهده أميرها "أبو المنصور علي بن عبدالله بن علي" وكان من أقاربه، فأخذ أمواله وسجنه مدة ثم أفرج عنه، فأقام على مضض . رحل إلى العراق ومكث في بغداد أشهراً . وعاد فنزل في "هجر"، ثم في "القطيف"، واستقر ثانية في بلده الاحساء، محاولاً استرداد أمواله وأملاكه، ولم يفلح . وزار الموصل سنة ٦١٧هـ، للقاء الملك الأشرف بن

العادل، فلما وصل إليها، كان الأشرف قد بارحها لمحاربة الإفرنج في "دمياط" . اجتمع به في الموصل "ياقوت الحموي"، وروى عنه بيتين من شعره، وذكر أنه "مدح بالموصل بدر الدين لؤلؤاً وغيره من الأعيان، فأرفدوه وأكرموه، وعاد بعد ذلك إلى البحرين، فتوفي بها، أو ببلدة "طيوي" من عمان، له ديوان شعر" .

وقد جاء في مقدمة ديوانه أنه شاعر "جميل الأحدوثة والصيت، وكرم النفس المتوافر، ونزاهتها ومجدها المتكاثر، والتمسك بالدين والعفاف، وحسن الخلق والإنصاف، فلم يقصر عن الكمال بفوت فضيلة، ولا دنّس عرضه بارتكاب رذيلة، بل كمُل فضلاً وخلقاً، وأخذ من كل نفيس حظاً وحقاً، ومع ذلك فقد نظم بدائع الكلم، قبل بلوغ أوان الحلم، وبرُز على الكهول في الشعر، ولم يزد سنه على عشر، ولم يخرج منه القريض لاكتساب مال، أو لفاقةٍ ورثاثة حال" . توفي ابن المقرب في البلدة التي ولد فيها .

وقيل عنه في أغلب المراجع أنه كان شاعراً مجيداً محسناً، من فحول الشعراء، مليح معاني الشعر، جزل الألفاظ، فصيح العبارة، وقيل أنه "أحد الشعراء الموصوفين المشاهير . أقر بالحذق له أئمة العراق من ذوي الأدب والعلم، ومذهبه في الشعر مذهب الشعراء المتقدمين في جزالة الألفاظ وإبداع المعاني" .

كما قالوا فيه : "فريد دهره، وهو المتقدم على متقدمي عصره، حسن السبك في شعره، جزل الألفاظ في كلمه، كثير الأمثال في نظمه، ولم يتكسب بالشعر لعطايا، ولم يمتدح ذا ثروة في البرايا، وإنما كان مديحه في أكثره في أهل بيته وعشيرته وهم ملوك البحرين" .

قيمة تاريخية

ولشعر ابن المقرب قيمة تاريخية "تتمثل في حفظه تاريخ الأسرة العيونية التي حكمت إقليم الاحساء والقطيف وهجر والبحرين أكثر من قرن ونصف القرن" وأغفلت معظم كتب التاريخ أخبارها . ومن شعره :

ومبديـة تيهـاً عليّ وقـد رأت ... بياضـا برأسي قد بدا منه ريعـان
فقلت لها لا يا ابنـة القوم إنني ... أعِـزُّ إذا ذلت كهـول وشبـانُ
وإنـي لـمـن قوم أبـاة أعـزة ... مصاليت ما خاموا قديماً ولا خانوا
لي النسبُ الوضاح قد علمت به ... معدٌّ إذا عُـدَّ الفخـار وعدنـان

وقيل إن الحركة الأدبية في نجد وشرق الجزيرة العربية كادت أن تكون نسياً منسياً طوال ألف عام على وجه التقريب لولا ظهور شاعر ينتمي إلى الأسرة العيونية، وهو علي بن المقرب العيوني الذي كان له الفضل في تكوين تدوين تاريخها، وتسجيل أحداثها في شعره الغزير الذي يعد مرجعاً هاماً في التاريخ السياسي لهذه البلاد، ويعطي صورة واضحة مميزة عن الشعر العربي حتى في قلب الجزيرة العربية آنذاك .

والقارئ لديوان ابن المقرب يستطيع أن يجمع فكرة شاملة للحياة السياسية بالبحرين في زمنه، كما أنه يمكن للباحث في شعره أن يتلمس من خلاله بعض صور الحياة العامة المعاصرة له . . فشعر ابن المقرب يكاد يكون وحده — بالنسبة لتاريخ الدولة العيونية خاصة وتاريخ الجزء الشرقي من بلاد العرب عامة — هو أحد المصادر المباشرة التي تمدنا بوصف كامل للصراع على

السلطة والحكم في تلك الحقبة من الزمن حتى قال الكثير من دارسي الأدب والتاريخ أنه لولا شعر ابن المقرب لضاع ذلك التاريخ أو معظمه .

وبالتأكيد من يقرأ التاريخ يجد أن هناك دولاً وحضارات سادت ثم بادت لم يبق منها إلا ماسجله مؤرخ أو ماتغنى به شاعر . . خاصة إذا كان هذا ذ الشاعر من أبناء أسرة حكمت هذه الدولة فإنك تجد في شعره دلالات واضحة على معاني هذه الدولة وأماكن مجدها ورموز عزها . . وإذا كانت الدولة العيونية التي نشأت في البحرين وكانت تضم المنطقة الشرقية من عام ٤٦٩هـ-٦٢٦هـ، والتي أسسها عبدالله بن علي محمد بن إبراهيم بن محمد العبدي القيسي الربعي نسباً العيوني سكناً إلى قرية العيون شمال شرق الاحساء، قد كان لها دور قوي في التاريخ الإسلامي بلغت فيه شأناً بعيداً في المجد والرفعة، مما جعل شاعرها المشهور (علي بن المقرب بن منصور بن المقرب) المولود عام ٥٧٢هـ وتوفي على أرجح الأقوال عام ٦٢٩هـ يتغنى ببعض مصايفها ومشافيها. كما أنه يحن إلى بلاد أخواله (بني حنيفة) والممتدة من ديارهم جنوباً إلى الخرج وأطراف الجبال (علية) فها هو يحن إلى بلاد عاش فيها مع أخواله حيث قال في مدح محمد بن سعود بن أبي الحسين :

لله أيـام الصبـا إذ دارنـا   حجر القرى ولنا بإِجْلة معهد

فحجر القرى هي : مدينة الرياض، أما (إِجْلة) فهي كما قال عنها صفي الدين البغدادي : قرية في اليمامة، وقال عنها ياقوت في معجمه : إِجْلة بالكسر ثم السكون : من قرى اليمامة عن الحفصي .

وديوان ابن المقرب من الدواوين الكبيرة، وله شهرة قديماً وحديثاً، وقد طبع ست طبعات، آخرها في الكويت، صدر عن مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري .

أصل مدينة العيون

ومدينة العيون تقع في المنطقة الشرقية غربي الخليج العربي بنحو خمسين كيلومتراً وتبعد عن مدينة "الاحساء" بخمس وعشرين كيلومتراً شمالاً وجنوبي مدينة الدمام بنحو مائة وعشرين كيلومتراً . وشرقي العاصمة الرياض بنحو ثلاثمائة وخمسين كيلومتراً ويمر بطرفها الغربي طريق الدمام الاحساء السريع وترتبط بميناء العقير التاريخي على ساحل الخليج العربي بطريق مباشر يبلغ طوله ست وسبعون كيلومتراً . وتقع بين خطي الطول ٣٠ — ٤٩ و ٤٠ — ٤٩ وخطي العرض ٣٠ — ٢٥ و ٤٥ — ٢٥ م . ويعود أصل تسمية العيون إلى وفرة العيون والينابيع بها، ويذكر الشيخ حمد الجاسر نقلاً عن شرح ديوان ابن المقرب (١٣٠٧هـ) أن العيون ناحية الشمال من الاحساء من البحرين زعموا أنه كان بها أربعمائة عين كلها تجري وتسقي بساتين .

والعيون مدينة ذات تاريخ عريق موغل في القدم، وقد جاء ذكرها في العديد من المصادر التاريخية والجغرافية والأدبية . وقد دلت ملامح الاستيطان البشري في المنطقة على وجود آثار حضارة العُبيد في موقع "عين قناص" بمدينة العيون (٢٥٠٠-٤٥٠٠ق.م) . وأقدم ما جاء من ذكر العيون، ما ذكره ابن الكلبي المتوفي سنة ٢٠٤هـ ونقله البكري المتوفي سنة ٤٨٧هـ في كتابه معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع حيث يذكر : "ونزلت عامر بن الحارث بن إنمار بن

عمرو بن وديعة بن وكيز بن أفصى بن عبدالقيس، والعمور وهم بنو الديل بن عمرو، ومحارب بن عمرو، وعجل بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى، ومعهم عميرة بن أسد بن ربيعة حلفاء لهم الجوف والعيون والاحساء وذلك عند ذكره لافتراق ربيعة والي العيون ينسب العيونيون بنو عبدالقيس الذين أزالوا حكم القرامطة من المنطقة وتغلبوا عليهم وبسطوا نفوذهم على ما يعرف قديماً بالبحرين من الكويت شمالاً حتى عمان جنوباً، وأطراف اليمامة غرباً فيما بين (٤٦٦-٦٣١هـ) ومنهم شاعرنا علي بن المقرب العيوني .

وقد ذكر العيون في كثير من شعره :

"ترى حيث أعلام العيون تراهـا   فخلّـوا لأعنـاق المطيّ براهـا"

وكذلك :

"وهل أرين العيس تهوي رقابها   بنا حيث أنقاء العيون الشواهق"

وكذلك :

رعى الله الثليـم وسـاكنيـه   وأجزاعـاً تكنفهـا الثـلام

وجاد من الجديد إلى المصلى   إلى الحصنين وكاف رُكام

فمسرح لذتـي ومراح لهـوي   هنـا لكم وجيرتي الكـرام

وينتمي أهل العيون إلى قبائل عربية استقرت فيها منذ القدم، وقد اكتسب أهل العيون لذلك مجموعة من الصفات العربية الحميدة، كالكرم والنخوة العربية . ويبلغ عدد سكان مدينة العيون نحو ٥٢,٠٠٠ نسمة وفق دراسة أعدتها الجمعية الوطنية للسكان في عام ٢٠٠٨م .

علاقته بأمراء العيونية

ولقد كان ابن المقرب لصيقاً ببعض أمراء الدولة العيونية الذين تولوا الحكم بعد مؤسس الدولة العيونية "عبدالله بن علي" مثل محمد بن الحسين، الذي قويت الدولة في عهده، وكان مقرباً من هذا الأمير وناشده بأن يأخذ من خزينته ما يشاء . ولكن ابن المقرب كان يترفع عن طلب المال ويقول : "والله ما قلت ما قلت وذكرت ما ذكرت لشيء من الجوائز ولا زيادة المال، وإنما ذلك كان مني إذ رأيتك أهلاً لما ذكرت فوضعته في موضعه" . ولما قتل الأمير محمد بن أبي الحسين، وبدأ الصراع بين أمراء الدولة قلّت علاقته بالأمراء فقد زجوا به للسجن وأخذوا أمواله منه .

رحلات ابن المقرب

خرج ابن المقرب إلى بغداد أوائل سنة ٦٠٤هـ أو في سنة ٦٠٣هـ . وكان أول من كانت للشاعر معهم صلة من أعيان العراق أمير البصرة شمس الدين باتكيت، وأيضاً ابن الشعار الموصلي وياقوت الحموي و "أبي البقاء العكبري"** وكان ذلك في العهد العباسي . وقد مدح ابن المقرب الناصر لدين الله وأيضاً التقى ببغداد بأحد رجال الدولة العباسية وهو (فخر الدين أبو عبدالله المحسن بن هبة الله الدوامي) سنة ٦١٤هـ وقد مدحه بإحدى قصائده . والتقى أيضاً بالشيخ (محب الدين الواسطي) أحد أئمة الشافعية ببغداد . ومن المؤكد أن ابن المقرب كان يخرج مع أهله إلى أطراف البحرين مثل نجد وأقام فيها حيث قال :

لله أيام الصبا إذ دارنا حجر القرى ولنا بإجُلة معهد

ولعل إقامته بنجد للإرتياح والاصطياف كما جرت عادة أهل البحرين . . وله أيضاً أبيات أخرى يحن فيها إلى ربوع العيون ويستعيد ذكرياته فيها مع جيرته الكرام في قوله :

رعى الله التليم وساكنيه وأجراعاً تكنفها الثلام

وجاد من الجديد إلى المصلى إلى الحصنين وكاف ركام

بمسرح لذتي ومراح لهوي هنالكم وجيرتي الكرام

في نظمه ترى الحماسة والأمثال الجيدة مع البلاغة المستحسنة، وقد أصابته من بني عمه نكبات أوجبت له تجشم الغربات وفي ديباجة شرح ديوانه شرح لما لقيه من زمانه وهو مبذول .

قال في اغترابه :

في كل أرض إذا يممتها وطن مابين حر وبين الدار من نسب

إذا الديار تغشّاك الهوان بها فخلِّها لضعيف العزم واغترب

وقال :

فإن ساءتك أخلاق أهله فدعه فما يغضي على الضم ماجد

فما هجر أمّا غذتك لبانها ولا الخط أن فارقتها لك والد

وقال :

خلياني من وطاء ووساد لا أرى النوم على شوك القتاد

واتركاني من أباطيل المنى فهي بحر ليس يروى منه صادي

إنما تدرك غايات المنى بمسير أو طعان أو جلاد

من ذاكرة ابن المقرب

ويتساءل أحد الباحثين : ماذا أعطت سنوات عمر ابن المقرب، من صفاء أو جفاء، منذ مولده عام ٥٧٢ هجرية ببلدة العيون،حتى وفاته عام ٦٣٠هـ ببلدة طيوي في عمان ؟ . . وأجاب : لقد أعطته كل هذه السنين، كمًّا هائلاً من معاناة التشرد والعذابات، والرحيل عبر المنافي البعيدة عن وطنه، ثم الضنك والأوجاع والنوائب . . وفي نظره، أن المرء إذا كان مخلصاً مع نفسه على الأقل، لا يستطيع أن يهرب من ماضيه، لأنه لا يمكنه أن يهرب من نفسه، وتلك هي المأساة . . فهو تحديداً، منذ ما يزيد على خمسة وعشرين عاماً بقليل، في الفترة ما بين عام ٦٠٥هـ حتى عام ٦٣٠هـ، مشرد عن وطنه، ومتوقف عن المشاركة في اتخاذ القرار فيما يختص بشئونه، لكنه كان شعلة نيرة في مجال مواقفه وذاكرته وأدبه .

في البداية نرى موقفه من سلوك القرامطة، إذ على يد المؤسس الأول من الدولة العيونية، زال القرامطة من شرق الجزيرة العربية — والقرامطة جعلوا تأدية الصلاة والصيام، مسألة شخصية لا علاقة لها بالأوامر الشرعية، بينما الصلاة والصيام ركنان رئيسيان من الأركان الخمسة التي يقوم عليها الإسلام . وما من فرقة من الفرق الإسلامية الرئيسية ترى إلغاء أي ركن من أركانها الخمسة . . إذ يقول فيهم :

وأبطلوا الصلوات الخمسة وانتهكوا   شهر الصيام ونصُّوا منهمُ صنماً

فمن منطلق إلغاء الصلاة والصيام، انبث الرعب في نفوس أبناء المنطقة الشرقية، وبذلك هجرت مساجدها، وقام أتباع القرامطة بتدميرها، وعندها يقول ابن المقرب :

وما بنوا مسجداً لله نعرفه بل كل ما أدركوه قائماً هُدما

ثم كان له موقف حين نشب الصدام بين القوة السلجوقية المهيمنة، والقوة العيونية الناشئة والفتية وقد كان هدف السلاجقة ينحصر في البدء في مزيد من المكتسبات الإقليمية، بغية بسط نفوذهم وسيادتهم على هذه البقعة، ولكن تمكن عبدالله بن علي، مؤسس الدولة العيونية، من القبض على القائد السلجوقي البقوش، الذي قدم مع أخيه إكسلار لمساعدته في القضاء على القرامطة عام ٤٦٩هـ - ١٠٧٥م، وذلك بعد مغادرة أخيه منطقة البحرين مما مكن عبدالله بن علي العيوني من الاستقلال بحكمها . . فعند وصول خبر مقتل البقوش إلى بغداد، جهزت السلطة العباسية قوة عسكرية قوامها ألفا فارس بقيادة ركن الدين السلجوقي الذي حاصر الأمير عبدالله في قصره بالاحساء . . فصاح ابن المقرب قائلاً :

والشركسية إذ جاءت تطالبنا دم النفوس وفينا تقسم القسما

وقال كذلك :

ضربنا وجوه الشركسية دونه وأقفاءها بالسيف حتى تثلما

وفي موقف آخر، من مواقف فترة التأسيس للإمارة العيونية، قال ابن المقرب في عبدالله بن علي (٤٨٤هـ/١٠٩٠م) مؤسس هذه الإمارة، الذي جعل الحكم وراثياً في أبنائه خاصة . وإن شارك في الحكم أمراء عيونيون آخرون، أما أبناؤهم فهم : أبو علي الحسن وفضل (وأبو مسيب) ومسعود وماجد، وضبار (أو صبار كما يرد أحياناً) .

وعاقب قومي الغُرُ عقوبةٍ وخصص من ينمي عليٌ وعبدلُ

أصاب الإمارة العيونية الضعف والانقسام بين آل الحسن وآل أبي منصور، لكنها فجأة تتوحد على أيدي عماد الدين محمد بن أبي الحسين أحمد بن أبي

سنان محمد بن الفضل (٥٨٧هـ/١٢٠٨م) . . وقد عكس شعر ابن المقرب صرامة هذه الشخصية الفريدة، في اتخاذ القرار وفي حزمه على التنفيذ وقمع المتمردين والمتآمرين، فيقول :

أجرى نزاراً كيف شاء ويعرُباً بالكره من مرادها، وعُتاتِها
ما حاربته قبيلةٌ إلا غدت أحياؤها وفداً على أمواتها

وقد تميز عهد الأمير محمد بالأمن والرخاء على الرغم من كثرة الحروب التي كان يشنها على أعدائه، ومجابهته المستميتة للضربات الخارجية . . وتحولت البحرين بفضل الأوضاع الاقتصادية المزدهرة إلى خصب وانتعاش، أجاد ابن المقرب حين قارنها بجنة مأرب، فقال :

كانت به البحرين جنة مأرب أيام بهجتها وطيب حياتها

وكان الأمير محمد، حريصاً كل الحرص على إشاعة العدل والرخاء بين رعاياه، ولا غرو في ذلك، (فهو جواد كريم، لا يترك محتاجاً لحاجته، يحب الخير للجميع، وهو في نفس الوقت شديد على أهل الجور والاعتداء، ثم هو يزيل الروع من النفوس التي أحدثت جرماً فخافت العقاب، وأكثر من ذلك كله، كان محمد يكره اقتتال القبائل بعضها للبعض، فكان يتوسط فيما بينها، فيزيل خلافاتها وأحقادها) – على حد تعبير الدكتور العماري –، فقد قال فيه ابن المقرب :

وكم راجل أمسى بنعماه فارساً وكانت صفايا ماله المعز والضانُ
وكم من حريبٍ راح نهباً سوامُهُ فراحَ عليه للكآبة عنوانُ
فلما أتاه شاكياً من زمانه غدا من عطايا كفه وهو جُذلانُ

من ديوانه الشعري قال :

ولم يدر أني ماجدٌ شفَّ جسمه لقاءُ همومٍ خيلها أبداً تردي

قليل الكرى ماضٍ على الهول مقدم　　على الليل والبيداء والحر والبرد
عـدمت فـؤاداً لا يبيتُ وهمُّـه　　كرام المساعي وارتقاءٌ إلى المجد
لعـمري ما دعـد بهمي وإن دنت　　ولا لي بهندٍ من غرام ولا وجد
ولكن وجـدي بالعلا وصبابتـي　　لعارفةٍ أسدى ومكرمة أجـدي
إلى كم تقاضـاني العلا ما وعدتـها　　وغير رضا إنجازك الوعد بالوعدِ
وكم أندب الموتى وأسترشح الصفا　　وأستنهض الزمني وأعتان بالرمد
وأمنح سـعي والمـودة معشـراً　　أحق بمقتٍ من سـواعٍ ومن وَدّ
إلى الله أشـكو عثرة لـو تدوركت　　بتمزيق جلدي ما أسفت على جلدي
مديحي رجـالاً بعضهم أتقى بـه　　أذاه وبعضـاً للمراعـاة والـودّ
فلا الودّ كاف ذا ولا ذا كفى الأذى　　ولا نظروا في باب ذم ولا حمد

كما قال :

فكيف بهم لـو جئتهم متشـكياً　　خصاصة أيامي وسمتهُم رفـدي
فكنت وإهـداء المديـح إليهـم　　كغابـط أذنـاب المهلبـة العقـد
وقـائلـة هـوِّن عليـك فإنهـا　　متـاع قليل والسلامة في الزهـد
فإن علت الروس الذنابى لسكـرة　　من الدهر فاصبر فهو سكرٌ إلى حد
فقد تملك الأنثى وقد يلثم الحصى　　ويتبـع الأغـوى ويُسجـد للقـرد
ويعلو على البحـر الغثـاء ويلتقي　　على الدر أمواج تزيـد على العـد
وكـم سـيِّد أمسى يُكفـر طاعـةً　　لأسـود لا يزجي لشكمٍ ولا شـكد
ولابد هذا الدهر من صحو سـاعةٍ　　يبين لنـا فيها الضلال من القصـد
فقلت لهـا : عني إليـك فقلَّمـا　　يعيش الفتى حتى يوسد في اللحـد

أبى الله لي والسوددان بأن أرى بأرض بها تعدو الكلاب على الأسد
ألم تعلمي أن العتوّ نباهةٌ وأن الرضا بالذل من شيمة الوغد
وأن مداراة العدو مهانة إذ لم يكن من سكرة الموت من بُدِّ
أأرضى بما يرضي الدنيّ وصارمي حسامٌ وعزمي عزم ذي لُبدة ورد
سأمضي على الأيام عزم ابن حرة يفدى بآباء الرجال ولا يفدى
فإن أدرك الأمر الذي أنا طالب فياجد مستجدٍ ويا سعد مستعد
وإن اخترم من دون ما أنا آمل فيا خيبة الراجي ويا ضيعة الوفد

وجاء في شعره :

وإني من قوم يبين بطفلهم لذي الحدس عنوان السيادة في المهد
فإن لم يكن لي ناصر من بني أبي فحزمي وعزمي يغنيان عن الحشد
وإن يدرك العليا همامٌ بقومه فنفسي تناجيني بإدراكها وحدي
وإني لبدر ريع بالنقص فاستوى كمالاً وبحر يعقب الجزر بالمد
إذا رجفت دار العدو مخافتي فلا تسألاني عن سعيد ولا سعد
فآه لقومي يوم أصبح ثاوياً على ماجد يحيي مكارمهم بعدي
وإني في قومي كعمرو بن عامر ليالي يعصي في قبائله الأزد
أراهم أمارات الخراب وما بدا من الجرذ العياث في صخرها الصلد
فلم يرعووا مع ما لقوا فتمزقوا أيادي سبا في الغور منها وفي النجد
وكم جرذٍ في أرضنا تقلع الصفا وتقذف بالشم الرعان على الصمد
خليليّ ما دار المذلة فاعلما بداري ولا من ماء أعدادها وردي
ولا لي في أن أصحب النذل حاجة لصحة علمي أنه جرب يعدي

أيذهب عمري ضلّة في معاشر   مشائيم لا تُهدى لخير ولا تَهدي
سهادهم فيما يسوء صديقهم   وأنوَمَ عن غمّ العدو من الفهد
إذا وعدوا الأعداء خيراً وفوا به   وفاء طغام الهند بالنذر للبد
وشرهم حق الصديق فإن هذوا   بخير له فلينتظر فتحة السد
ستعلم هنا أنني خير قومها   وأني الفتى المرجو للحل والعقد
وأني إذا ما جلّ خطب وردته   بعزمة ذي جد وإقدام ذي جد
وأن أيادي القوم أبسطها يدي   وإن زناد الحي أثقبها زندي

وقال في شعره أيضاً :

وأني متى يدعى إلى البأس والندى   فأحضرها نصري وأجزلها وردي
وأن كرام القوم لا نُهز العدى   ليوجعها عتبي ويؤلمها فقدي

وقال :

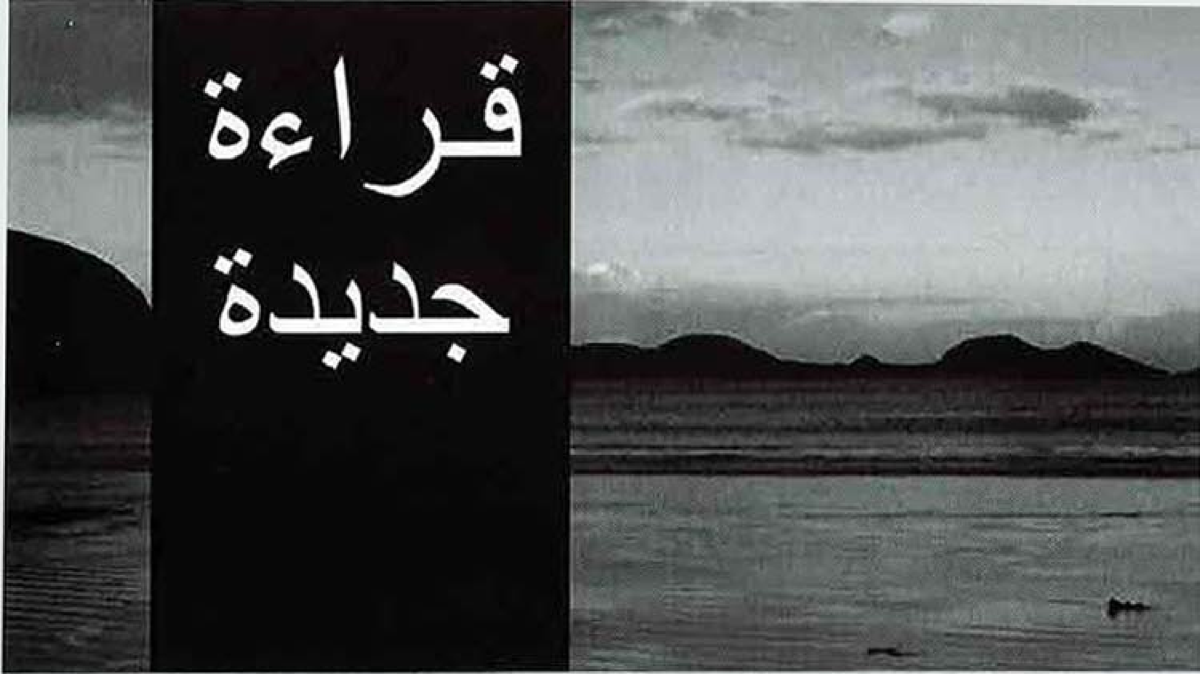
غداً نغتذي للبين أو نتروح   وعند النوى يبدو الغرام المبرّح
غداً تقفر الأطلال ممن نوده   ويمسي غراب البين فيها ويصبح
غداً تذهب الأظعان يمنة ويسرة   ويحدو تواليها نجاح ومنجح
فيا باكياً قبل النوى خشية النوى   رويداً بعين جفنها سوف يقرح
ولا تعجلن واستبق دمعك إنني   رأيت السحاب الجون بالقطر ينزح
إذا كنت تبكي والأحبة لم يرد   ببينهم إلا حديث مطوح
فكيف إذا ما أصبحت عين مالك   وحبل الغضا من دونهم والمسيَح
فكف شئون الدمع حتى تحثها   غداً ثم تهمي كيف شاءت وتسفح
خليلي هبا من كرى النوم وانظرا   مخائل هذا البرق من حيث يُلمح

لقد كدت مما كاد أن يستفزني أبـوح بسـري في الهـوى وأصرِّح
ذكرت به ثغر الحبيب وحسنه إذا مـا تجلى ضـاحكاً وهو يمـرح
ويا حبذا ذاك الجبين الذي غـدا يلـوح عليـه الزعفـران المـذرَّح
فكم ليلة قد كاد يخطف ناظري ونحـن بميـدان الدعـابة نمـرح

ولنختتم هذه الزيارة السريعة لشعر وتاريخ ابن المقرب "ديوان الدولة العيونية" بأبياته المليئة بالتعجب والعتاب :

ماذا بنا في طلاب العز ننتظر بأي عـذر إلى العليـاء نعتـذر ؟
لا عز قومك كم هذا الخمول وكم ترعى المنى حيث لا مـاء ولا شجـر
فاطلب لنفسك عن دار الأذى بدلاً إن جنة الخلد فاتت، لم تفت سقر

إعداد د. محمود عطية



قراءة جديدة

استقر في وجدان الناس وأفهامهم منذ زمن بعيد أن معظم العرب ارتدوا عن الإسلام عقب وفاة النبي ﷺ وقام أبو بكر الصديق ﷺ بمحاربتهم فيما يعرف بحروب الردة حتى عادوا إلى إسلامهم من جديد . وبنى بعض المستشرقين وبعض الكتاب المحدثين على هذا التعميم فقالوا إن هؤلاء العرب المرتدين لابد وأنهم اعتنقوا الإسلام كرها، وأن قبولهم لهذا الدين الجديد كان "وليد اعتبارات سياسية ومساومات ناشئة عن ضغط القوة والعنف"[1]، وأن حركة الردة التي قاموا بها كانت حركة قومية عظيمة"[2]، ويفسرون هذه الحركة بأنها تدل على أن هؤلاء



لما قيل عن ردة أهل البحرين

بقلم: الدكتور رجب محمد عبد الحليم

المرتدين كانوا مسلمين من حيث الشكل، وأن إسلامهم كان إسلاما سطحياً لأنه جاء متأخراً قبيل وفاة النبي ﷺ في العام التاسع والعاشر للهجرة[٣]، وأن هذا الإسلام أتى متابعة لزعمائهم طمعاً في مكسب مادي أو دفعاً لخطر محتمل، ولما رأى هؤلاء المرتدون أن هذا الإسلام يتناقض كثيراً مع كثير من مثل الجاهلية التي ألفوها، ويحرمهم من متع الحياة التي اعتادوا عليها وخاصة في الخمر والنساء والغناء، ارتدوا عن هذا الدين وقاموا في وجه أبي بكر وكادوا يقضون على حكومة الإسلام وعلى دولة الخلافة في المدينة المنورة وما يتبعها من بلاد[٤].

ولاشك أن طرح الموضوع على هذا النحو يجعله وكأنه قضية متكاملة البناء متسقة الأركان تشير إلى الأسباب وتدفع بالنتائج، وتقول في النهـاية أن العرب ارتدوا عن الإسلام . فهل ارتد العرب بعد أن أسلموا هكذا بإطلاق الكلام وتعميمه ؟ وإذا لم يكونوا قد ارتدوا كلهم، فما هو حجم هذه الردة ؟ وما هي حقيقة المرتدين ؟ وهل ما حدث فعلاً كان ردة عن الإسلام ؟ وإذا لم يكن كذلك، فماذا حدث ؟ وبم نصفه ؟ وما هي أسبابه ؟ وهل هي نفس الأسباب التي أذاعها البعض وجعلوها – كما رأينا – اتهامات ألصقوها بالإسلام سواء في طريقة انتشاره بالعنف كما قالوا، وألصقوها بالعرب في طبائعهم وعاداتهم، تلك الطبائع التي جعلوها لا تصبر على الحرمان عما تعودوا عليه من حياة المتعة واللذة، وهي الحياة التي دفعتهم – كما قالوا – للتخلي عن دينهم الجديد، وجعلتهم يكادون أن يقضوا على أول دولة جمعت قبائل الجزيرة العربية في كيان واحد ولأول مرة في التاريخ، وأين البحرين وما حدث فيها من ذلك كله ؟

الواقع أننا إذا أردنا أن نجيب عن هذه التساؤلات ونتعرف على حقيقة ما حدث وخاصة في البحرين وبطريقة علمية، لابد وأن ننظر إليه في ضوء معيارين، أولهما هو مدلول كلمة الردة، وهل ما حدث يعبر عن هذا المدلول أم لا ؟ وثانيهما هو التعميم الذي وصف به المؤرخون القدامى هذا الحدث فقالوا إن العرب ارتدوا عن الإسلام عدا أهل مكة والمدينة والطائف[٥]، هكذا بإطلاق الكلام وتعميمه .

أما لفظ الردة فمعروف أنه وببساطة شديدة لا يعني إلا الارتداد عن دين الإسلام والعودة إلى الدين السابق أياً كان هذا الدين والإصرار على ذلك مهما كانت محاولات الاستتابة لمن فعل ذلك . تلك هي الردة الحقيقية التي تعني خروج الإنسان المرتد عن الملة الإسلامية بما يترتب على ذلك من مفارقة الزوجة

المسلمة لزوجها المرتد، وخروج أولاده عن ولايته، وانعدام التوريث عند الوفاة، ودفنه في مقابر غير المسلمين[٦].

وإذا كان هذا هو المعنى الحقيقي للردة، فهل ما حدث في بعض بلاد العرب والبحرين منها يعبر عن هذا المعنى ؟ الحقيقة أننا لم نسمع أن أناسا عادوا إلى الوثنية وخرجوا عن الملة الإسلامية، وحتى الذين تنبئوا — أي ادعوا النبوة — قالوا إنهم مسلمون وكان لهم مؤذنوهم ومقيمو شعائرهم، وكانوا وأتباعهم يصومون ويصلون[٧] لدرجة أن مسيلمة وصف أتباعه وأتباع سجاح بنت الحارث التميمية التي وفدت من العراق وانضمت إليه بأنهم "معشر أبرار يقومون الليل ويصومون النهار"[٨]. وحتى لو امتنعوا عن الصلاة وعن دفع الزكاة امتناع كسل أو عصيان لله سبحانه وتعالى ولولاة الأمر — وهذا هو الذي حدث — ولم ينكروها كفريضة — وهذا لم يحدث — فإنهم لا يعتبرون مرتدين من هذه الناحية، وإنما مسلمون عصاة، والفرق هائل بين العصيان والردة عن الدين. ومعنى ذلك أنهم لم يخرجوا عن الملة ولم يعودوا إلى دينهم القديم[٩].

وليس معنى ذلك أننا ننفي حدوث الردة عن الإسلام بشكل مطلق، فقد كانت هناك ردة مخرجة عن الملة، ولكن لم يفعلها إلا أقل القليل سواء كانوا من المتنبئين أم من أتباعهم، أما المتنبئون فلم يرتد منهم إلا واحد فقط هو طليحة بن خويلد الأسدي الذي ثبت أنه كان مسلماً فعلاً، وادعاؤه النبوة يعتبر ردة عن الإسلام، أما المتنبئون الآخرون مثل مسيلمة بن حبيب الحنفي، والأسود العنسي، وسجاح بنت الحارث التميمية فليسوا مرتدين لأنهم لم يكونوا مسلمين أصلاً، فلم يثبت إسلام مسيلمة والأسود العنسي، أما سجاح فقد كانت نصرانية وفدت مع أخوالها من بني تغلب من العراق لتقيم ملكاً لقومها من تميم في نجد[١٠].

هذا عن المتنبئين باختصار، أما أتباعهم فلم يكونوا كلهم مرتدين . **فقسم واحد** منهم كانوا مرتدين فعلاً لأنهم اعتقدوا بنبوة زعمائهم الذين ادعوا النبوة والذين أشرنا إليهم، وكان هذا القسم قليلاً جداً في عدده . **والقسم الثاني** هم من تابعوا المتنبئين عصبية باعتبارهم شيوخ قبائلهم ولا يمكن أن يتخلوا عنهم، لكنهم لم يعتقدوا في صدق نبوتهم لدرجة أن مؤذن مسيلمة كان يقول في أذانه "وأشهد أن مسيلمة يزعم أنه رسول الله"(١١)، وصرح أحد أتباعه بكذبه حين قال له مواجهة : "أشهد أنك كذاب، وأن محمداً صادق، ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر"(١٢)، على اعتبار أن مسيلمة من بني حنيفة، وحنيفة من ربيعة، ومحمد ﷺ من قريش، وقريش من مضر . **أما القسم الثالث** فهم من تابعوا المتنبئين خوفاً وتقية، وهؤلاء أيضاً غير مرتدين . **والقسم الرابع** والأخير فهم من كانوا على الوثنية ولم يدخلوا الإسلام بعد، فهم من هذه الناحية غير مرتدين(١٣) . وهكذا ترى أن المرتدين فعلاً والخارجين عن الملة كانوا أقل من القليل .

وإذا كان الأمر كذلك فلماذا جاء التعميم على لسان بعض المؤرخين القدامى بأن العرب ارتدوا عن الإسلام عدا أهل مكة والمدينة والطائف ؟ الواقع أن هذا التعميم الخاطئ علمياً يعود إلى أمرين : **الأمر الأول** هو ظهور من قاموا بهذا العمل في أكثر من قبيلة وفي أكثر من مكان، وهو أمر مردود عليه، ذلك إذا أحصينا عدد القبائل التي تابعت المتنبئين والعصاة والمتمردين فإننا لا نجدهم يزيدون عن اثنتي عشر قبيلة، فهم قلة إذا ما قارناهم بعدد القبائل التي أرسلت وفودها لرسول الله ﷺ واعتنقت الإسلام وبقي معظمها على الطاعة للخلافة والتي يزيد عددها عن سبعين قبيلة، وحتى في داخل هذه القبائل القليلة العدد والتي قيل إنها ارتدت لم يكن كل أفرادها — وكما رأينا — مرتدين، فقليل منهم من استحق هذا الوصف، وما جعل بعض المؤرخين

القدامى يقولون بالتعميم ويظنون أن المرتدين كثيرون هو أن حركاتهم قامت في أكثر من مكان، وفي أطراف ونواح عديدة، مما خيل للبعض منهم أنها ردة عامة وما هي كذلك، وما أتى به هؤلاء القوم لا يعتبر في جوهره أو في أكثره ردة عن الدين كما سبق القول وكما سنقول.

أما **الأمر الثاني** الذي أدى إلى القول بالتعميم عند بعض المؤرخين القدامى هو مفهوم لفظ الردة، وقد سبق أن أشرنا إلى دلالته الحقيقية التي تخرج الإنسان المسلم عن الملة وعلى ذلك فلابد أن هناك مفهوماً آخر للفظ الردة هو المسئول عن هذا التعميم وكان سائداً في ذلك الحين. فما هو هذا المفهوم ؟ وهل ينطبق على الأحداث التي قامت في بعض نواحي بلاد العرب ومنها البحرين بطبيعة الحال ؟ وهل يمكن تفسير هذه الأحداث في ضوء هذا المفهوم أم لا ؟.

وللإجابة عن هذه التساؤلات نعود مرة أخرى للفظ الردة، فلفظ الردة اسم لغوي يفيد أن كل من انصرف عن أمر — أي أمر وليس أمر الدين وحده — كان مقبلاً عليه يقال ارتد عنه[14].

والراجح أن هذا المعنى العام الواسع لمفهوم الردة هو الذي كان سائداً في تلك الفترة المبكرة من تاريخ الإسلام حيث كان الناس يعيشون عصر النبوة والخلافة الراشدة، وهو عصر له طبيعته وصفاته الخاصة، فهو عصر المثالية، وهو عصر الإيمان واليقين والطاعة لله ورسوله ولخليفته من بعده، وهو عصر بناء الدولة الإسلامية الوليدة، وهو أمر يحتاج إلى وحدة الصف وجمع الكلمة، ولذلك رأى المسلمون أن كل من خرج عن طاعة أبي بكر الصديق، أو تمرد على حكمه أو رفض خلافته أو شق وحدة المسلمين يعتبر مرتداً ويجب قتاله، فالقتال هنا على الطاعة وليس على الردة[15]، كما رأوا أن من امتنع عن إعطاء صدقة ماله أو زكاة ماله لعمال الصدقات يعتبر مرتداً[16]، وكل من تخلف عن الخروج للجهاد يعتبر مرتداً[17]، وحتى من خرج عن المألوف في سلوكه أو

تصرفه يعتبر مرتداً أو كافراً[١٨]، وكل من منع الحق عن صاحبه يمكن أن يؤدي به إلى الكفر أو الردة عن الدين[١٩].

وعلى ذلك فإن الكفر أو الردة التي أطلقت على بعض العرب سواء كانوا كثيري العدد أم قليلي العدد لا يحمل معنى الردة المخرجة عن الملة، لأنهم كما قلنا لم يبدلوا دينهم وهو الإسلام، ولم يعودوا إلى الوثنية لأنهم لو فعلوا ذلك لوجب قتالهم وقتلهم تأسيساً على حديث للرسول ﷺ يقول: "من بدل دينه فاقتلوه"[٢٠]، بعد أن يرفضوا الاستتابة والعودة إلى الإسلام، ولكن ما قاموا به يعد من قبيل ارتكاب المعاصي والمخالفات التي أخذت اسم الردة أو الكفر مجازاً. وقد ورد في الصحيحين أمثلة كثيرة تطلق الكفر مجازاً على من فعل معصية أو أمراً من هذه الأمور، فهو كفر أو ردة مجازية وليست حقيقية. وإطلاق لفظ الكفر أو الردة على من فعل معصية من هذه المعاصي كان لحكمة لا تخفى على أهل الفقه واللغة والمتخصصين، والحكمة هنا هي الزجر وبيان عظم وخطر أمر هذه المعصية أو المعاصي التي إن فعل الإنسان المسلم أياً منها يكون كالمرتد أو كالكافر حتى لا يفعلها[٢١].

وعلى ذلك فألفاظ الكفر والردة التي وردت على لسان المؤرخين والتي عبروا بها عما حدث من بعض العرب والأعراب في صدر خلافة الصديق لا تعني الكفر الأكبر أو الردة الحقيقية المخرجة عن الملة، وإنما تعني أمراً واحداً وهو أن هؤلاء الناس لم يخرجوا عن دين الإسلام، وإنما هم مسلمون عصاة أو متمردون أو منتقضون كما وصفهم الطبري في كثير مما كتبه[٢٢] وهم بذلك أهل بغي ويجب قتالهم حتى يعودوا إلى الطاعة ويفيئوا إلى الحق والرشد. ذلك لأنهم لم يتعودوا في عصر الجاهلية والتاريخ القديم كله أن يخضعوا لحاكم يجمعهم جميعاً في كل شبه الجزيرة العربية في دولة واحدة، وما كانوا يعطون الطاعة للنبي ﷺ إلا لأنه نبي، أما أبو بكر الصديق فهو واحد منهم وفي رأي

بعضهم أنه لا يزيد عن كونه شيخاً لقبيلة هي قريش فكيف تسودهم قريش ؟ ولذلك تمردوا وافتتنوا لهذا السبب وغيره من الأسباب[٢٣]، وعبروا عن ذلك في أشكال متعددة، منها ادعاء النبوة، ومنها الامتناع عن دفع الزكاة لعمال الصدقات، ومنها طرد عمال الخليفة أبي بكر وعزلهم عن أعمالهم، والتمرد المسلح والتهديد بالزحف على المدينة وغزوها، والاستيلاء على بعض المدن والسيطرة عليها، وعدم الاعتراف بأبي بكر كخليفة وعدم البيعة له، وتجديد الأحلاف القديمة لمواجهته، والاستعانة بالأجانب وخاصة الفرس ضد الخلافة[٢٤].

في ضوء ذلك وفي ضوء مفهوم الردة الأخير الذي أشرنا إليه، يمكن أن نقيس عليه ما حدث في البحرين ونفسره التفسير الصحيح السليم . وقبل أن نفعل ذلك نتساءل أولاً : ماذا حدث في البحرين ؟ هل قام فيها أحد المتنبئين مثل مسيلمة بن حبيب الحنفي في اليمامة، أو طليحة بن خويلد الأسدي في نجد، أو الأسود العنسي في اليمن، أو سجاح بنت الحارث التميمية مع قومها من تميم في نجد ؟ وهل أنكر أهل البحرين الزكاة كفريضة، أي كركن من أركان الإسلام ؟ أو هل امتنعوا – مجرد امتناع – عن إخراجها ودفعها لعمال الصدقات الذين كان النبي ﷺ قد أرسلهم لجمعها وأخذها منهم ؟ الواقع أن المصادر التاريخية لم تشر – مجرد إشارة – إلى أن شيئاً من ذلك قد حدث، فلم نسمع عن أي متنبئ ادعى النبوة هناك، ولم ينكر أحد من أهلها الزكاة كفريضة، ولم يمتنعوا عن إخراجها أو تسليمها لعمال الصدقات، لأن الذي كان يتسلمها وهو أبان بن سعيد بن العاص بن أمية الذي كان والياً على الخراج والجزية والصلاة في أواخر عهد النبي ﷺ وفي أواخر عهد المنذر بن ساوى العبدي حاكم البحرين وقتها، كان قد عاد إلى المدينة المنورة بمجرد أن سمع بانتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى ورفض أن يكون والياً لأحد غيره[٢٥].

وحتى لو فعلوا ذلك فإنهم حسب المفهوم الأخير لمعنى الردة يعتبرون غير مرتدين .

وإذا كان الأمر كذلك، فماذا حدث في البحرين ؟ الذي حدث هو أن فريقاً من أهلها وهم بكر بن وائل أحدثوا حرباً ضد فريق آخر من أهلها وهم عبد القيس وتميم، وانضم للبكريين المجوس والزط[٢٦] والسيابجة[٢٧] وأهل الكتاب الذين امتنعوا عن دفع الجزية، كما وصل إليهم نجدة عسكرية من فارس تتمثل في سبعة آلاف جندي فارسي على رأسهم أحد العرب وهو المنذر بن النعمان بن المنذر، وهو من بقايا المناذرة الباقين على قيد الحياة بعد أن دمر الفرس مملكتهم أو ملكهم في الحيرة وأرادوا أن يستفيدوا بهم في هذا الصراع الذي نشب في البحرين لتحقيق أهدافهم في استعادة السيطرة على هذه البلاد بعد أن حررها الإسلام من نفوذهم . وفي المقابل وصلت نجدة عسكرية لعبد القيس من المدينة المنورة تتمثل في جيش من المهاجرين والأنصار قاده العلاء بن الحضرمي والي البحرين السابق[٢٨] . ولسنا معنيين بالحديث تفصيلاً عن هذا الصراع العسكري الذي سود به المؤرخون القدامى بعض صفحاتهم، وإن كان سيأتي شيء منه أثناء تفسيرنا لهذا الصراع، وإنما معنيون بهذا التفسير والوقوف على أسبابه حتى نعرف حقيقة ما حدث، وهل ما حدث كان صراعاً بين مسلمين ومرتدين، أم أنه كان صراعاً لعوامل وأسباب أخرى .

وإذا نظرنا إلى هذا الصراع في ضوء ما ذكرناه عن مفهوم الردة الذي كان سائداً وقتها والذي كانت معانيه ومدلولاته لا تخرج من الإسلام معظم من أتوا أفعالاً وصفت خطأ بالردة المخرجة عن الملة، وإنما تجعل أصحاب هذه الأفعال عصاة متمردين لأسباب كثيرة[٢٩]، وإذا كانت البحرين أحد الأقاليم التي حدث فيها هذا الصراع أو هذه الفتنة أو هذا التمرد، فإن أهلها بالتالي لم يأتوا من الأفعال ما يمكن أن يعتبر ردة عن الدين بأي حال من الأحوال، ويمكن أن

نفسر ما حدث بينهم من صراع على أنه كان صراعاً قبلياً على الرياسة والحكم في جانب منه، وصراعاً بين الإسلام والوثنية في جانب آخر، وصراعاً بين دولة الإسلام ودولة المجوس الفرس في جانب ثالث، وهذا أمر يحتاج إلى شيء كثير من التفصيل والتحليل .

أولاً : الجانب الأول من تفسير الصراع الذي حدث في البحرين

وهذا الجانب لا يمكن فهمه أو تفسيره إلا على ضوء فهمنا للوضع الديموغرافي في البحرين القديمة والتي كانت تشمل منطقة واسعة ممتدة من جنوب البصرة إلى عمان وتشمل جزراً في الخليج أهمها جزيرة أوال التي تعرف اليوم بالبحرين .

وهذا الوضع يقول إن البحرين على اتساعها ذاك كانت تنقسم بين ساحل وسهل تتركز فيهما الموانى والمدن والقرى، وبين داخل عميق صحراوي يمتد من البصرة شمالاً إلى صحراء عمان جنوباً إلى صحراء الدهناء ونجد غرباً . وكان معظم سكانها يتركزون في الساحل والسهل — أي في المدن والقرى — نظراً لوفرة إمكانياته الاقتصادية من ماء وزراعة ومرعى، ولسهولة اتصاله بالعالم الخارجي حيث تتم عمليات التبادل التجاري، وهي عمليات كان الكسب من ورائها عظيماً ووفيراً . وكان معظم السكان في تلك البقاع — أقصد الساحل والسهل المتصل به — من قبيلة عبد القيس يخالطها بعض من قبائل تميم وبكر بن وائل وغيرهما . أما في صحاري البحرين الواسعة بالمعنى الذي أشرنا إليه فإن كثيرين من تميم وبكر بن وائل كانوا يعمرونها ويرتادونها من أدناها إلى أقصاها . ذلك لأن مواطن تميم أساساً في نجد وفي صحراء الدهناء التي تكون الحد الغربي للبحرين، وتمتد هذه المواطن إلى أطراف البحرين وإلى بعض

دواخلها، وكانوا يرتادون مدنها مثل هجر وغيرها للميرة والتجارة، كما سكن بعضهم في هذه المدن . أما بكر بن وائل فقد كانت تخالط تميماً في صحراوات البحرين أو تقاسمها إياها وخاصة في الجزء الشمالي منها الممتد ناحية العراق جنوب البصرة وغربها وكذلك غرب الكوفة، وكان بعض منها يساكن عبد القيس في مناطق الريف والمدن التي تقع في سهول البحرين وعلى ساحلها وفي جزرها مثل جزيرة أوال التي تعرف اليوم بالبحرين وغيرها[٣٠] .

ومعنى ذلك أن عبد القيس كانت تسكن أهم أجزاء بلاد البحرين، وبمعنى آخر فإن هذه الأجزاء وهي الساحل والسهل والتي تشكل المنطقة الواسعة الأكثر عمراناً وسكاناً كانت لعبد القيس ومعها القليل من غيرها من القبائل، بمعنى أنها كانت تشكل غالبية سكان هذه المنطقة الهامة . فماذا عن موقف هذه الأغلبية مما قيل عن ردة عن الدين ؟ هل ارتدت عن الإسلام وعادت إلى الوثنية من جديد ؟

وللإجابة عن ذلك نعود إلى كتب التاريخ التي تقول إن عبد القيس بكافة بطونها وفروعها ثبتت على الإسلام، بمعنى أنها أعلنت طاعتها لخليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق ولم ترفع راية التمرد والعصيان كما فعل غيرها من أهل البحرين وغيرهم، وذلك بفضل زعيمها الجارود بشر بن عمرو بن المعلى العبدي[٣١]، وحتى لو قيل بردتها وهو أمر لم يكن موجوداً فهل كان لعبد القيس أن ترتد وقد قال النبي ﷺ في مدحها والإشادة بها والدعاء لها ما قال ؟[٣٢] وهل يمكن لها أن ترتد وقد أسلمت طوعاً وأرسلت أكثر من وفد إلى الرسول ﷺ تعلن دخولها في الإسلام وتمسكها به والدعوة إليه ؟[٣٣] وهل يمكنها أن ترتد وهي التي انفعلت بالإسلام انفعالاً قوياً منذ عهد رسول الله ﷺ حتى إن الصحابة منها كانوا يعدون بالعشرات والتابعين وتابعي التابعين كانوا بالمئات والآلاف ؟[٣٤] وهل كان يمكنها أن ترتد والنبي نفسه قد زار

بلادها وتعرف عليها وعلى أهلها بنفسه عندما كان شاباً أثناء رحلاته للتجارة ؟[٣٥] وهل يمكن أن ترتد وقد خصها النبي ﷺ والبحرين بصفة عامة بأكثر من ١٥٪ من جملة رسائله إلى الملوك والحكام، وبأكثر من ٦،٢٪ من جملة رسائله إلى البلدان بصفة عامة ؟[٣٦] .

الحقيقة أن عبد القيس هي الصخرة التي تحطمت عليها ما وقع من بعض أهل البحرين حضراً وبدواً من تمرد وخروج على طاعة دولة الخلافة الإسلامية في المدينة المنورة في عهد أبي بكر الصديق . وإذا كان هذا هو موقف عبد القيس وهم أغلبية سكان مناطق الحضر في البحرين فكيف يقال أن البحرين ارتدت ؟ وإذا لم يكن الأمر كذلك فلماذا وقع القتال بين عبد القيس وغيرها من سكان البحرين وخاصة بكر بن وائل ؟ .

الواقع أن القتال الذي حدث بين عبد القيس وبكر بن وائل والذي صور على أنه قتال بسبب ردة بكر بن وائل لم يكن لهذا السبب في حقيقة الأمر، وإنما كان صراعاً قبلياً بين هاتين القبيلتين على الزعامة والرياسة والحكم في البحرين وخاصة بعد وفاة المنذر بن ساوى ملك البحرين بعد وفاة النبي ﷺ بقليل .

ورغم أن عبد القيس وبكر بن وائل أبناء عمومة وأنهما من ربيعة[٣٧] إلا أن التنافس بينهما كان قديماً، وزاد من حدة هذا التنافس تحول لواء الزعامة في ربيعة من عبد القيس إلى بكر بن وائل قبيل ظهور الإسلام[٣٨]، وزاد عنفاً وعتواً ما حققته بكر بن وائل على فارس في موقعة ذي قار[٣٩] عام ٦١٠م، وهو العام الذي بدأ فيه نزول القرآن وبعثة النبي ﷺ ودعوته إلى الإسلام . وكانت موقعة ذي قار بداية النهاية لتسلط الفرس على عرب العراق وعرب المنطقة الشرقية التي كانت تعرف قديماً باسم البحرين، هؤلاء العرب الذين أخذوا يشعرون

بقوتهم وبقيمهم العربية الأصيلة التي تجعلهم لا يخضعون لأجنبي مهما كانت صولة هذا الأجنبي ومهما كانت قوته وهيمنته وجبروته .

سارعت عبد القيس إلى اعتناق الإسلام وأعلنت طاعتها للنبي ﷺ ثم لخليفته من بعده أبي بكر الصديق، فحازت قبول الخلافة ورضاها، ومن ثم ثارت النعرة القبلية عند بكر بن وائل ورأت أن الأمر في البحرين سيئول إلى عبد القيس كما آل إليها من قبل وفي أحيان كثيرة في عصر الجاهلية[٤٠] .

ومعنى ذلك أن السيادة في البحرين سوف تكون لعبد القيس في عصر الإسلام كما كانت لها في فترات من عصر الجاهلية، وأن بكر بن وائل سوف تظل حبيسة الجبال والصحاري، وأنها لابد أن تنال نصيبها من حكم البحرين، وهو أمر لم تنله من قبل لا في جاهلية أو إسلام . ومن ثم رأت أن تنقل حكم البحرين إلى آل النعمان بن المنذر حكام الحيرة لأنهم أحق في نظرهم من عبد القيس ومن أبي بكر الصديق، ولأن ولاءهم في الجاهلية كان لهم أي للمناذرة، ولذلك لم يستأمن النعمان بعد أن خرج على طاعة كسرى وأحس منه الغدر أحداً على بناته وأهل بيته ودروعه وأمواله إلا شيخ بني شيبان هانئ بن مسعود أو حفيده هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود على اختلاف في الروايات، والشيبانيون بطن هام من بطون بكر بن وائل كما هو معروف . وخاض بنو شيبان وبقية قومهم من بكر بن وائل حرباً ضروساً ضد فارس كما سبق القول دفاعاً عن أسرة النعمان بن المنذر آخر ملوك الحيرة السابقين، ودفاعاً عن قيمة عربية أصيلة وهي حماية المستجير مهما كان شأن هذا المستجير سواء كان ملكاً أو أحد الرعايا العاديين . فالعلاقة إذن بين بكر بن وائل وبين النعمان وآله كانت على هذا النحو المتين، ومن ثم ليس غريباً أن يأتوا بابنه المنذر ويسيرون معه من شمالي البحرين إلى هجر عاصمتها ليجعلوه ملكاً على هذه البلاد[٤١]، ويجمعوا له بين مُلكها ومُلك الحيرة التي كان على

ما يقال في إحدى الروايات ملكاً عليها لمدة ثمانية أشهر قبل أن تأتي به بكر بن وائل إلى البحرين[٤٢] .

وإذا كان حاكم البحرين قبل ظهور الإسلام وهو المنذر بن ساوى العبدي من تميم وهذا هو المشهور والذي تقول به بعض الروايات التاريخية[٤٣] فإننا نرجح في هذه الحالة أن بكر بن وائل كانت لا تريد أن يستمر الحكم في البحرين في تميم غداة وفاة هذا الملك عقب وفاة الرسول ﷺ بقليل، وحتى لا يكون حكمها لهذه البلاد قبيل ظهور الإسلام وبعد ظهوره، وهو ما كانت تخشاه بكر بن وائل التي كانت زعامة ربيعة وكما أشرنا قد انتقلت إليها في ذلك الحين، وربما كانت هذه الخشية لسبب آخر وهو كثرة أعداد التميميين وسيطرتهم على بادية الدهناء التي تعتبر الحد الغربي لبلاد البحرين، وتناثرهم في أنحاء كثيرة من صحراوات البحرين من البصرة وكاظمة شمالاً إلى يبرين وبينونه جنوباً[٤٤]، ولو استمر الحكم في تميم مع كثرة عددها لرجحت كفتهم على بكر بن وائل بشكل مطلق، خاصة وأن الحروب بينهما كانت متواترة في الجاهلية وأدت إلى سوء العلاقات بينهما في أحيان كثيرة[٤٥] مما يعتبر سبباً ثالثاً لتمرد بكر بن وائل وقيامها بما قامت به من استقدام المنذر بن النعمان بن المنذر لجعله ملكاً على البحرين، وحتى تحرم تميماً وعبد القيس من حكم هذه البلاد .

وحتى يتم ذلك وتنتصر بكر بن وائل في صراعها القبلي هذا كان لابد وأن تدفع برجالها وفرسانها إلى هجر وإلى سائر أنحاء البحرين لتبسط عليها نفوذها تحت راية هذا الملك الذي استقدموه ووضعوا التاج على رأسه ولقبوه بالغرور .

وعلى ذلك فما فعلته بكر بن وائل يعتبر صراعاً على الرياسة والشرف والزعامة بينها وبين عبد القيس الطامحة إلى حكم البحرين تحت راية الخلافة الإسلامية، أو بينها وبين تميم التي كان حكم البحرين في يدها عند ظهور

الإسلام حسب بعض الروايات وهذا ما يفسر وقوف عبد القيس تحت راية الخلافة وتصديها لبكر بن وائل، ويفسر أيضاً اتخاذ تميم نفس الموقف خاصة بعد أن حسم خالد بن الوليد موقف بعض بطونها التي كانت قد رفعت لواء عصيان ظهر في شكل امتناع عن دفع الزكاة لعمال الصدقات أو انضمام إلى سجاح بنت الحارث التميمية المتنبئة(٤٦).

ولذلك عندما وفد العلاء بن الحضرمي من المدينة المنورة بأمر الصديق أبي بكر لقتال هؤلاء المتمردين والعصاة من بكر بن وائل في البحرين والذين عرفوا خطأ بالمرتدين انضم إليه بعض من رؤساء تميم مثل قيس بن عاصم وكثير من التميميين، وذلك أثناء اجتياز العلاء لبلادهم في نجد والدهناء حتى إنهم شكلوا مثل جيشه الذي انطلق به لقتال بكر بن وائل في البحرين . ولما وصلوا إليها تكاتفوا مع إخوانهم من عبد القيس حتى أن كتب التاريخ تروي لنا أن الذي قتل زعيم المتمردين وهو الحطم بن ضبيعة البكري هو قيس بن عاصم التميمي الذي أشرنا إليه، وأن الذي أسر الملك الغَرور المنذر بن النعمان بن المنذر كان من تميم أيضاً وهو عفيف بن المنذر الذي قطع ساق الحطم قبل أن يجهز عليه قيس بن عاصم(٤٧).

وقد شجع تميماً على الانضمام إلى العلاء بن الحضرمي، ذلك الثأر الذي كان لهم عند الفرس وعند بكر بن وائل، وهو ثأر لم يكن قد سوي بعد ولم يبعد به العهد، وذلك عندما اعترض التميميون لعير كانت تحمل لطيمة أي تجارة لكسرى فارس أنو شروان واستولوا عليها، فأمر هذا الكسرى وبتحريض من هوذة بن علي الحنفي البكري صاحب اليمامة مرزبانه في هجر المكعبر فيروز بن جشيش بالانتقام منهم، فدعاهم إلى حصن المشقر القريب من هجر ليمتاروا حسب عادتهم، فقتل كثيراً منهم في هذا الحصن خديعة وغدراً في يوم يعرف باسم يوم الصفقة(٤٨).

ومما يبين دور عبد القيس وتميم في القضاء على الحطم وأتباعه وجيشه المكون من بكر بن وائل ما يشير إليه ابن سعد من أن العلاء بن الحضرمي الذي قاد عبد القيس وتميماً في هذا القتال، كان قد وفد من المدينة المنورة في عدد قليل من الجند، ومعه كتاب من أبي بكر الصديق يستنفر فيه كل من مر بأرضه من المسلمين للانضمام إليه لقتال عدوهم من هؤلاء العصاة المتمردين(٤٩). فهل كان في مكنة العلاء بن الحضرمي أن يقضي على تمرد الحطم وأتباعه وهو في هذا العدد القليل الذي خرج به من المدينة المنورة ؟ الواقع أن جيش العلاء صار ستة آلاف جندي وفارس بعد أن انضم إليه من تميم بطون عديدة مثل عمرو والأبناء والمقاعس والبطـون والرباب من بني سـعد أثناء اجتيازه لبلادها(٥٠) وبعد أن انضمت إليه عبد القيس ببطونها ورجالها الكثيري العدد بعد أن وصل إلى مواطنها وديارها في البحرين كما سبق القول .

هذا عن الجانب الأول الذي يفسر ما حدث في البحرين من تمرد وعصيان لدولة الخلافة الإسلامية في بداية عهد أبي بكر الصديق، وهو تمرد وعصيان وصف خطأ بالردة عن الإسلام وهو ليس كذلك على وجه اليقين، ويدل على أن ما حدث كان صراعاً قبلياً على الزعامة والرياسة بين عبد القيس التي كانت في طاعة الخلافة، وبكر بن وائل التي تمردت عليها لتحقيق هدفها في الزعامة والرياسة والسيطرة على أرض البحرين، ولم يكن صراعاً بين مسلمين ومرتدين .

ثانياً : الجانب الثاني من تفسير الصراع الذي اندلع في البحرين

وهذا الجانب يفسر أيضاً ما حدث في البحرين من صراع بين بكر بن وائل من جهة وعبد القيس وتميم من جهة أخرى على أنه كان صراعاً بين الإسلام والكفر ولم يكن صراعاً بين مسلمين ومرتدين . لكن ماذا نقصد بهذه العبارة ؟

ومن هو المسلم ومن هو الكافر الذي نقصده بهذه العبارة ؟ المسلم أو المسلمون هم عبد القيس وتميم، أما الكافر أو الكفار أو المشركون الذين كانوا على غير دين الإسلام فهم معظم البكريين لأنهم لم يكونوا قد اعتنقوا الإسلام بعد، ومعنى ذلك أن الصراع بين بكر بن وائل وعبد القيس كان صراعاً بين الإسلام والوثنية .

لكن كيف نقول أو نستدل على أن معظم البكريين كانوا لا يزالون على الوثنية غداة البيعة لأبي بكر الصديق بالخلافة، وغداة ظهور هذه الحركة في البحرين وغيرها من بلاد العرب ؟ ألم يرسل البكريون وفدهم إلى رسول الله ﷺ بالبيعة على الإسلام كما أرسل غيرهم من القبائل العربية الأخرى ؟ نعم أرسلوا وفداً واحداً مكوناً من حسان بن خوط الذهلي البكري، وبشير بن حسان بن الخصاصية، وعبد الله بن مرثد، ومرثد بن ظبيان البكري، وذلك بعد فتح مكة، وشهد مرثد غزوة حنين مع رسول الله ﷺ وكساه النبي ﷺ حلتين وأرسل معه رسالة مكتوبة إلى بكر بن وائل تقول لهم "أسلموا تسلموا"(٥١) . وقد أشار ابن سعد في طبقاته إلى وفدهم وسجل حضورهم ومقابلتهم للنبي ﷺ وسؤالهم الغريب – كما يقول – عن قس بن ساعدة الإيادي، وإجابة الرسول ﷺ لهم عن سؤالهم(٥٢) .

لكن هل كل قبيلة أرسلت وفدها إلى رسول الله ﷺ قد عمها الإسلام عن بكرة أبيها ؟ أحداث التاريخ ورواياته تقول أن بعض القبائل لم يعمها الإسلام، ففريق من رجالها أسلموا، وفريق آخر ظلوا على الوثنية وغيرها من الأديان وصالحوا المسلمين على دفع الجزية أو تمردوا وأعلنوا العصيان عقب وفاة النبي ﷺ وساروا وراء كل ناعق يناهض حكومة الإسلام في المدينة المنورة . حدث هذا الأمر في بني حنيفة باليمامة، فقد مات ملكهم هوذة بن علي الحنفي على الوثنية ورفض الدخول في الإسلام اعتقادا منه أن النبي ﷺ سيسلبه ملكه إن

اتبعه[٥٣] . ولما أقبل وفد بني حنيفة على النبي ﷺ عاد هذا الوفد دون أن يستقر الإسلام في قلوب أعضائه، فكيف بغيرهم من بني حنيفة ؟ يدلنا على ذلك ما ذكره الكلاعي عن رافع بن حديج أنه قال : "قدمت على النبي ﷺ وفود العرب، فلم يقدم علينا وفد أقسى قلوباً ولا أحرى أن يكون الإسلام لم يقر في قلوبهم من بني حنيفة"[٥٤] ولاشك أن عدم إسلام هوذة بن علي الحنفي ملك اليمامة وعدم استقرار الإسلام في قلوب وفد بني حنيفة ليدل دلالة قوية على أن الإسلام لم ينتشر بين بني حنيفة جميعهم، ولذلك وجد مسيلمة بن حبيب الحنفي الكذاب عندما قام بحركته ضد دولة الإسلام في المدينة أرضاً معبدة، وهو نفسه لم يسلم كما سبق القول .

وحدث هذا الأمر أيضاً في قبيلة مهرة في عمان في جنوب الجزيرة العربية . وكان وفد مهرة قد قدم إلى النبي ﷺ فيمن قدم من الوفود بعد فتح مكة وأسلم رجال هذا الوفد وكتب لهم النبي ﷺ كتاباً وعادوا إلى بلادهم[٥٥] . ولكن يبدو أن بني مهرة لم يسلموا جميعاً ولم يكن منتظراً أن يستقر الإسلام في هذه المنطقة النائية في الفترة القليلة الباقية من عمر الرسول ﷺ، ولذلك فإن عكرمة بن أبي جهل الذي كان أبو بكر الصديق قد أرسله ضمن من أرسل للقضاء على حركة التمرد التي قادها ذو التاج لقيط بن مالك الأزدي بعمان وبعد أن تم القضاء على هذه الحركة، اتجه عكرمة بجنده إلى مهرة فوجد القوم قد انقسموا إلى فريقين متحاربين أحدهما مسلم والآخر على غير دين الإسلام، وكل منهما يعادي الآخر ويطمع في السيادة عليه[٥٦] فهو إذن صراع بين الإسلام والوثنية، وأيضاً صراع على السيادة والزعامة .

نفس الشيء حدث في بكر بن وائل في بلاد البحرين وهم مقصدنا بهذا الحديث، إذ يشير البلاذري إلى أن العلاء بن الحضرمي عندما قدم إلى البحرين في المرة الأولى في عهد النبي ﷺ يدعو ملكها المنذر بن ساوى العبدي ويدعو

أهلها إلى الإسلام استجاب لدعوته هذا الملك وعبد القيس جميعاً واعتنقوا الإسلام عن بكرة أبيهم. أما بكر بن وائل فقد أسلم بعضهم وبقي البعض الآخر على وثنيتهم "وصالحوا العلاء بن الحضرمي على أنصاف الحب والتمر"[٥٧] .

ومعنى ذلك أن بكر بن وائل قد انقسمت إلى فريقين، فريق أسلم وفريق آخر ظل على الوثنية، أما الفريق المسلم فغداة انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى والبيعة لأبي بكر الصديق بالخلافة ارتد هذا الفريق عن الإسلام وصارت الردة عامة في بكر بن وائل وحدها دون سواهم كما يقول الطبري[٥٨] . وهي ردة ننظر إليها في ضوء ما قلناه من أنها كانت تمرداً وعصياناً لحكومة أبي بكر في المدينة المنورة، وتسلطاً على عبد القيس تحول إلى قتال لهذه القبيلة التي كانت تحت طاعة هذه الحكومة وموالية لها، ودخل الفريقان في صراع قبلي على الرياسة والزعامة كما بيناه في التفسير الأول لهذا الصراع .

هذا عن الفريق المسلم من بكر بن وائل، أما عن الفريق الوثني فيها فهم بطبيعة الحال غير مرتدين لأنهم لم يكونوا مسلمين أصلاً فكيف يقال بردتهم ؟ ومن ثم فقد كان هؤلاء البكريون الوثنيون مهيئون أكثر من غيرهم للتمرد على حكومة الإسلام في المدينة المنورة ومقاومة أتباعها من عبد القيس وتميم في البحرين . وهناك من الإشارات ما يدل على أن هذا الفريق الوثني كان يشكل معظم البكريين، **أولاً** : لأن بطون بكر بن وائل التي كانت تعيش في صحراء البصرة وفي أطراف وشمالي بلاد البحرين لم تكن الدعوة إلى الإسلام قد وصلت إليها في هذه النواحي البعيدة أثناء حياة النبي ﷺ، فكان هؤلاء البكريون على الوثنية، وقد اختار منهم كسرى فارس ستمائة من أشرافهم أرسلهم مع سبعة آلاف جندي فارسي للانضمام إلى إخوانهم الآخرين من بكر بن وائل في داخل البحرين للزحف على هجر عاصمة البحرين وقتذاك لتنصيب المنذر بن النعمان بن المنذر ملكاً عليها[٥٩] .

وثانياً : كان البكريون الذين يعيشون داخل البحرين سواء كانوا في مدنها أو صحراواتها منقسمين إلى فريقين : فريق كان على الإسلام والفريق الآخر لم يعتنقوا الإسلام بعد كما سبق القول. ودليلنا على ذلك ما رواه البلاذري من أن العلاء بن الحضرمي كان يأتي إلى "الحائط (أي البستان أو الحديقة المثمرة) بين الأخوة (أي يملكه أخوة) قد أسلم بعضهم فيأخذ من المسلم العشر ومن المشرك الخراج"(٦٠) . ومعنى ذلك أن البيت الواحد من بيوت بكر بن وائل كان فيه المسلمون والكافرون .

يؤكد ذلك أيضاً ما رواه الطبري وابن الأثير من أن الحطم بن ضبيعة زعيم بكر بن وائل في التمرد على الخلافة وعبد القيس عندما ثار ضد الخلافة ومن أطاعها في البحرين "اتبعته – أي الحطم – بكر بن وائل ومن تأشب (أي اجتمع) إليه من غير المرتدين ممن لم يزل كافراً أو من لم يزل مشركاً حتى نزل القطيف(٦١) وهجر، واستغوى الخط(٦٢) ومن فيها من الزط والسيابجة(٦٣) وبعث بعثاً إلى دارين(٦٤) وأرسل الغَرور إلى جواثي(٦٥) وقال له : اثبت فاني إن ظفرت ملَّكتك البحرين حتى تكون كالنعمان في الحيرة(٦٦) .

ثالثاً : يحصر البلاذري عدد المرتدين من بكر بن وائل في رهط أو بطن واحد من بطونهم وهو بطن قيس بن ثعلبة فيقول "ارتد من بالبحرين من ولد قيس بن ثعلبة بن عكابة مع الحطم وهو شريح بن ضبيعة بن عمرو بن مرثد أحد بني قيس بن ثعلبة"(٦٧) . ومعنى ذلك أن القسم المسلم من بكر بن وائل وهو الذي ارتد كان قليل العدد ولذلك فإن كافرهم كان يشكل غالبية هذه القبيلة .

رابعاً : يبدو أن هذا القسم المسلم من بكر بن وائل قد انقسم إلى مجموعتين : مجموعة ارتدت أو تمردت وهو ما أشرنا إليه ومجموعة ثبتت على الإسلام . وقد استفاد العلاء بن الحضرمي الذي وجهته الخلافة للقضاء

على هذا التمرد من هؤلاء البكريين الثابتين على الإسلام في القضاء على المتمردين أو المرتدين من قومهم وغيرهم من غير المسلمين والذين كانوا قد هاموا على وجوههم راجعين إلى بلادهم بعد هزيمتهم على يد العلاء الذي أراد مطاردتهم ليس بنفسه أو بجنده، ولكنه كتب إلى من "أقام على إسلامه من بكر بن وائل فيهم، وأرسل إلى عتيبة بن النهاس، وإلى عامر بن الأسود بلزوم ما هم عليه والقعود لأهل الردة بكل سبيل، وأمر مسمعاً بمبادرتهم، وأرسل إلى خصفة التميمي والمثنى بن حارثة الشيباني — وشيبان من بكر بن وائل كما هو معروف — فأقاموا لأولئك بالطريق، فمنهم من أناب فقبلوا منه واشتملوا عليه، ومنهم من أبى ولج فمنع من الرجوع، فرجعوا عودهم على بدئهم حتى عبروا إلى دارين" . ولم يزل العلاء بن الحضرمي يجاهد المشركين حتى رجعت إليه الكتب من الذين كان قد راسلهم من بكر بن وائل كالمثنى بن حارثة الشيباني وغيره من الذين ثبتوا على طاعتهم وإسلامهم تفيد بأنهم قاموا بأمر الله وغضبوا لدينه، فتأكد العلاء أنه "لن يؤتى من خلفه بشيء يكرهه على أحد من أهل البحرين وندب الناس إلى دارين[٦٨]"، وصفى هـذه البؤرة وأنهى هذه الحركة[٦٩] .

ولكن روح التمرد والعصيان أو شدة الصراع بين الإسلام والكفر ظلت مستشرية عند نفر آخر من البكريين الوثنيين، وخاصة هؤلاء الذين كانوا يقيمون في شمالي البحرين في كاظمة وكذلك في منطقة البصرة وما يليها حتى الكوفة بأرض العراق . ولعل هؤلاء قد أرادوا الانتقام لما حل بإخوانهم الذين هزمهم العلاء بن الحضرمي وفروا أمامه إلى جزيرة دارين وطاردهم فيها وقتل منهم وسبى الكثير، فتجمع هذا النفر من بني شيبان البكريين مع بني ثعلبة البكريين من جديد، وانضم إليهم نفر من تغلب والنمر[٧٠]، وهؤلاء أصلاً من سكان العراق الذين لم يكونوا على الإسلام ولم تصل إليهم دعوته بعد .

ويلاحظ أن منهم أيضاً من التف حول سجاح بنت الحارث التميمية المتنبئة التي زحفت من أرض الجزيرة بالعراق في أخوالها من بني تغلب ومعهم النمر وإياد وشيبان تريد غزو أبي بكر الصديق في المدينة[٧١].

ومعنى قيام تجمع جديد بزعامة بعض بني شيبان البكريين الوثنيين لا يدل إلا على أن بكر بن وائل كانت تريد استمرار المواجهة مع الإسلام والمسلمين الذين كان يقودهم العلاء بن الحضرمي في شجاعة وثبات وصمود مدعوم من عبد القيس وتميم وغيرهم من أهل البحرين الذين كانوا على الطاعة للخلافة الإسلامية وأرادوا النصر لدينهم الذي دخلوه طوعاً واختياراً. وأرجف المرجفون وقتذاك في هجر بأن أصحاب هذا التجمع زاحفون جميعاً إلى البحرين وعلى رأسهم زعيمهم مفروق الشيباني[٧٢]. فالمثنى بن حارثة الشيباني يقاوم المتمردين المعروفين بالمرتدين في البحرين، ومفروق الشيباني يدعمهم ويحاول تجديد الصراع مع العلاء بن الحضرمي مرة أخرى، مما يدل على أن البطن الواحد من بكر بن وائل — ومثاله هنا بنو شيبان — كان منقسماً على نفسه، فمنهم من كان على الإسلام والطاعة للخلافة، ومنهم من كان على الكفر والوثنية وعدم الرضا بهذه الخلافة، ولذلك كان الصراع في الواقع صراعاً بين الإسلام والوثنية. وقد عبر عبد الله بن حذف وهو أحد البحرينيين الذين كانوا في جيش العلاء بن الحضرمي عن هذا المعنى حينما أرجف المرجفون في البحرين بزحف مفروق الشيباني على رأس أصحاب هذا التجمع القبلي الجديد، فقال شعراً يذم فيه بكر بن وائل كلها ويصفها بالكفر وأنها من أهل النار، وأن كثرة عددها لن ترهبهم، وأنها ستلقى نفس المصير الذي لاقته من قبل حينما كان زعيمها الحطم بن ضبيعة البكري. ولنستمع إلى هذا الشعر الذي يدل على هذه المعاني كلها في ثلاثة أبيات قالها هذا الرجل[٧٣]:

لا توعدونا بمفـــروق وأســرته إن يأتنا يلق فينا سنة الحطــم

وإن ذا الحي بن بكر وإن كثروا لأمة داخلون النار في أمم
فالنخل ظاهره خيل وباطنه خيل تكدس بالفتيان في النعم

والذي توقعه هذا التابعي البحريني حدث تماماً، فلم يكتب لهذا التجمع القبلي الجديد أي نجاح، بل إنه لم يظهر ولم يتحرك من مكانه، وما ذاك إلا أن قادته قد سمعوا – في الغالب – بأن قبائل أخرى في البحرين قد شدت من أزر العلاء بن الحضرمي بعد أن دخلت في طاعته وأجمعوا أمرهم على نصرته، وهؤلاء كانوا يعرفون باسم اللهازم، وكانوا يتكونون من عجل وتيم اللات وقيس وعنزة(٧٤). كما أن هؤلاء القادة لاشك أنهم سمعوا أيضاً بأن أبا بكر الصديق قد أرسل إلى العلاء بعد أن سمع بخبر هذا التجمع الجديد يقول له: "إن بلغك عن بني شيبان بن ثعلبة ما خاض فيه المرجفون فابعث إليهم جندا وأوطئهم وشرد بهم من خلفهم"(٧٥). كما أنهم كانوا يعلمون أن المثنى بن حارثة الشيباني ومن كان معه من قومه على الطاعة للعلاء والخلافة كان مترقباً ومستعدا لأي صدام جديد، ولذلك لم يجتمعوا ولم يزحفوا إلى العلاء، وفشلت محاولتهم قبل أن تبدأ(٧٦). ومن ثم اطمأن العلاء بن الحضرمي تماماً إلى هدوء الأحوال واستتباب الأمن في بلاد البحرين، فبدأ بتسريح من كان قد انضم إليه من أهل الصحراء في نجد والدهناء مثل تميم، أو من اليمامة مثل حنيفة وعجل وغيرهم، فسمح لهم بالعودة إلى بلادهم إلا من أحب منهم المقام في البحرين(٧٧).

يستفاد من ذلك كله أن غالبية بكر بن وائل لم تكن على الإسلام، فقسم منها وهم الذين أتوا من شمالي البحرين حتى نواحي البصرة والكوفة مع المنذر بن النعمان بن المنذر لم يكونوا على الإسلام كما سبق القول، وقسم ثان منها كان في وسط البحرين مع عبد القيس، وهؤلاء احتفظوا بدينهم القديم وصالحوا

العلاء بن الحضرمي على اقتسام الحبوب والتمور كما سبق القول، وقسم ثالث منها كان مسلماً . غير أن جزءاً من هذا القسم المسلم تمرد وخرج على طاعة الخلافة وأقام الجزء الباقي من هذا القسم على الطاعة للخلافة وساعد العلاء بن الحضرمي في القضاء على تمرد الأقسام السالفة الذكر من البكريين الذين كانوا على غير دين الإسلام .

وعلى ذلك كيف يقال إن بكر بن وائل ارتدت عن الإسلام ومعظمها لم يعتنق الإسلام أصلاً ؟ وكذلك كان رجال الملك الذي أقبلت به ومعه وهو المنذر بن النعمان بن المنذر الذي كان يلقب بالغرور فلم يكن على الإسلام قطعاً لأنه أتى من بلاط كسرى أو من الحيرة التي كان فيما يقال ملكاً عليها، ولم تكن دعوة الإسلام قد وصلت إلى الحيرة في حياة النبي ﷺ، يؤكد ذلك أنه بعد أن رزق هذا الملك بالهزيمة على يد العلاء بن الحضرمي اعتنق الإسلام في إحدى الروايات وبقي في هجر، وقال إنني المغرور ولست الغرور[٧٨]، أي أن الذين أتوا به غرُّوه وخدعوه[٧٩] .

وهكذا نستطيع أن نقول في اطمئنان أن هذا الصراع الذي قادته وشاركت فيه غالبية بكر بن وائل، هذه الغالبية التي كانت على غير دين الإسلام كما رأينا، ما هو في الواقع إلا صراع بين الوثنية التي كانت تدين بها هذه القبيلة ومن لف لفيفها، وبين الإسلام الذي كان يرفع رايته العلاء بن الحضرمي تدعمه عبد القيس ومن لف لفيفها من تميم وأهل البحرين الآخرين من المسلمين . فهو إذن صراع بين الإسلام والوثنية وليس صراعاً بين مسلمين ومرتدين، وهذا هو التفسير الثاني لما حدث في البحرين وقيل خطأً إنه ردة عن الإسلام .

ثالثاً : الجانب الثالث من تفسير الصراع الذي اندلع في البحرين

رأينا فيما سبق أن الجانب الأول من تفسير هذا الصراع هو أنه كان صراعاً قبلياً على الرياسة والزعامة في البحرين، وأن الجانب الثاني هو أنه كان صراعاً بين الإسلام والوثنية. أما الجانب الثالث فهو أنه كان صراعاً بين دولة الإسلام من ناحية ودولة المجوس الفرس ومن كان يمثلها في البحرين من ناحية ثانية، ولم يكن صراعاً بين مسلمين ومرتدين في يوم من الأيام.

وهذا الجانب الثالث من هذا التفسير يتمثل في صراع مسلح عبر ثلاث جولات كبرى : الجولة الأولى كانت عند حصن جواثا الذي يقع داخل البحرين جنوب هجر العاصمة، والجولة الثانية : كانت في مدينة الغابة والزارة على ساحل البحرين، والجولة الثالثة كانت في جزيرة دارين التي تعرف أيضاً باسم جزيرة تاروت.

ويلاحظ أن الجولة الأولى ضد دولة الخلافة الإسلامية ومن يمثلها في البحرين كانت بمساهمة وتدخل عسكري مباشر من دولة الفرس وليس من أتباعها فقط في البحرين، فهؤلاء كان لهم دورهم في الجولتين الثانية والثالثة بعد أن فشل كسرى فارس في جولته الأولى التي كانت تمثل أعتى ما وصل إليه التدخل الفارسي للإبقاء على هيمنته ونفوذه في هذه البلاد.

وقد رأى كسرى فارس أن يحسم الأمر لصالحه بضربة عاتية يقوم بها جيش فارسي وافد من بلاد الفرس نفسها بالتعاون مع هؤلاء الذين سمع بتمردهم من بعض قبائل البحرين وهم بكر بن وائل على وجه التحديد. وكان هذا الكسرى قد سمع بقولهم "والله لنردن هذا المُلْك – أي مُلْك البحرين – إلى آل النعمان بن المنذر، وكانت علاقتهم به قوية كما رأينا – فإنهم أحق بهذا

الأمر من ابن أبي قحافة" يقصدون أبا بكر الصديق الذي تولى الخلافة بعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وهو الخليفة الذي يدين له غرماؤهم من عبد القيس وتميم البحرين بالطاعة . ولذلك انتهز كسرى فارس هذه الفرصة وهذا الانشقاق في الجبهة الداخلية في البحرين وبعث إلى وجوه بكر بن وائل فقدموا عليه وعنده يومئذ المخارق بن النعمان، وهو المنذر بن النعمان بن المنذر الملقب الغرور، فقال لهم كسرى : "سيروا مع المنذر بن النعمان فإني قد ملّكته فخذوا البحرين" . فساروا وسارت معه الأساورة[٨٠]، وتحت إمرة المنذر هذا وإمرتهم سبعة آلاف جندي فارسي، وأرسل معهم كسرى فارس ستمائة من أشراف بكر بن وائل بخلاف ما كان ينتظرهم للانضمام إليهم من عامة بكر بن وائل وغيرهم[٨١] .

فهو إذن تدخل فارسي عسكري سافر، وعدوان على البحرين وأهلها، ومحاولة للقضاء على الإسلام والمسلمين فيها . وقد تمكنت هذه الحملة الفارسية البكرية من السيطرة على كثير من أنحاء البحرين، وانهزمت عبد القيس وزعيمها الجارود بشر بن عمرو بن المعلى العبدي، وتحصنت في حصن يقال له جواثا جنوب هجر العاصمة، واستنجدوا بالصديق أبي بكر، فأرسل إليهم العلاء بن الحضرمي في ألفين من المهاجرين والأنصار، وانضم إليهم ثمامة بن أثال الحنفي في نفر من حنيفة أهل اليمامة، وقيس بن عاصم في جماعة كبيرة من تميم، ولحقته أيضاً سعد والرباب من تميم، وصار العلاء بن الحضرمي في نيف وستة آلاف من الجند، وتمكن من أخذ الفرس وأتباعهم من بكر بن وائل على غرة وهم سكارى في معسكر كانوا قد أقاموه قبالة حصن جواثا، وهزمهم وقتل الكثيرين منهم، وأسر الملك الغرور الذي سمى نفسه بعد ذلك بالمغرور وقتله العلاء، كما قتل الحطم بن ضبيعة البكري زعيم المتمردين من بكر بن وائل في البحرين على يد التميميين، وأصبح هذا الجمع الفارسي

البكري بين قتيل وجريح وأسير وفارٍ ناحية الساحل إلى الزارة والغابة وجزيرة دارين، وهرب بعض الجند من الفرس إلى كسرى فارس وأخبروه بهذه الهزيمة القاسية لجنده وحلفائهم، فاغتم غماً شديداً لأن أهدافه في السيطرة على بلاد البحرين وفي القضاء على دولة الإسلام لم تتحقق وانهارت بهزيمة جيشه وبالقضاء على تمرد بكر بن وائـل وعودتهم إلى طاعـة الدولـة الإسلامية من جديد(٨٢).

ولعل كثرة وتعدد القوى(٨٣) التي شاركت في هذه الجولة ضد العلاء بن الحضرمي وجيشه ومن معه من أهل البحرين الذين لم يخرجوا على طاعة الخلافة هو الذي دفع العلاء إلى مراسلة أبي بكر الصديق يستنجد به ويستمده، فكتب الصديق إلى خالد بن الوليد يأمره بالنهوض إلى العلاء بن الحضرمي من اليمامة وإنجاده، وكان قد انتهى من قمع تمرد أهل اليمامة وقتل زعيمهم مسيلمة بن حبيب الحنفي الكذاب، وقدم خالد بن الوليد إلى البحرين وقابل العلاء بن الحضرمي الذي كان قد نجح في قتل الحطم بن ضبيعة البكري وهزم جيشه البكري الفارسي، فساعده خالد في حصار مدينة الخط، ثم أتاه كتاب أبي بكر الصديق بالشخوص إلى العراق، فزحف إليه بجيش من البحرين وذلك في عام ١٢هـ(٨٤)، هذا وإن كانت هناك رواية أخرى نرجحها تقول بأن خالد بن الوليد اتجه من اليمامة إلى المدينة المنورة ومنها إلى العراق، أو من اليمامة إلى العراق مباشرة(٨٥)، والترجيح هنا مبني على أن قائل هذه الرواية هو الواقدي وهو أقدم من البلاذري والطبري بحوالي قرن من الزمان. ومهما يكن من أمر، فقد نجح العلاء بن الحضرمي نجاحاً كبيراً في الجولة الأولى من الصراع بين دولة الخلافة وكسرى فارس.

أما الجولة الثانية من هذا الصراع فإنها تتعلق بالفرس المقيمين في البحرين والذين كانوا يمثلون كسرى فارس ويعملون بأمره فيها من قبل أن يظهر

الإسلام، وكان على رأس هذا الوجود الفارسي في البحرين مرزبانان فارسيان، أحدهما في هجر العاصمة والثاني في مدينة الزارة الساحلية . فما هو موقفهما من هذا الصراع ؟ وهل حاولا تحقيق ما فشل فيه جند كسرى المرسلين من فارس نفسها في جولته الأولى التي تحدثنا عنها ؟

أما المرزبان الأول فيدعى أسيبخت، وكان مقيماً في هجر ومعه جماعة من قومه، وقد أسلم هذا المرزبان وبعض قومه من الفرس المقيمين في هذه المدينة . يفهم ذلك من الكتاب الذي أرسله النبي ﷺ إليه والذي بدأه بعبارة "إلى أسيبخت عبد الله صاحب هجر"، يقول فيه النبي ﷺ أنه قبل شفاعته في قومه وأنه سماهم "بني عبد الله" وطلب منه النبي ﷺ أن يأمرهم بالصلاة وبأحسن العمل[٨٦] . ولعل هؤلاء الفرس الذين أسلموا هم الذين أشار إليهم البلاذري بأنهم كانوا ضمن جيش العلاء بن الحضرمي الذي قاتل به المتمردين المعروفين بالمرتدين في البحرين، فقد أشار إلى أنه قاتلهم قتالاً شديداً "بمن كان معه من العرب والعجم"[٨٧] .

ويفهم من كتب التاريخ أن هجر كانت عاصمة للبحرين وقتذاك، وأن حاكم البحرين المنذر بن ساوي العبدي كان يقيم فيها، وأنه وكما ذكرنا قد سارع إلى اعتناق الإسلام حينما وصلته الدعوة إليه على يد العلاء بن الحضرمي، وأرسل له النبي ﷺ كتباً ورسائل عديدة، كما أرسل رسالة إلى أسيبخت مرزبان هجر . فمن المرجح أن المنذر ابن ساوى كان له دور في إسلام هذا الرجل الفارسي وإسلام بعض أهله من الفرس الموجودين في هذه المدينة، أما البعض الآخر منهم فقد ظلوا على مجوسيتهم، يفهم ذلك من الكتاب الذي أرسله المنذر بن ساوى العبدي إلى النبي ﷺ يستفسر منه عما يفعله مع المجوس واليهود الموجودين في البحرين، ورد النبي ﷺ عليه في أكثر من رسالة

أجاب فيها على المنذر وطلب منه أن يأخذ من المجوس واليهود والنصارى الجزية[٨٨] .

وإذا كان هؤلاء المجوس المذكورون في هذه الرسائل يشملون المجوس من أهل البحرين والمجوس الفرس المقيمين فيها أو المحتلين لها بمعنى أصح، فإن البلاذري يوضح موقف هؤلاء الفرس المحتلين من الإسلام ورفضهم للدخول فيه حينما يذكر بسنده أن "الرسول ﷺ بعث إلى وضائع كسرى بهجر فلم يسلموا، فوضع عليهم الجزية ديناراً على كل رجل منهم" وتم أخذها منهم[٨٩] . ومعنى ذلك أن معظم المجوس الفرس لم يدخلوا في الإسلام حسب هذه الرواية وغيرها من الروايات أو الرسائل المتبادلة بين النبي ﷺ والمنذر بن ساوى . ويبدو أنهم اتخذوا موقفاً مضاداً من الدعوة الإسلامية وأتوا من الأفعال التي استنكرها رسول الله ﷺ في رسالته إلى مرزبانهم أسيبخت الذي أشرنا إليه وإلى حاكم هجر والبحرين كلها المنذر بن ساوى العبدي . ويبدو أن هذين الحاكمين نجحا في القضاء على هذه الحركة وتشفع المنذر كما تشفع أسيبخت فيهم، وقبل النبي ﷺ شفاعتهما وعفا عنهم[٩٠] .

لكن المجوس الذين عارضوا دعوة الإسلام واستمروا في تحديهم لدولة الإسلام عقب وفاة النبي ﷺ هم مجوس الزارة الذين كانوا في الغالب يشكلون حاميتها الفارسية . والزارة إحدى مدن البحرين الهامة، فقد كانت عاصمة المنطقة الساحلية، ومقراً لمرزبان فارسي يشرف عليها ويرأس الحامية الفارسية الموجودة فيها وذلك منذ العصر الجاهلي حينما كان نفوذ الفرس ممتداً إلى هذه البلاد . وتزداد أهمية الزارة حين نعلم أنها كانت فرضة من فرض البحرين، أي أنها كانت ميناءً بحرياً وكان سكانه من عبد القيس[٩١] .

وفي هذه المدينة الهامة تحصن مرزبانها الذي كان مشهوراً بلقب المكعبر الفارسي[٩٢]، واسمه فيروز بن جشيش، وهو صاحب كسرى الذي كان

قد وجهه لقتال وقتل بني تميم بعد أن عرضوا لعيره المحملة بتجارة له ونهبوها، وانضم إليه مجوس آخرون كانوا قد تجمعوا في مدينة القطيف القريبة جداً من الساحل وامتنعوا جميعاً عن دفع الجزية وتمردوا وخرجوا عن الطاعة، وفعل نفس الشيء عجم كانوا يسكنون مدينة الغابة[٩٣] القريبة من الزارة والقطيف . فبدأ العلاء بن الحضرمي بقتال مجوس هذه المدينة الأخيرة أي الغابة بعد أن كان قد انتهى من متمردي جواثا وغيرها من المدن أثناء زحفه إلى جزيرة دارين (تاروت) لمقاتلة من فر إليها من متمردي جواثا . وبعد أن انتهى من مجوس الغابة أتى إلى الزارة وفيها المكعبر فحاصره ومن معه، ولما دعا المكعبر العرب إلى المبارزة اعتداداً بنفسه وغروراً بها، بارزه الصحابي الجليل البراء بن مالك فقتله وأخذ سلبه فبلغ أربعين ألفاً . وكان هذا السلب يتكون من سوارين ويلمق (درع بالفارسية) ومنطقة (أي حزام) كان يتحزم بها . وقد خمسه الخليفة لكثرته وارتفاع ثمنه، وكان أول سلب خمس في الإسلام[٩٤] .

ورغم مقتل هذا المرزبان الفارسي الذي تزعم مجوس المدن الساحلية : الزارة والقطيف والغابة، إلا أن مجوس الزارة بالذات لم يستسلموا وتحصنوا داخل مدينتهم رغم مقتل قائدهم وضرب عليهم العلاء الحصار، ولم يتمكن من فتح هذه المدينة إلا بعد أن خرج إليه رجل من أهلها مستأمناً على أن يدله على مصدر الماء الذي يشرب منه مجوس الزارة وأهلها، وهي عين ماء كانت تقع خارج هذه المدينة وتمدها بالماء عبر قناة تسري تحت الأرض، فقام العلاء بسد هذه القناة واضطر مجوس الزارة إلى أن يصالحوه، وذلك في عام ١٢هـ، على أن يكون له ثلث المدينة وثلث ما فيها من ذهب وفضة، ونصف ما كان لهم خارجها، أما الذراري والنساء فقد هربوهم إلى جزيرة دارين[٩٥] .

تلك هي نتيجة الجولة الثانية من الصراع بين دولة الخلافة متمثلة في العلاء بن الحضرمي، ودولة الفرس متمثلة هذه المرة في مرزبان الزارة الذي

حرضه دون شك كسرى فارس على القيام بهذا الدور الذي فشل فيه كسرى نفسه . وكما فشل كسرى في الجولة الأولى فشل مرزبانه ذلك في الجولة الثانية التي تحدثنا عنها الآن .

أما الجولة الثالثة والأخيرة فكانت في دارين بجزيرة تاروت التي تقع في جون من الماء أمام مدينة القطيف . وكان عدد كبير من مجوس الزارة وجندها الفرس، والمنهزمين من بكر بن وائل وحلفائهم من الفرس القادمين من فارس الذين هزموا في جواثا قد فروا ناحية هذه الجزيرة، وخاف العلاء بن الحضرمي إن تركهم أن يصبحوا مصدر تهديد له وللمسلمين في البحرين، ولعل مساعدة فارسية تقدم عليهم من أرض فارس فتزيد من قوتهم، فاقتحم مياه البحر عليهم بعد أن دعا الله سبحانه وتعالى أن يهون عليهم هذا الأمر، فاجتازوا تلك المياه بفرسانهم وكانوا كما يقول الطبري "يمشون على مثل رملة ميثاء، فوقها ماء يغمر أخفاف الإبل"، ولما وصلوا إلى دارين اقتتلوا قتالاً شديداً وقتلوا المقاتلين الذين كانوا فيها سواء من العجم أم من العرب الذين فروا إليها من جواثا، وسبَوْا الذراري واستاقوا الغنائم، فبلغ نفل الفارس ستة آلاف والراجل ألفين[٩٦] .

وهكذا كانت نتيجة الصراع الذي اندلع بين دولة الخلافة الإسلامية ممثلة في العلاء ابن الحضرمي، وبين دولة الفرس وقوادها وجيشها الذي قدم في الجولة الأولى من أرض فارس نفسها، ومرزبانها الذي كان مقيماً في مدينة الزارة وجمع العجم هناك وفي الساحل كله لقتال العرب في الجولة الثانية، وعجم فارس الذين فروا إلى دارين في الجولة الثالثة .

ولاشك أن تعدد الجولات على هذا النحو وإصرار الفرس على إحراز أي انتصار ضد العرب المسلمين إنما يدل على ثلاثة أمور : **الأمر الأول** هو محاولة الفرس استرجاع نفوذهم في بلاد البحرين، وهو نفوذ تعرض لضربة شديدة منذ

أن اعتنق معظم أهل البحرين الإسلام طواعية واختياراً في عهد النبي ﷺ . **والأمر الثاني** هو كراهية كسرى فارس للعرب والإسلام . وكراهية الأكاسرة للعرب معروفة منذ ما قبل ظهور الإسلام بقرون، وكانت لهم حروب وإغارات بربرية وحشية ضد عرب البحرين والحيرة منذ عهد سابور ذي الأكتاف حولي منتصف القرن الرابع للميلاد، وبهذه الغزوات أخضع هذا الرجل هذه البلاد لنفوذه منذ ذلك التاريخ . ولما ظهر الإسلام والتف حوله العرب ومنهم عرب البحرين بطبيعة الحال ظهرت كراهية كسرى فارس لدعوة الإسلام منذ ظهورها في عهد النبي ﷺ، ومنذ أن أرسل النبي رسله وكتبه إلى الملوك المجاورين لجزيرة العرب يدعوهم فيها إلى الإسلام . ورغم أنهم رفضوا هذه الدعوة إلا أن أحداً منهم لم يتجرأ ويقوم بتمزيق كتاب النبي ﷺ إلا كسرى فارس . ولما بلغ النبي ﷺ هذا الأمر دعا عليه وقال : "مزق الله ملكه"[٩٧] .

ولاشك أن الإسلام هو الذي عبأ قلوب وعقول العرب في البحرين كي يلقوا عن أنفسهم وبلادهم رداء التبعية لفارس والفرس ويتحرروا من نفوذهم وسلطانهم، وشجعهم على الالتفاف حول العلاء بن الحضرمي وجيشه القادم من المدينة المنورة عاصمة الدولة الإسلامية ووقفوا للفرس القادمين والمقيمين وحاربوهم وألحقوا بهم الهزيمة والبوار . أما **الأمر الثالث** فهو أن هذا الصراع كان صراعاً بين العرب المسلمين وبين الفرس المجوس، ولم يكن صراعاً بين مسلمين ومرتدين على أي حال من الأحوال .

وهكذا وبعد أن استعرضنا الجوانب الثلاثة في تفسيرنا للصراع الذي حدث على أرض البحرين غداة البيعة لأبي بكر الصديق بالخلافة نستطيع القول أن ما قيل عن ردة أهل البحرين عن الإسلام كلام غير صحيح جملة وتفصيلاً، وما حدث فيها وعلى أرضها ما هو إلا صراع على الرياسة والزعامة بين قبائلها من

ناحية، وصراع بين الإسلام والوثنية من ناحية ثانية، وصراع بين الإسلام ودولة الفرس من ناحية ثالثة .

هذا هو تفسير ما حدث وأسبابه ومظاهره لكن تبقى كلمة في شكل سؤال لابد من طرحه ولابد من الإجابة عليه وهو : ما هو دور أهل البحرين في التصدي وفي القضاء على هذا الصراع المتعدد المظاهر والأسباب ؟ أما الإجابة فتكمن في القول بأن رأس الرمح في القضاء على هذا الصراع أو على هذا التمرد الذي قادته بكر بن وائل واستغلته فارس هو جيش الخلافة بقيادة العلاء بن الحضرمي، ولكن هل وقف أهل البحرين متفرجين على هذه الحرب التي اندلعت في جولات ثلاث ؟ واقع الحال وما رواه المؤرخون يبين بكل وضوح أنه كان لهم دورهم الهام في حسم هذا الصراع لصالح الإسلام ودولته . وحتى يظهر هذا الدور لابد أن نشير إلى حجم من صارعوهم من المتمردين والعصاة والمساندين لهم، فهم كانوا يتكونون من معظم بكر بن وائل، وعددهم كبير خاصة بعد أن انضم إليهم من كان منهم في كاظمة (الكويت الآن) ومنطقة البصرة وصحرائها التي كانت جزءًا من البحرين في ذلك الحين، وتكاثر العدد إلى حد كبير بعد أن تم دعمهم بسبعة آلاف جندي فارسي، فإذا أضيف إليهم مجوس البحرين ومن كان يعيش فيها من أهل الهند الذين كانوا يعرفون بالزط والسيابجة لعرفنا أن قوة هذا التمرد كانت كبيرة، بلغت تسعة آلاف من الفرس، وثلاثة آلاف من العرب[٩٨] ولذلك استمر المسلمون يقاومون القائمين به طيلة فترة خلافة أبي بكر الصديق، وفترة أخرى في بداية عهد الفاروق عمر بن الخطاب بعكس الحال مع بقية المتمردين والعصاة في اليمن وعمان ونجد وغيرها، إذ أن حركاتهم تم سحقها والقضاء عليها في عهد أبي بكر الصديق .

ويأتي دور عبد القيس في القضاء على هذا التمرد في المقام الأول من أدوار الآخرين المشاركين لهم في هذا العمل بحكم أنهم كانوا أغلبية سكان المنطقة

التي تشكل العمود الفقري لهذه البلاد، وهي المنطقة التي تحتوي على أغلب المدن والقرى البحرينية الداخلية مثل مدينة هجر وجواثا والمشقر والصفا وكذلك المدن الساحلية أو التي تقع قرب الساحل مثل الزارة والغابة والقطيف والخط والعقير، والجزر البحرينية مثل جزيرة دارين (تاروت) وجزيرة أوال وغيرهما من الجزر . ولذلك فقد كان رجال عبد القيس في المعارك التي دارت بين العلاء بن الحضرمي والمتمردين في البحرين من الأبطال بجانب أبطال آخرين من تميم، وكانت أولى المعارك التي حدثت في هذا الصراع وأهمها هي معركة حصن جواثا التي حاصر فيها المتمردون بقيادة زعيمهم الحطم بن ضبيعة البكري المدعوم عسكرياً بالجيش الفارسي الذي أشرنا إليه، نقول حاصر هؤلاء المتمردون ومساعدوهم من الفرس عدداً كبيراً من سكان هذا الحصن وكان معظمهم من عبد القيس . وكانت مساعدة عبد القيس للعلاء بن الحضرمي كبيرة وأساسية في حسم هذه المعركة، يشير إلى ذلك الطبري فيقول : "إن العلاء بن الحضرمي وقبل أن يصل إلى ميدان المعركة أرسل إلى بطون عبد القيس الأخرى غير المحاصرة وزعيمهم الجارود بشر بن المعلى العبدي ينسق معهم ويخطط للمعركة ويبين دورهم فيها . فطلب إلى الجارود أن ينزل بقومه ويهاجم الحطم مما يليه، على أن ينزل هو أي العلاء فيمن قدم معه مما يلي هجر، وذلك حتى يتم حصار الحطم من ناحيتين فتتشتت قواته الكثيرة العدد، وإذا وقع القتال خرج المحاصرون من عبد القيس في حصن جواثا وانقضوا على الحطم من الخلف"[٩٩] .

ويؤكد ابن خلدون هذا المعنى ويقول : "إن العلاء نزل هجر وبعث إلى الجارود أن ينازل بعبد القيس الحطم وقومه مما يليه"[١٠٠] . وانتهى الأمر بأن تجمع المسلمون وخندقوا على أنفسهم وتجمع المتمردون ومن ساندهم من الفرس وخندقوا على أنفسهم عند حصن جواثا، وكانوا يخرجون إلى القتال ثم يعود

كل فريق منهم إلى خندقه . وظل هذا الأمر على هذا النحو شهراً ولم يتم الحسم والانتصار على الحطم ومن معه من البكريين والفرس إلا بمساعدة رجل من عبد القيس ندب نفسه لدخول معسكر الحطم متنكراً أو محتالاً لمعرفة أحوالهم والإتيان بخبرهم بعد أن أحس المسلمون بأن ضوضاء شديدة تنبعث من معسكرهم . هذا الرجل هو عبد الله بن حذف، وهو من بني أبي بكر بن كلاب من عبد القيس[١٠١] . وقد تمكن عبد الله هذا من دخول معسكر الحطم ورأى أحوال جنده، وأن كثيراً منهم سكارى، وخرج وعاد إلى معسكر العلاء بن الحضرمي فأخبره الخبر فاقتحم العلاء عليهم معسكرهم وباغتهم بالقتال وقاتلهم قتالاً شديداً وقع فيه بعض أبطال المسلمين شهداء، ولكنه انتصر عليهم بمساعدة العبديين الذين خرجوا من حصن جواثا وباغتوهم من الخلف فأصبحوا "بين مترد وناج ودهش ومقتول أو مأسور، واستولى المسلمون على ما في المعسكر" وقتل الحطم على يد قيس بن عاصم التميمي، وأسر الملك الغرور وقيل قتل[١٠٢] .

وليس معنى ذلك أن عبد الله بن حذف العبدي الذي دل العلاء بن الحضرمي على أحوال معسكر الأعداء غير الطبيعية هو صاحب هذا النصر أو المتسبب الوحيد فيه، ولاشك أن دوره كان مهماً وأتاح الفرصة للعلاء وجيشه في اقتحام معسكر الحطم وحلفائه من الفرس، لكن بطولة وشجاعة العلاء وخبرته بالقتال وبطولة وشجاعة جنده القادمين معه من المدينة المنورة من المهاجرين والأنصار وجند تميم الذين انضموا إليه أثناء اجتيازه صحراء الدهناء، وأهل البحرين من عبد القيس وغيرهم الذين نسقوا معه خطة الهجوم على الأعداء، كل ذلك هو العامل الفاعل في تحقيق هذا النصر العظيم .

ويظهر دور عبد القيس خاصة وأهل البحرين عامة في الجولة الثانية والثالثة من هذا الصراع الذي اندلع في البحرين . وكانت الجولة الثانية عند

مدينة الزارة الساحلية والجولة الثالثة والأخيرة في دارين بجزيرة تاروت كما أشرنا من قبل .

أما **الجولة الثانية** فقد حسمت لصالح العلاء بن الحضرمي وجنده نتيجة مساعدة فعالة كان لها أثرها الكبير وأدت إلى سقوط الزارة في يد العلاء . ولم تكن هذه المساعدة إلا من رجل من أهلها الذين كان معظمهم من عبد القيس بالإضافة إلى عجمها، ولولا ذلك لطال حصارها وصارت معركتها أشد من معركة جواثا وأعنف، نظراً لقيام المكعبر الفارسي فيروز بن جشيش صاحب كسرى الذي كان قد وجهه من قبل لعقاب بني تميم الذين كانوا قد عرضوا لعيره بالتحصن في هذه المدينة الحصينة[١٠٣] التي كانت قاعدة منطقة القطيف كلها ودار حكمها فيما بعد حتى قبيل عصر القرامطة، بل إنها كانت منذ ظهور الإسلام من أقوى المدن في إقليم البحرين كله[١٠٤] حتى اعتقد أحد الباحثين الآن بأنها هي العاصمة وأنها هي هجر[١٠٥] .

المهم أن هذا المرزبان الفارسي تحصن في الزارة بمن معه من جند الفرس وانضم إليه مجوس محليون كانوا قد تجمعوا بالقطيف وتمردوا بأن امتنعوا عن دفع الجزية، وأقام العلاء محاصراً لها ولم يتمكن من فتحها إلا في أوائل عهد خلافة عمر بن الخطاب ﷺ وبمساعدة عبد القيس الذين ساعدوه من قبل في فتح المناطق والمدن المجاورة أو القريبة من الزارة . وفي ذلك يقول البلاذري : "غزا العلاء بعبد القيس قرى من السابون[١٠٦] في خلافة عمر بن الخطاب ففتحها ثم غزا مدينة الغابة فقتل من بها من العجم، ثم أتى الزارة وبها المكعبر فحصره، ثم إن مرزبان الزارة — يقصد المكعبر — دعا إلى البراز فبارزه البراء بن مالك فقتله وأخذ سلبه فبلغ أربعين ألفاً، ثم خرج رجل من الزارة مستأمناً على أن يدل العلاء على شرب القوم"، ويقول البلاذري أن هذا الرجل دله على عين ماء خارجة يجري منها الماء في قناة تحت الأرض إلى الزارة

فسدها العلاء فلم يكن من عجمها إلا أن صالحوه، كما سبق القول[١٠٧] . ولا تعني هذه الرواية إلا أن هذا الرجل البحريني هو السبب المباشر في استسلام الزارة، وأن عبد القيس الذين كانوا مع العلاء وصمودهم معه في حصارها كانوا سبباً آخر في هذا النصر المبين، كذلك فإن أهلها من العرب وجلهم كما أشرنا من عبد القيس كان لهم أثرهم أيضاً في هذه المصالحة أو هذا الاستسلام لرجل يقود جيشاً كثيرون فيه من قبيلهم، أي من عبد القيس، ولذلك لم يحدث قتال أو صدام أو أي مناوشة، ساعد على ذلك أن عجمها قد خارت قواهم بعد أن قتل قائدهم المكعبر في المبارزة التي طلبها بنفسه .

أما **الجولة الثالثة** والأخيرة فقد حسمت أيضاً لصالح العلاء بن الحضرمي بفضل الله ثم بفضل جنده الذين كان يتكون أغلبهم من أهل البحرين من عبد القيس وتميم بالإضافة إلى من قدم معه من المهاجرين والأنصار الكرام، وكانت هذه الجولة وكما أشرنا من قبل في دارين بجزيرة تاروت، وقد بينا ما حدث فيها من قتال وانتصار ساحق للعلاء ابن الحضرمي وجنده على من كان قد فر إليها من عجم الزارة، ومن المنهزمين من بكر ابن وائل في معركة جواثا . ولم يكن غزو العلاء لهذه الجزيرة إلا بسبب مشورة قدمها أحد البحرينيين من عبد القيس — وهو الأخنس العامري الذي ينتمي إلى بني عامر بن الحارث بن أنمار من عبد القيس[١٠٨] — للعلاء بضرورة غزو هذه الجزيرة لأنها أصبحت معقلاً للفارين من الزارة، كما أنها ضمت الذراري والنساء الذين لم تتم المصالحة عليهم حين فتحه لهذه المدينة بعد أن تم تهريبهم منها إلى هذه الجزيرة، كما أن رجلاً بحرينياً آخر من عبد القيس أيضاً يدعى كراز النكري – ونكرة إحدى بطون عبد القيس — هو الذي دل العلاء على المخاضة التي اقتحمها من الساحل إلى هذه الجزيرة، وقال كراز في ذلك شعراً أوله :[١٠٩]

هاب العلاء حياض البحر مقتحماً فخضت قدماً إلى كفار دارينا

وهكذا نرى أن رجلاً من عبد القيس هو الذي أشار على العلاء بضرورة غزو دارين، ورجلاً آخر من نفس هذه القبيلة هو الذي دله على المخاضة التي خاضها العلاء وجنده فوصلوا إلى دارين بسهولة ويسر بعد أن كانوا قد تخوفوا من اقتحام المياه إلى هذه الجزيرة، كما نرى بحرينياً ثالثاً وهو من تميم واسمه عفيف بن المنذر التميمي يشير إلى مساهمته ومساهمة قومه في هذا الحدث الهام أو في هذه المعركة التي تم فيها القضاء نهائياً على المتمردين في البحرين فيقول :(١١٠)

ألم تر أن الله ذلل بحره وأنزل بالكفار إحدى الجلائل

دعونا الذي شق البحار فجاءنا بأعجب من فلق البحار الأوائل

وبذلك أمن العلاء بن الحضرمي ألا يؤتى من هذه الناحية، وعاد إلى الساحل – أي ساحل منطقة القطيف – بعد أن عز الإسلام وأهله، وكان لأهل البحرين في ذلك القدح المعلى بجانب إخوانهم المهاجرين والأنصار، ولم يكن هذا الفضل قاصراً على عبد القيس وتميم وحدهم، بل إننا نرى نفراً من بكر بن وائل التي قادت هذا التمرد أو هذه الفتنة، نقول إننا نرى نفراً منها ممن كانوا على الإسلام والطاعة للخلافة بقيادة المثنى بن حارثة الشيباني يساهم وكما سبق القول في منع ذيول هذا التمرد من أن تظهر في شمالي البحرين بقيادة مغروق الشيباني الذي لم يستطع التحرك من مكانه للقيام بتمرد جديد(١١١).

والجدير بالذكر أن جهود عبد القيس ومن لف لفيفها لم تكن قاصرة على مساعدة جيش الخلافة في القضاء على الفتنة التي أثارتها بكر بن وائل في البحرين، بل إنها قدمت مساعدتها لجيوش الخلافة خارج البحرين، نقصد ما

قدمته من عون ومساعدة فعالة لجيوش الخلافة التي وصلت إلى سلطنة عمان للقضاء على فتنة أو تمرد حدث في مدينة دبا قام به رجل يدعى ذا التاج لقيط بن مالك الأزدي ضد ملكي عمان جيفر وعبد ابني الجلندي، والذي كادت قواته تتغلب على جيوش الخلافة لولا نجدة وصلت وساندت هذه الجيوش من عبد القيس يقودها سيحان بن صوحان العبدي، ونجدة أخرى من بني ناجية يقودها الخريت بن راشد، ومن ثم استطاعت جيوش الخلافة تحقيق النصر على لقيط والقضاء عليه وعلى حركته(١١٢) . وصوحان العبدي هذا وبنوه كانوا قد انحدروا إلى عمان وسكنوها قبيل ظهور الإسلام(١١٣) وأصبحوا عامل ربط بين أهلها وأهل البحرين خاصة وأن تخوم البحرين كانت تمتد حتى عمان، ومن ثم اتسع المجال أمام عبد القيس كي تشارك في تشكيل تاريخ هذين البلدين العريقين .

وهكذا يتبين لنا أن أهل البحرين من عبد القيس وتميم وبعض بني بكر بن وائل الذين كانوا على الإسلام قد ساعدوا جيش الخلافة الذي كان يقوده العلاء بن الحضرمي مساعدة فعالة ورئيسية مكنته من القضاء على هذه الفتنة أو هذا التمرد الذي قام به معظم بكر بن وائل ومن كان معهم من المجوس والزط والسيابجة الذين رفضوا دفع الجزية(١١٤)، ولولا هذه المساعدة وهذه المشاركة لما تمكن العلاء بن الحضرمي من القضاء على هذا التمرد الذي كان مسنوداً بقوة الدولة الساسانية في فارس وبجيشها الذي أرسلته إلى البحرين لمساعدة هؤلاء العصاة المتمردين .

وعلى ذلك كيف يمكن أن يقال أن أهل البحرين ارتدوا عن الإسلام بعد أن رأينا مدى التفافهم حول العلاء بن الحضرمي ومساهماتهم الكبيرة التي

قدموها له للقضاء على تمرد بكر بن وائل، وبعد أن درسنا الأسباب الحقيقية التي تفسر هذا التمرد، وهو تفسير لا يمكن أن يدل على أن الصراع الذي قام بين أهل البحرين تعبيراً عن هذا التمرد كان صراعاً بين مسلمين ومرتدين وإنما كان صراعاً بين مسلمين وعصـــاة متمردين لأسباب ثلاثة : **أولاها** : أنه كان صراعاً قبلياً تنافست فيه قبائل البحرين على الرياسة والزعامة، **وثانيها** : أنه كان صراعاً بين من كان منهم على الإسلام ومن كان منهم على الوثنية، **وثالثها** : أنه كان صراعاً بين دولة الإسلام وبين دولة المجوس في فارس .

د. رجب محمد عبد الحليم

جامعة البحرين

الهوامش والحواشي

١ — توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وآخرين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ٣ سنة ١٩٧٠، ص٦٠ .

٢ — المرجع السابق ونفس الصفحة .

٣ — محمد حسن بريغش : ظاهرة الردة في المجتمع الإسلامي الأول، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، بدون تاريخ، ص٤٥، ٤٦، ٨٣، ٨٥، ١١٩، ١٢٥، ١٢٧، ١٤٣، ١٤٤ .

٤ — توماس أرنولد : نفس المرجع، ص٦١، ٦٢ .

٥ — الطبري : تاريخه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة ط ٦ سنة ١٩٩٠م، جـ ٣، ص٢٢٤، ٢٢٥، ٢٥٨، ابن هشام : السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة، ط ٢ سنة ١٩٥٥م، جـ ٢، ص٦٦٥ .

٦ — أنظر كتابنا : الردة في ضوء مفهوم جديد، دار النهضة العربية للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة سنة ١٩٨٥م، ص٨٢، ٨٣ .

٧ — الطبري : تاريخه، جـ ٢ ص٢٧ .

٨ — المصدر السابق، جـ ٣ ص٢٧٢، النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة بدون تاريخ، جـ ١٩، ص٧٨ .

٩ — ابن رشد : بداية المجتهد ونهاية المقتصد، المطبعة الجمالية، القاهرة، ط ١ سنة ١٣٢٩هـ، جـ ١، ص٢٣٠، الشوكاني : نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، القاهرة سنة ١٣٢٧هـ، جـ ٤، ص٧، ٨، سالم البهنساوي : الحكم وقضية تكفير المسلم، دار الأنصار، القاهرة ط ١ سنة ١٩٧٧م، ص٧١، ٧٧، ٧٨ .

١٠ — أنظر كتابنا : الردة في ضوء مفهوم جديد، ص١٨، ١٩، ٢٤، ٢٥، ٣٢، ٤٩ .

١١ — ابن الأثير : الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفدا عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ سنة ١٩٨٧م، جـ ٢، ص٢١٩ .

١٢ — الطبري : نفس المصدر، جـ ٣، ص٢٨٦ .

١٣ — أنظر كتابنا : الردة في ضوء مفهوم جديد، ص٢١، ٢٣، ٢٦، ٣٣، ٤٥، ٤٨ .

١٤ – سالم البهنساوي : نفس المرجع، ص١٨١ .

١٥ – كانت جيوش أبي بكر تقاتل بعض قبائل اليمن الملتفة حول قيس بن عبد يغوث قائد جند الأسود العنسي وقبيلة كندة على الطاعة. أي يطيعوا أبا بكر الصديق ولا يخرجوا عن حكمه، أنظر ابن أعثم الكوفي : كتاب الفتوح، حيدر أباد، الدكن، الهند، سنة ١٩٦٨، جـ ١، ص٥٨، ٦٢، ٦٨، ٦٩ وكما سنرى كان جيش العلاء بن الحضرمي يقاتل متمردي البحرين على الطاعة أيضاً .

١٦ – لم يكن القتال هنا لأنهم أنكروا الزكاة كفريضة، ولكنهم امتنعوا عن إعطائها لعمال الصدقات، واعتُبروا بذلك كأنهم مرتدون لأنهم بعملهم هذا يقوضون نظام الدولة الإسلامية، ويفككونها ويمهدون للقضاء عليها . أما من الناحية الشرعية أو الدينية فليسوا مرتدين بدليل أن عمر بن الخطاب قال فيهم لأبي بكر الصديق "يا خليفة رسول الله ﷺ : قوم مؤمنون إنما شحوا على أموالهم والقوم يقولون ما رجعنا عن الإسلام، ولكن شححنا على أموالنا" . فعفا عنهم أبو بكر ورفض أن يأخذ الفدية من أسراهم وأطلقهم وقال "لا سباء في الإسلام" . أنظر ابن أعثم الكوفي : كتاب الفتوح، جـ ١، ص٧٤، ٧٥، الكلاعي : الاكتفاء في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفا، مخطوط حققه ونشره د. أحمد غنيم تحت اسم حروب الردة، القاهرة، ط ١ سنة ١٩٧٩م، ص١٨١، ١٨٣ .

١٧ – الكاندهلوي : حياة الصحابة، دار القلم، دمشق، ط ٢ سنة ١٩٨٣م، جـ ١، ص٤٧٢ .

١٨ – المثال على من خرج عن المألوف في سلوكه هو الأشعث بن قيس الكندي. فقد وصفه الناس بالكفر عندما عفا عنه أبو بكر الصديق ووافقه على أن يزوجه أخته أم فروة بنت أبي قحافة بعد أن كان متمرداً في بلاد اليمن واعتقل وجيء به إلى أبي بكر ليرى فيه رأيه، ولما عفا عنه على هذا النحو خرج هذا الرجل إلى سوق الإبل في المدينة وأشهر سيفه وجعل لا يرى جملاً أو ناقة إلا عرقبها " فصاح الناس كفر الأشعث" . ولما فرغ من ذلك قال لهم : "والله ما كفرت ولكن زوجني هذا الرجل – يقصد أبا بكر – أخته، ولو كنا ببلادنا – يقصد اليمن – لكانت لنا وليمة غير هذه، يا أهل المدينة انحروا وكلوا، ويا أصحاب الإبل تعالوا خذوا أثمانها" . أنظر : ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة، سلسلة كتاب الشعب، القاهرة سنة ١٩٧٠، جـ ١، ص ٩٨ .

١٩ – اعتبر عمر بن الخطاب أن منع الحق عن صاحبه ربما يجعله أو يؤدي به إلى الكفر، والمثال على ذلك ما قاله للنعمان بن مقرن في وصيته له قبل فتح نهاوند، فقد قال له ينصحه بالحفاظ على جنده : " لا توطئهم وعرا فتؤذيهم، ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم" أي أن منع الحق عنهم

وهو الفيء ربما يؤدي بهم إلى العصيان والتمرد . أنظر : الطبري : نفس المصدر، جـ ٤، ص١١٥ .

٢٠ — صحيح البخاري بحاشية السندي، ٤ أجزاء في مجلدين، مكتبة زهران، القاهرة، بدون تاريخ، جـ ٤، ص١٩٦ .

٢١ — سالم البهنساوي : نفس المرجع، ص٦٥ .

٢٢ — تاريـخ الطبري : جـ ٣، ص٢٢٥، ٢٤٣، ٣٢٠، ٣٣٠، الشوكاني : نفس المصدر جـ ٤، ص٧، ٨ .

٢٣ — الأسباب التي جعلت كثيراً من العرب يتمردون ويفتتنون كثيرة، منها استمرار التأثر بأخلاق الجاهلية ومثلها عند بعض العرب، ونظرة بعض القبائل للإسلام على أنه دين لم يأت ليقيم دولة، ونظرة بعض القبائل لقريش كقبيلة من القبائل وليس من حقها أن تفرض سلطانها على القبائل الأخرى، ونظرة بعض القبائل لأبي بكر كشيخ قبيلة وليس من حقه حكم كل العرب، ونظرة بعض القبائل للزكاة على أساس ألا تدفع لعمال الصدقات حتى لا تصير كإتاوة وإنما توزع على فقراء القبيلة، والعصبية القبلية التي كانت تفرض طاعة الناس لشيخ القبيلة المتمرد . ورغبة بعض المتمردين في الملك والسلطان والسيادة، والمطامع الشخصية لبعضهم في حكم بلادهم، والرغبة في التخلص من حكم الأبناء الفرس حكام صنعاء، وتحريض الفرس لبكر بن وائل في البحرين . ولمعرفة تفاصيل هذه النقاط، أنظر كتابنا : الردة في ضوء مفهوم جديد، ص٩٠ — ١٢٠ .

٢٤ — أنظر كتابنا : الردة في ضوء مفهوم جديد، ص١٢١ .

٢٥ — ابن سعد : الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، جـ ٤، ص٣٦١، البلاذري : فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، سنة ١٩٨٧م، ص١١١ .

٢٦ — الزط : أصلهم من بلاد السند أو الهند أو هما معاً، هاجروا من هذه البلاد وسكنوا سواحل البحرين يتبعون الكلأ ويعملون بتربية الماشية والأغنام والإبل، واستخدمهم الفرس كقوة عسكرية تابعة لهم ترابط في سواحل البحرين، وقد انضموا إلى المرتدين أو المتمردين في هذه البلاد عام ١١هـ ثم اعتنقوا الإسلام، وخرجوا من البحرين عند قيام العرب المسلمين بفتح بلاد فارس، وأسكنهم أبو موسى الأشعري والي البصرة هذه المدينة وأوكل إليهم حراسة دار الإمارة والمسجد . أنظر : المسعودي : مروج الذهب، تحقيق قاسم الرفاعي، دار القلم، بيروت ط ١، سنة ١٩٨٩م، جـ ١، ص١٦٨، أبو الفدا : تقويم البلدان، باريس، سنة ١٨٤٠م، ص١٥١ —

عبد الرحمن العاني : البحرين في صدر الإسلام، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط ١ سنة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٦٣، ٦٤ .

٢٧ – السيابجة : أصلهم من بلاد السند والهند، سباهم الفرس وأسكنوهم سواحل الخليج وخاصة سواحل بلاد البحرين، كانوا يعملون بالرعي واستغلهم الفرس كحامية عسكرية لهم في هذه البلاد، وانضموا كإخوانهم الزط إلى المرتدين أو المتمردين، ثم رحلوا عن البحرين وأسكنهم أبو موسى الأشعري مدينة البصرة، واشتركوا مع إخوانهم الزط في حراسة دار الإمارة والمسجد الجامع في هذه المدينة، ولما اشتركوا في حركة أو ثورة ابن الأشعث ضد الحجاج بن يوسف الثقفي قام الأخير وهدم دورهم وحط أعطياتهم وأجلى بعضهم وقال لهم : كان في شرطكم ألا تعينوا بعضنا على بعض . أنظر : البلاذري : فتوح البلدان، ص٥٢٠، ٥٢١، عبد الرحمن العاني : البحرين في صدر الإسلام، ص٦٢، ٦٣ .

٢٨ – لمعرفة تفاصيل ما حدث في البحرين من صراع، أنظر : الطبري : نفس المصدر، جـ٣، ص٣٠١ – ٣١٣، ابن الأثير : نفس المصدر، جـ٢، ص٢٢٥ – ٢٢٨ .

٢٩ – أنظر هامش ٢٣ .

٣٠ – عن البحرين بمفهومها القديم وعن جغرافيتها واتساعها وقبائلها وأماكن سكنى هذه القبائل، أنظر : المسعودي : نفس المصدر، جـ١ ص١٠٨، ١١٣ – الهمداني : صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي، دار اليمامة، الرياض، سنة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ص٢١٩، ابن حوقل : كتاب صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت سنة ١٩٧٩م ص٤١، البكري : المسالك والممالك، الدار العربية للكتاب، تونس سنة ١٩٩٢م، جـ ١، ص٣٧١، ياقوت الحموي : معجم البلدان، دار صادر، بيروت، سنة ١٩٧٧م، جـ٢ ص٢٣٢، جـ٣ ص٤٢٢، جـ٤، ص٤٣١، ابن الأثير : الكامل : جـ١، ص٣٦٢، القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد : دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، ص٧٧، العوتبي الصحاري : الأنساب، وزارة التراث، سلطنة عمان سنة ١٩٨١م، ص١٦١، أبو الفدا : تقويم البلدان، ص٨٤، ٨٥، ٣٠٤، ابن خلدون : تاريخه، دار الكتاب المصري واللبناني، سنة ١٩٩٩م، جـ١، ص١٠٧، ١١٥، جـ٣ ، ص٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٩، ٥٨٠، حمد الجاسر : المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، المنطقة الشرقية (البحرين قديما)، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ط١، سنة ١٩٧٩م، جـ١، ص١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٢١، ٤١١، جـ٢، ص٥٢٥، ٥٤٦، ٦٢٣، ٦٣٦، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٦٨، جـ٣، ص٩٩٢، ٩٩٣، ١٠١٥، ١٠١٦، ١١٢٠، ١١٢٥، ١١٣٤، ١١٣٦، ١١٣٩ .

٣١ – عن دور الجارود في تثبيت قومه من عبد القيس على الإسلام والطاعة لأبي بكر الصديق، أنظر : السيرة النبوية لابن هشام، جـ ٢، ص٥٧٥، ٥٧٦، ابن سعد : الطبقات الكبرى، جـ ٥ ص٥٦٠، جـ٧ ص٨٦، الطبري، جـ٣ ص٣٠١، ٣٠٢، ابن كثير : البداية والنهاية، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١ سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج٦ ص٣٣٢ .

٣٢ – عن مدح النبي ﷺ لعبد القيس والإشادة بها، أنظر : ابن الكلبي : جمهرة الأنساب، مخطوط بدار الكتب المصرية، ورقة ١٩، ابن سعد : طبقاته، جـ٥، ص٥٥٧، جـ٧ ص٨٨، ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب، بهامش كتاب الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ، جـ٤ ص٥٣، ٥٤، النويري : نهاية الأرب، جـ١٨، ص٦٦، ابن كثير، البداية والنهاية، جـ ٥ ص٤٣، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، سنة ١٣٩٥هـ/١٩٧٦م، جـ ٤ ص٨٨، ٩٠ .

٣٣ – عن الوفود التي أرسلتها عبد القيس إلى النبي ﷺ ، أنظر : ابن الكلبي : جمهرة الأنساب، ورقة ١٩، مسند الإمام أحمد، دار الفكر العربي، بدون تاريخ، جـ٣، ص٤٣٢، ابن سعد : طبقاته، جـ ٥ ص٥٥٧، ٥٦٠، جـ ٧ ص٨٥، ٨٦، الطبري : تاريخه، جـ ٣ ص١٣٦، ١٣٧، ابن الأثير : الكامل، جـ ٢ ص١٦٦، النويري : نهاية الأرب، جـ ١٨ ص٦٥، ٦٧، ٧٤، ابن كثير : البداية والنهاية، جـ ٥ ص٤٣، السيرة النبوية، جـ ٤ ص٨٧، ٩١، ابن خلدون، تاريخه، جـ ٤ ص٨٣٣ .

٣٤ – عن صحابة رسول الله ﷺ من أهل البحرين، أنظر ابن سعد : طبقاته، جـ ٥ ص٥٥٧ – ٥٦٦، جـ٧ ص٥٩، ٨٧ – وذكر ابن حجر العسقلاني في صفحات متفرقة في الأجزاء الأربعة من كتابه الإصابة في تمييز الصحابة عدداً كبيراً من الصحابة من أهل البحرين، بعضهم غير موجود عند ابن سعد .

٣٥ – ياقوت الحموي : معجم البلدان، جـ٤ ص٣٧٨ .

٣٦ – عن رسائل النبي ﷺ لأهل البحرين حكاماً وقبائل، أنظر : اليعقوبي : تاريخه، جزءان في مجلد واحد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ سنة ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، جـ ٢ ص٥٤، البلاذري، فتوح البلدان، ص١٠٧، ١٠٩، ١١٠، ياقوت : معجم البلدان، جـ ١ ص٣٤٨، محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٣ سنة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ص١١٢ – ١٣٠ .

٣٧ – عبد القيس وبكر بن وائل يجتمعان في أفصي بن دعمي. فعبد القيس هي عبد القيس بن أفصي ابن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، وبكر بن وائل هي بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصي بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. وكذلك بنو حنيفة الذين كانوا يعيشون ويحكمون اليمامة (منطقة الرياض الآن) فهو بنو عمومة لهاتين القبيلتين. فهم بنو حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. أنظر : ابن حزم : جمهرة أنساب العرب، تحقيق ونشر ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة سنة ١٩٤٨مص٢٩١، ٤٥٢ .

٣٨ – اليعقوبي : تاريخه، جـ ١ ص١٩٢، ١٩٣ – ابن الأثير : الكامل جـ ١ ص٤١٠ .

٣٩ – ذو قار : ماء لبكر بن وائل قرب الكوفة في صحرائها، حدثت عنده معركة كبيرة انتصرت فيها بكر بن وائل على جيش الفرس انتصاراً رائعاً . ويعود السبب المباشر في هذه الحرب إلى رفض شيخ شيبان من بكر بن وائل والذي اختلف المؤرخون في اسمه فبعضهم جعله هانئ بن مسعود بن ذهل بن شيبان، وآخرون جعلوه حفيده هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود الشيباني. المهم أن هذا الشيخ رفض أن يسلم لكسرى فارس ما أودعه عنده ملك الحيرة النعمان بن المنذر من سلاح ودروع بالإضافة إلى أهله وولده، وكان مع جيش كسرى إياس بن قبيصة الطائي الذي جعله كسرى ملكاً على الحيرة بدل النعمان بن المنذر، وكانت هذه المعركة الشهيرة يوم ولادة النبي ﷺ، وقيل في عام بعثته، وقيل عند منصرفه من وقعة بدر الكبرى. ولما سمع النبي ﷺ بخبر هذا الانتصار قال : "هذا أول يوم انتصف فيه العرب من اعجم وبي نصروا" أو "انتصفوا" . وتعد هذه المعركة من مفاخر بكر بن وائل، أنظر : ابن الكلبي : جمهرة الأنساب، ورقة ٤، الطبري : تاريخه، جـ ٢ ص١٩٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١١، المسعودي : مروج الذهب، جـ ١ ص٢٥٨، ياقوت : معجم البلدان، جـ ٤ ص٢٩٤، ابن الأثير : الكامل، جـ ١ ص٣٧٨، الحميري : الروض المعطار، مكتبة لبنان، بيروت، سنة ١٩٧٥م، ص٢٦٠ – ٢٦٢، محمد أحمد جاد المولى وآخرون : أيام العرب في الجاهلية. طبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، بدون تاريخ، ص٢٣، ٢٥ .

٤٠ – من أمثلة الحكام الذين حكموا البحرين في الجاهلية وكانوا من قبيلة عبد القيس : ربيعة بن الحارث العبدي، والربيع بن حوثرة العبدي، والمعلى بن حنش العبدي جد الجارود بشر بن عمرو العبدي . وقد عاش هؤلاء الحكام أو الولاة في القرن السادس الميلادي، وحكموا البحرين في تلك الفترة، وكان أحدهم والياً عليها في عصر عمرو بن هند ملك الحيرة وحاكمها في الفترة (٥٥٤ – ٥٦٩م) . ويعود سبب ورود أسمائهم عند الإخباريين وأهل الأدب والشعراء القدامى إلى أن أحدهم كلفه عمرو بن هند بقتل شاعر بكر بن وائل طرفة بن العبد لغضبه عليه بسبب

شعر قاله فيه أو في أهله، وإن كانت هناك رواية أخرى تقول أن والياً آخر على البحرين من تغلب يسمى عبد هند أو والياً فارسياً يدعي المكعبر هو الذي قتل طرفة. أنظر : جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط ٣ سنة ١٩٨٠م، جـ ٩ ص٥٣٧، ٥٣٨، محمد عبدالقادر أحمد : الغلام القتيل طرفة بن العبد، إصدارات جامعة البحرين سنة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص٨٧ - ٩٠، عبد الحميد المعيني : شعراء عبد القيس في العصر الجاهلي، مؤسسة البابطين للإبداع الشعري، الكويت سنة ٢٠٠٢م، ص١٥ .

٤١ - الواقدي : كتاب الردة، تحقيق د. يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت سنة ١٩٩٠م، ص ١٤٧، ١٥١، ابن الكلبي : جمهرة الأنساب، ورقة ٤، البلاذري : فتوح البلدان، ص١١٤، الطبري، تاريخه، جـ ٢ ص٢٠٥، ٢٠٦، المسعودي : مروج الذهب جـ ١ ص٢٥٨، ابن الأثير : الكامل جـ ١ ص٣٧٨، الحميري : الروض المعطار، ص٢٩٨، محمد أحمد جاد المولى : أيام العرب في الجاهلية ص٢٣، ٢٥ وما بعدها، جواد علي : المفصل، جـ ٣ ص٢٩٦ .

٤٢ - ابن حبيب : المحبر، برواية أبي سعيد الحسن السكري، تصحيح د. إيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، بدون تاريخ، ص٣٦٠، ٣٦١ - الطبري : تاريخه، جـ ٢ ص٢١٣، ٢١٤ .

٤٣ - أصل المنذر بن ساوى العبدي، حاكم البحرين : عندما اعتنق هذا الحاكم الإسلام أقره الرسول ﷺ في حكم البحرين وأرسل إليه بعض أصحابه لمساعدته في نشر الإسلام وشريعته من أمثال العلاء بن الحضرمي وأبي عبيدة عامر بن الجراح، وأبي هريرة، وأبان بن سعيد بن العاص بن أمية رضي الله عنهم أجمعين، وظل الأمر على هذا النحو حتى توفي المنذر بن ساوى العبدي بعد وفاة الرسول ﷺ بقليل كما ذكر البلاذري (ص١٠٦، ١٠٧، ١١٠، ١١٤) والطبري (جـ٣، ص١٣٧) . وقد اختلف المؤرخون في اسم القبيلة التي ينتمي إليها المنذر بن ساوى العبدي، ويعود السبب في ذلك إلى لقب العبدي الذي ينتهي به اسمه، فقد فسر البعض هذا اللقب أو هذه النسبة على أنها نسبة إلى عبد الله بن دارم التميمي، وآخرون قالوا بأنها نسبة لقبيلة عبد القيس . أما الذين قالوا بأصله التميمي فأقدمهم ابن حبيب المتوفي عام ٢٤٥هـ في كتابه المحبر، ص٢٦٥، والبلاذري المتوفي عام ٢٧٩هـ في كتابه فتوح البلدان ص١٠٦، ١٠٧، ثم أخذ عنهما ابن حزم القرطبي المتوفي عام ٤٥٦هـ (جمهرة أنساب العرب، ص٢٢٠) . وأما الذين قالوا بأنه من عبد القيس فأقدمهم الطبري المتوفي عام ٣١٠هـ والذي ذكر في تاريخه (جـ ٢ ص٦٤٥) أن المنذر بن ساوى أخو بني عبد القيس وأنه صاحب البحرين، وتابعه على ذلك

ابن الأثير (الكامل، جـ ٢ ص٩٥)، وعلى نفس المنوال سار ابن خلدون (تاريخه، جـ ٤، ص٧٨٨) . ومعنى (أخو عبد القيس) أنه منهم .

أما تحقيق هذه النسبة أي كلمة (العبدي) فقد ذكر ابن الأثير أن العبدي نسبة إلى عبد القيس من ربيعة بن نزار، وهو عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار (أنظر : اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت سنة ١٩٨٠م، جـ ٢ ص٣١٤) . كما قال في موضع آخر من هذا الكتاب (جـ ٢ ص٣١٧) أن العبقسي كلمة تطلق أيضاً على من ينسب إلى عبد القيس، وجاء بعد ذلك محمد أمين البنداري الشهير بالسويدي فذكر في كتابه (سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، المكتبة العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ص٥٣) أن النسبة إلى عبد القيس فيها ثلاث مذاهب، أولاها عبدي وذلك النسبة الأولى، وثانيها قيسي وذلك على النسبة الثانية، وثالثها عبقسي، وذلك على جمع النسبة إليهما معاً .

وعلى ذلك فإن النسبة إلى عبد القيس هي العبدي، لأن هذا هو المشهور في كتب التاريخ والطبقات . أما النسبة إلى عبد الله بن دارم التميمي الذي يشير البعض إلى أنه أصل المنذر بن ساوى العبدي، فهي (العبدلي) كما قال بذلك ابن الأثير في كتابه اللباب، جـ ٢، ص٣١٢)، أو (الدارمي) كما قال بذلك ابن الأثير وفي نفس الكتاب (جـ ١ ص ٤٨٤) أو هي (التميمي) (جـ ٢ ص٢٢٢)، أو هي الدارمي التميمي، ويلاحظ أنه لم يرد إسم المنذر بن ساوى العبدي في أي نسبة ذكرها ابن الأثير، وتجنباً لهذا الخلاف فقد اعتبره خير الدين الزركلي (كتاب الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت سنة ١٩٨٠م، جـ ٧ ص٢٩٣) أنه من عبد القيس أو من تميم، وعلى كل حال فالأمر يحتاج إلى مزيد من البحث .

٤٤ — الطبري : نفس المصدر، جـ ٣ ص٢٧٠ — ابن حوقل : نفس المصدر، ص٤١ — الهمداني : نفس المصدر، ص٣٢٦ — ٣٢٨، الأصفهاني : بلاد العرب، تحقيق حمد الجاسر، د. صالح العلي، دار اليمامة، الرياض، بدون تاريخ، ص٢٧٧، ٣١١، ٣١٧، ٣٢٠، ٣٢١، ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، سنة ١٩٧٧م، جـ ٤ ص٣٣٦، النويري : نفس المصدر، جـ ١٨ ص٧٤، حمد الجاسر : نفس المرجع، جـ ١ ص٤١١، جـ ٢ ص٥٢٠،٥٢٤، ٥٢٥، ٥٤٦، ٦٢٣، ٦٣٩، ٦٦٨، ٧٠٦ - ٧١٠، جـ ٣ ص٩٩٢، ٩٩٣، ١١٢٠، ١١٣٤، ١١٣٦، ١١٣٩، ١١٨٨، ١٢٩٥، ١٣٣٣، ١٣٣٤ .

٤٥ — عن الأيام أي الحروب التي نشبت بين تميم وبكر بن وائل في الجاهلية، وهي من أكثر الأيام التي نشبت بين عرب وعرب آخرين في الجاهلية، إذ بلغت خمسة عشر يوما انتصرت بكر بن

وائل وشيبان في ثمانية منها وانتصرت تميم في سبعة. أنظر : ابن الأثير : الكامل، جـ ١ ص٤٧٤ – ٥١٦، محمد أحمد جاد المولى : أيام العرب في الجاهلية، ص١٧٠ – ٢٢٨ .

٤٦ – عن حركة سجاح بنت الحارث التميمية المتنبئة، وعن قضاء خالد بن الوليد على عصيان وتمرد تميم، أنظر : الطبري : تاريخه، جـ ٣ ص٢٦٧ – ٢٨٠ .

٤٧ – الطبري : نفس المصدر، جـ ٣ ص٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٩، ابن الأثير : الكامل، جـ ٢ ص٢٢٦، ٢٢٧ – ابن كثير : البداية والنهاية، جـ ٦ ص٣٣٢، ٣٣٣، ابن خلدون : نفس المصدر، جـ ٢ ص٨٨٣ .

٤٨ – البلاذري : نفس المصدر، ص١١٦، ١١٧، ابن الأثير : الكامل، جـ ١ص٣٦٢، ٤٩٢، ٤٩٣، محمد أحمد جاد المولى : نفس المرجع، ص ٢–٥ .

٤٩ – الطبقات الكبرى، جـ ٤ ص٣٦١ .

٥٠ – الطبري : نفس المصدر، جـ ٣ ص٣٠٥، ٣٠٦، ابن الأثير : الكامل، جـ ٢ ص٢٢٦، ابن خلدون : نفس المصدر، جـ ٢ ص٨٨٣ .

٥١ – ابن حجر : نفس المصدر، جـ ١ ص٣٢٧، جـ٢ ص٦٥٨، الاستيعاب لابن عبد البر بهامش كتاب الإصابة، جـ ١ ص٣٤٤، النويري : نفس المصدر، جـ ١٨، ص٦٧ .

٥٢ – الطبقات الكبرى لابن سعد، جـ ١ ص٣١٥، ابن حجر : نفس المصدر، جـ ١ ص٣٢٧، جـ ٢ ص١٠٥٨، والاستيعاب لابن عبد البر بهامش كتاب الإصابة جـ ١ ص٣٤٤، ومعروف أن قبيلة إياد التي ينتمي إليها قس بن ساعدة كانت مطرودة من البحرين على يد عبد القيس قبل ظهور الإسلام بكثير، أنظر : عبد الحميد المعيني، ص١٨، جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جـ ٤ ص٤٨٤، ٤٨٥، حمد الجاسر : معجمه، المنطقة الشرقية، جـ ١، ص٥٠، ٥١ .

٥٣ – دحلان : السيرة النبوية والآثار المحمدية، بهامش كتاب السيرة الحلبية لعلي بن برهان الدين الحلبي، المكتبة الإسلامية، بيروت، سنة ١٣٢٠هـ، جـ ٣، ص٧٦، ٧٧ .

٥٤ – الكلاعي : نفس المصدر، ص ٧٣ .

٥٥ – النويري : نفس المصدر، جـ ١٨، ص١١٧ .

٥٦ – الطبري : نفس المصدر جـ ٣ ص٣١٦، ٣١٧، محمد أمين صالح : العرب والإسلام، القاهرة سنة ١٩٨١م، جـ ١ ص١٧١، ١٧٢ .

٥٧ – فتوح البلدان، ص ١٠٩ .

٥٨ – تاريخ الطبري : جـ ٣ ص٣٠١ .

٥٩ – المصدر السابق، جـ ٣ ص٢٦٩، ٣٠٤ – ٣١١، ابن أعثم الكوفي : نفس المصدر جـ ١ ص٤٥، ٥٤ .

٦٠ – فتوح البلدان، ص١٠٨ .

٦١ – القطيف : من أعظم وأهم مدن وموانئ البحرين القديمة. وكانت السفن تدخل إليها في خور كبير حيث كان بها مرسى للسفن الكبيرة الموسقة، وكان سكانها من عبد القيس . والقطيف كانت كورة بالبحرين ثم غلب هذا الاسم على مدينة القطيف، أنظر : المسعودي : نفس المصدر، جـ ١ ص١٠، الهمداني: نفس المصدر، ص٢٧٩، ياقوت الحموي : نفس المصدر، جـ ٤ ص٣٧٨، أبو الفدا : نفس المصدر، ص٩٩ . وقد بلغت القطيف أوج ازدهارها إبان حكم الدولة العيونية (٤٦٩ – ٦٣٦هـ/١٠٧٦ – ١٢٣٨م)، فقد اتخذها بعض الأمراء العيونيين عاصمة لهم . (أنظر : عبد الرحمن بن عثمان الملا : تاريخ الإمارة العيونية في شرق الجزيرة العربية، ص٥٦)، ولذلك قال عنها ياقوت الحموي (جـ ٤ ص٣٧٨) المعاصر للفترة الأخيرة من دولة العيونيين "إنها – أي القطيف – اليوم قصبتها وأعظم مدنها" .

٦٢ – الخط : تعددت الآراء في كون الخط ميناء بحرياً أو كلمة تطلق على سيف البحرين الممتد ما بين البصرة وعمان، أو تطلق على قرية أو مدينة ساحلية بحرينية، وليس هناك تعارض بين هذه الأقوال. فالخط كما قال الفيروز أبادي الشيرازي في القاموس المحيط، (دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ جـ ٢ ص٣٥٧، ٣٥٨) سيف البحرين ومرفأ السفن بها، فهو مدينة وميناء بحري بحريني، وهو قرية تنسب إليها الرماح الخطية، فقد كانت الرماح القنا تجلب إليه من الهند فتقوّم فيه وتباع للعرب . وكانت كلمة الخط تعني أيضاً مدينة القطيف، وقيل أنها كانت تشمل جميع المدن والقرى المجاورة بسيف البحر فهو يشمل القطيف والعقير وقطر وغيرها، وكان يسمى خط عبد القيس نظراً لاستئثار هذه القبيلة بسكناه، أنظر : الهمداني : نفس المصدر، ص٣٦٧، ياقوت الحموي : نفس المصدر جـ ٢ ص ٣٧٨، القزويني: نفس المصدر، ص٩١، حمد الجاسر : نفس المرجع، ص٦١٢ – ٦١٥ .

٦٣ – الزط والسيابجة : أنظر هامش ٢٦، ٢٧ .

٦٤ – دارين : أحد الموانئ البحرينية الهامة ويقع في الطرف الجنوبي من جزيرة تاروت التي تقع في الخليج شرق مدينة القطيف، وكانت سوقاً من أسواق العرب المشهورة ومرفأ لسفن الهند التي كانت تأتيها بأنواع الطيب، فيقال مسك دارين وطيب دارين، ولذلك كانت مركزاً من المراكز التجارية الهامة التي كانت تستقبل سلع الشرق، ونظراً لأهميتها فقد كان اسمها يطلق على جزيرة تاروت فيقال لها جزيرة دارين، أنظر : ياقوت : معجم البلدان، جـ ٢ ص٤٣٢، الحميري : الروض المعطار، ص٢٣٠ .

٦٥ — جواثا (جواثى) : حصن ومدينة داخلية كبيرة لعبد القيس في البحرين القديمة، قال عنه البلاذري (ص١١٤) إنه حصن البحرين . وجواثا أول موضع جمعت فيه الجمعة بعد المدينة المنورة مما يدل على تمكن الإسلام فيها . (أنظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان، جـ ٢، ص١٧٤ — ابن عبد البر : الاستيعاب بهامش الإصابة لابن حجر جـ ٣ ص٤٦١، ابن كثير : السيرة النبوية، جـ ٤ ص٩٢ — البداية والنهاية جـ ٥ ص٤٤)، وقد ورد ذكر جواثا ضمن قرى أو مدن البحرين دون أي معلومات عنها عند ابن خرداذبة (المسالك والممالك، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة بدون تاريخ، ص٢٤٩، ٢٥٢)، والراجح أنها كانت تقع بين هجر شمالاً ومدينة الأحساء جنوباً. ومكانها اليوم يقع شرقي مدينة القلابية في السعودية بالمنطقة الشرقية، ولم يبق من آثارها سوى أطلال المسجد — أنظر : عبد الحميد المعيني : نفس المرجع ص٢٤ .

٦٦ — الطبري : نفس المصدر، جـ ٣ ص٣٠٤، ابن الأثير : نفس المصدر، جـ ٢ ص٢٢٥ .

٦٧ — فتوح البلدان، ص١١٤ . ويقول ابن حزم وابن الأثير أن قيس بن ثعلبة من بكر بن وائل، فهم قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، ومنهم الحطم وهو شريح بن ضبيعة . أنظر : جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ص٣٠٠، ٣٠١، الكامل في التاريخ لابن الأثير، جـ٢ ص٢٢٥ .

٦٨ — الطبري : نفس المصدر، جـ ٣ ص٣١٠، ابن الأثير : نفس المصدر، جـ ٢ ص٢٢٧، ابن خلدون : نفس المصدر، جـ ٢ ص٨٨٤ .

٦٩ — عن كيفية قضاء العلاء بن الحضرمي على المتمردين والعصاة في البحرين، أنظر البلاذري : فتوح البلدان، ص١١٤، ١١٨، ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ ٤ ص٣٦١، ٣٦٢، الطبري : تاريخه، جـ ٣ ص٣٠١ — ٣١٣، ابن الأثير : الكامل : جـ ٢ ص٢٢٥ — ٢٢٨ .

٧٠ — الطبري : نفس المصدر، جـ ٣ ص ٣١١ .

٧١ — المصدر السابق، جـ ٣ ص ٢٦٩ .

٧٢ — المصدر السابق، جـ٣ ص ٣١١ .

٧٣ — المصدر السابق، جـ ٣ ص ٣١٢ .

٧٤ — المصدر السابق، جـ ٣ ص٣٠٨، ٣١١، واللهازم : جمع لهزم، وهو الحد القاطع من الأسنة والحراب، واللهازم أيضاً لقب أطلق على قبائل عربية تحالفت فيما بينها وهي تيم اللات (الله) وقيس ابنا ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، وعجل بن لجيم بطن من بكر بن وائل، وعنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار . وقد ورد لفظ اللهازم في شعر الفرزدق إذ قال :

وقد مات بسطام بن قيس وعامر ... ومات أبو غسان شيخ اللهازم

أنظر : ابن منظور : لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط ١ سنة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، جـ١٢ ص٥٥٦، ابن الأثير، الكامل جـ ١، ص٤٩٧، بطرس البستاني : محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، سنة ١٩٧٧م، ص٨٢٧، محمد أحمد جاد المولى : أيام العرب في الجاهلية، هـ ١ ص١٧٠ .

٧٥ — الطبري : نفس المصدر، جـ٣، ص٣١٣ .

٧٦ — المصدر السابق، جـ ٣، ص٣١٣ .

٧٧ — المصدر السابق، جـ ٣ ص٣١٠ — ٣١٢، ابن الأثير : نفس المصدر، جـ ٢ ص٢٢٧، ابن خلدون، نفس المصدر، جـ ٤ ص٨٨٤، ٨٨٥ .

٧٨ — الطبري : نفس المصدر، جـ ٣ ص٣٠٩، ٣١٠ — ابن الأثير، نفس المصدر، جـ ٢ ص٢٢٥، ٢٢٧ .

٧٩ — هناك رواية أخرى وهي الأصح وتقول أن المنذر بن النعمان بن المنذر الملقب بالغرور قد قتل أثناء القتال بين العلاء بن الحضرمي وبين العصاة والمتمردين الذين يعرفون بالمرتدين في حصن جواثا القريب من هجر عاصمة البحرين وقتذاك، وسواء كان هذا الأمر أو أنه بقي في هجر وأعلن إسلامه فإنه في كلتا الحالتين لم يكن مسلماً حينما خاض الصراع ضد العلاء بن الحضرمي . أنظر : البلاذري : فتوح البلدان، ص١١٥، ١١٦ .

٨٠ — كلمة أسوار وجمعها أساورة كلمة فارسية معناها الجيد الرمي بالسهام، وراكب الفرس، أي فارس . وكان هؤلاء الأساورة من كبار القواد والرؤساء في جيش كسرى فارس . أنظر : محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص٤٣٠، محمد أحمد جاد المولى : أيام العرب في الجاهلية، هـ ٦ ص٢، هـ ١ ص٩ .

٨١ — الواقدي : نفس المصدر، ص١٤٨، الطبري : نفس المصدر جـ ٣ ص٣٠٣، ٣٠٤، ابن أعثم الكوفي: نفس المصدر، جـ ١ ص٤٥ — ٥٤، الكلاعي : نفس المصدر، ص١٦٥ — ١٦٨ .

٨٢ — الواقدي : نفس المصدر، ص١٥٢، ١٦٥، الطبري : نفس المصدر جـ ٣ ص٢٦٨ — ٣٠٤ — ٣١١، ابن أعثم الكوفي : نفس المصدر، جـ ١ ص٤٥ — ٥٤، الكلاعي : نفس المصدر، ص١٦٥ — ١٦٨ .

٨٣ — تتمثل القوى التي شاركت وحاربت العلاء بن الحضرمي في البحرين في بكر بن وائل، والفرس القادمين من فارس، والفرس المقيمين في البحرين، والزط والسيابجة وهم جنس من الهند هاجروا إلى البحرين وسكنوها قبل ظهور الإسلام بكثير، أنظر : الطبري: تاريخه، جـ ٣ ص٣٠٣، ٣٠٤، ابن الأثير : الكامل، جـ ٢ ص ٢٢٥ .

٨٤ — البلاذري : نفس المصدر، ص١١٦، ياقوت الحموي: نفس المصدر جـ ١ ص٤٤٩ .

٨٥ — الطبري : نفس المصدر، جـ ٣ ص٢٨٠، ٣٤٣، الواقدي : نفس المصدر ص٢١٨ — ٢٢١ .

٨٦ — محمد حميد الله : نفس المرجع، ص١٢٠ .

٨٧ — فتوح البلدان : ص١١٤ .

٨٨ — محمد حميد الله : نفس المصدر، ص١١٥، ١١٨، ١١٩ .

٨٩ — فتوح البلدان : ص١١٠، ١١١ .

٩٠ — محمد حميد الله، نفس المصدر، ص١١٤، ١٢٠ .

٩١ — حمد الجاسر : نفس المصدر، جـ ٢ ص٧٩٩، ٨٠٢، عبد الحميد المعيني : نفس المرجع، ص٢٥ .

٩٢ — المكعبر (بكسر الباء) صفة لحقت بمرزبان الزارة لأنه كان يكعبر الأيدي أي يقطعها، وهي أيدي العرب التميميين الذين كانوا قد تعرضوا لعير كسرى فارس أثناء مرورها ببلادهم، فلما قتل هذا الرجل على يد البراء بن مالك أحد صحابة رسول الله ﷺ قيل : "مازال يكعبر حتى كُعبر (بضم الكاف)، فسمي المكعبر (بفتح الباء) . أنظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ ١ ص٣٤٩ .

٩٣ — مدينة الغابة لا نعرف عنها الكثير، فهل هي مدينة ساحلية وقريبة من الزارة والقطيف، ذكرها البلاذري فقال إنها مدينة (فتوح البلدان ص١١٧) قتل العلاء بن الحضرمي من بها من العجم ثم أتى الزارة ليحررها . والزارة مدينة ساحلية مما يدل على أن الغابة والزارة متقاربتان، بينما ذكر ياقوت في معجمه(جـ ٤ ص١٨٢) أنها قرية بالبحرين، وقال عنها الشيخ حمد الجاسر رحمه الله في معجمه (المنطقة الشرقية جـ ٣ ص١٢٥٧) أن كلمة الغابة في الأصل وصف للأرض المنخفضة، ولهذا فالاسم لا يختص بموضع واحد ولا يعرف في المنطقة موضع بهذا الاسم . وقد ورد هذا الاسم عند ابن خرداذبة (ص١٥٢) دون أي معلومات عنه إلا ما يفيد بأنها ضمن قرى البحرين .

٩٤ — البلاذري : نفس المصدر، ص١١٦ — ١١٨، ياقوت الحموي : نفس المصدر، جـ ١ ص٣٤٩ .

٩٥ — البلاذري : نفس المصدر، ص١١٧، ياقوت الحموي : نفس المصدر، جـ ٢ ص٤٣٢، جـ ٣ ص١٢٦ .

٩٦ — الطبري : نفس المصدر، جـ ٣ ص٣١١، البلاذري : نفس المصدر، ص١١٧، ١١٨، ياقوت الحموي : نفس المصدر، جـ ٢ ص٤٣٢، جـ ٣ ص١٢٦ .

٩٧ — ابن سعد : نفس المصدر، جـ ٤ ص١٨٩، ابن الأثير : الكامل، جـ ١ ص٣٠٢، محمد علي التاجر : عقد اللآل في تاريخ جزيرة أوال، مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر، البحرين سنة ١٩٩٤، ص٦٦ .

٩٨ — الواقدي : نفس المصدر، ص١٥٢، الطبري : نفس المصدر، جـ ٣ ص٣٠٤ — وعن الزط والسيابجة أنظر هامش ٢٦ و٢٧ .

٩٩ — الواقدي : نفس المصدر، ص١٦٠، ١٦١ — تاريخ الطبري : نفس المصدر، جـ ٣ ص٣٠٨ .

١٠٠ — تاريخ ابن خلدون : جـ ٢، ص٨٨٣ .

١٠١ — ورد اسم هذا الرجل على أنه عبد الله بن قيس الصباحي العبدي (أي من عبد القيس) وذلك عند ابن حجر في كتابه الإصابة في تمييز الصحابة (جـ ٢ ص٢٦١) وقال إنه كان أحد رجال

الوفد الذين وفدوا مع الأشج إلى رسول الله ﷺ، ونقل عن ابن إسحاق أنه دل المسلمين على عورة أهل الحصن بالبحرين، وهو يقصد بالطبع حصن جواثا .

١٠٢ – الواقدي : نفس المصدر، ص١٦٠، ١٦١، البلاذري : نفس المصدر، ص١١٤ – ١١٦، الطبري : نفس المصدر، جـ ٣ ص٣٠٤، ٣٠٨، ٣٠٩، ابن خلدون : نفس المصدر، جـ٢ ص٨٨٣ .

١٠٣ – البلاذري : نفس المصدر، ص١١٦، ١١٧ .

١٠٤ – حمد الجاسر : نفس المرجع، جـ ٢ ص٧٩٩، ٨٠٢ – ٨٠٤ .

١٠٥ – محمد أمين أبو المكارم : من الزارة إلى العوامية صفحات من تاريخ البحرين، مجلة الواحة، بيروت، العدد الرابع، شوال ١٤١٦هـ/مارس ١٩٩٦م، ص١٠١ .

١٠٦ – السابون (سابون) : ورد هذا الاسم عند خرداذبة (ص١٥٢) على أنه ضمن قرى البحرين، ولكنه ورد في كتاب قدامة بن جعفر الملحق بكتاب ابن خرداذبة (ص٢٤٩) ما يفيد بأن السابون كانت كورة من كور إقليم البحرين ويجمع منها الخراج، يؤيد ذلك أن البلاذري ذكر في فتوحه (ص١١٧) أن السابون بها قرى (جمع قرية) غزاها العلاء بن الحضرمي في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ ، وقال عنها الشيخ حمد الجاسر رحمه الله في معجمه (المنطقة الشرقية جـ ٢ ص٨٢٧) أنها موضع مجهول في منطقة الخط (القطيف) وقد يكون في جزيرة تاروت، ولا يستبعد أن تكون السابون التي عدها المقدسي من بلاد الأحساء وذكرها بالنون . بينما ذكرها ياقوت الحموي (جـ ٣ ص١٦٨) على أنها سابور وقال إنها موضع بالبحرين . وسابور أصلاً مدينة فارسية (ياقوت الحموي : جـ ٣ ص١٦٧) .

١٠٧ – البلاذري : نفس المصدر، ص١١٧ .

١٠٨ – بنو عامر بطن كبير من بطون عبد القيس . وكان هذا البطن بقيادة زعيمه السيد بن بشر العامري يقاتل مع الجارود بشر بن المعلى العبدي ومع العلاء بن الحضرمي المتمردين في البحرين حتى تم القضاء عليهم، أنظر ابن حجر : الإصابة، جـ ٢ ص١٠٣ .

١٠٩ – البلاذري : نفس المصدر، ص١١٨ .

١١٠ – الطبري : نفس المصدر، جـ ٣ ص٣١١ .

١١١ – المصدر السابق جـ ٣ ص٣١١، ٣١٢، ابن خلدون : جـ ٢ ص٨٨٤، ٨٨٥ .

١١٢ – اليعقوبي : تاريخه، جـ ٢ ص٨٩، الطبري : نفس المصدر، جـ ٣ ص٣١٥، ٣١٦، ابن كثير : البداية والنهاية، جـ ٦ ص٣٣٥، كتابنا : عمان والملاحة والتجارة ونشر الإسلام، مكتبة العلوم، مسقط، سنة ١٩٨٩، ص٢٨ هامش ٣٦ .

١١٣ – العوتبي : الأنساب، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، سنة ١٩٨١م، ص١٤٨ .

١١٤ – البلاذري: نفس المصدر، ص١١٧، محمد أمين أبو المكارم : نفس المرجع، ص١١٧ .

إمارة بني وجيه

(٣١٧ ـ ٣٥٤هـ/ ٩٢٩ ـ ٩٦٥م)

بقلم : الدكتور جاسم ياسين الدرويش

مقدمة

في الوقت الذي تمكن فيه العباسيون من الوصول إلى السلطة وإعلانٍ دولتهم سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م تمكنت الحركة الإباضية أيضاً من إعلان أولٍ إمامة لها في عمان، وهو ما اعتبره العباسيون تهديداً خطيراً لزعامتهم الدينية والدنيوية، فأرسلوا قواتهم إلى هناك وتمكنوا من إسقاط إمامة الجلندي سنة ١٣٤هـ/٧٥١م، إلا أن انتصارهم لم يكن حاسماً، فقد تمكنت الإباضية من تأسيس إمامة لها ثانية سنة ١٧٧هـ/٧٩٣م استمرت حتى



٢٨٠هـ/٨٩٣م، إذ تمكن العباسيون بمساعدة حلفاء لهم من بني سامة في عمان من إسقاط الإمامة الإباضية الثانية، وبذلك أقام بنو سامة إمارة لهم هناك تدين بالولاء للخلافة العباسية استمرت حتى سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م، إلا أن الإباضية احتفظت لها بنفوذ في المناطق الداخلية وبالتالي انقسمت عمان إلى منطقتي نفوذ إحداهما ساحلية كان غالبا ما تهيمن عليها قوى تابعة للخلافة العباسية وأخرى داخلية تهيمن عليها الإباضية .

وتبعاً للظروف فقد تعاقبت على الساحل العماني العديد من الإمارات الحاكمة منذ نهاية القرن الثالث الهجري مثل بني سامة وبني وجيه والبويهيين وبني مكرم، وعلى الرغم من الدور الذي لعبوه في تاريخ المنطقة إلا أن المعلومات عن هذه الإمارات كانت قليلة، ويبـدو أن ذلك يرجع إلى عاملين : أحدهما بُعد عمان عن مركز الخلافة، وكتب التاريخ لا تتحدث عنها إلا عندما يتعلق الأمر بالخلافة، وحتى في هذه الحالة فإن الكلام لا يتجاوز الأسطر، والثاني هو أن المصادر الإباضية لا تتحدث هي الأخرى عن هذه الإمارات لأن هدفهم من وراء الكتابة هو تسجيل أحداث عمان الإباضية، أما حينما تسيطر عليها العناصر غير الإباضية - أياً كان الأمر - فإن تاريخهم في نظرهم يعتبر تاريخ السلاطين (الجبابرة) وهو غير جدير بالحفظ والاهتمام .

ومن هنا فإن الباحث لا يجد أمامه إلا مادة متناثرة يصعب في كثير من الأحيان سد فجواتها، ومع ذلك فقد حاولنا في هذا البحث سد النقص الحاصل بالاستعانة بالدراسات الخاصة بالنقود من أجل التعريف بهذه الدولة التي لعبت دوراً مهماً في تاريخ عمان والخليج العربي طيلة النصف الأول من القرن الرابع الهجري .

أولاً : أمراء بني وجيه في عمان

حكمت هذه العائلة عمان في المدة من سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م حتى سنة ٣٥٤هـ/٩٦٥م[١]، تعاقب فيها على الحكم ثلاثة من أبنائها وهم : يوسف بن وجيه (٣١٧-٣٣٢هـ/٩٢٩-٩٤٣م)[٢]، ومحمد بن يوسف بن وجيه (٣٣٢-٣٤١هـ/٩٤٣-٩٥٢م)[٣]، ثم عمر بن يوسف بن وجيه (٣٤١-٣٥٤هـ/٩٥٢-٩٦٥م)[٤] .

ويبدو من المعلومات القليلة المتوفرة أن والد يوسف كان تاجر جواهر كبير في عمان، وقد تزوج من أخت الأمير أحمد بن هلال[٥] الذي كان حاكماً على عمان في بداية القرن الرابع الهجري والذي يرجع نسبه إلى بني سامة[٦]، وهذا يعني أن هناك صلة بين بني سامة حكام عمان السابقين[٧] وبين بني وجيه الذين أعقبوهم في الحكم، ولعل هذه الصلة كانت السبب الذي دفع يوسف بن وجيه إلى الاستيلاء على الحكم في عمان بعد اختلاف أخواله بني سامة فيما بينهم[٨]، أو أنه ورث حكم عمان من أخواله بعد اختلافهم وانقراض ملكهم، وقد أشار الثعالبي إلى ما ذكرناه، عندما جعل يوسف بن وجيه ثاني أكبر تسعة (ملوك) حكموا في أطراف العالم الإسلامي في القرن الرابع الهجري (قال) : وكان حكمهم إما غلبة أو وراثة[٩]، وبذلك تحول حكم عمان من بني سامة إلى بني وجيه الذين لم تشر إليهم كتب النسب المتوفرة .

وقد عمل يوسف خلال السنوات الأولى من حكمه على تقوية سلطته وتوسيعها في منطقة الخليج العربي حتى أصبح في عشرينات القرن الرابع الهجري قوة يحسب لها حسابها في المنطقة[١٠]، وعمل على بناء أسطول ضخم لحماية التجارة وطرقها في الخليج العربي[١١] وذلك باعتباره أكبر تاجر جواهر هناك[١٢] حيث كانت الجواهر القادمة من الشرق تجمع في خزانته ثم يتم تفريقها على سائر البلاد[١٣] .

ومنذ سنة ٣٢٨هـ/٩٣٩م عظم شأن يوسف بن وجيه وقويت شوكته حتى غدا سيد المنطقة[١٤]، ومما يدل على ذلك أنه بدأ منذ هذه السنة بسك الدنانير الذهبية[١٥] في عمان بعد أن كان التعامل يجري بالعملة الفضية[١٦]، وهذا دليل على قوة الدولة وعنوان مجدها[١٧]، كما أنه في نفس السنة عين ابنه محمد بن

يوسف ولياً للعهد[١٨]، مما يدل على رسوخ حكم هذه العائلة في عمان، ويعلل السالمي قوة يوسف بن وجيه بعد هذه السنة (أي ٣٢٨هـ) بمقتل الإمام الإباضي سعيد بن عبد الله[١٩]، ولا نستبعد ذلك لأن مقتل الإمـام سعيد بن عبدالله يعني بالنسبة إلى يوسف بن وجيه اختفاء منافس قوي كان يهدده من الخلف، لذا نراه يعمل على مهاجمة البصرة بعد هذا التاريخ – كما سنرى – .

إلا أن يوسف بن وجيه لم يستمر طويلاً بعد عودته من البصرة، إذ ثار عليه في سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م غلام له يدعى نافع الأسود، وتذكر المصادر أنه ملك البلد بعده[٢٠]، وقد أيدت القطع النقدية التي تعود إلى تلك الفترة اختفاء اسم يوسف بن وجيه في هذه السنة، ولكنها تذكر اسم حاكم آخر غير نافع الذي أشارت إليه المصادر أنه ملك البلد بعده، إذ ظهر اسم ولي عهده محمد بن يوسف على العملة، واستمر اسمه يذكر على النقود في عمان حتى سنة ٣٤١هـ/٩٥٢م[٢١]، ودون أن تذكر عنه المصادر المتوفرة أي شيء، كما أنها لم تشر إلى نافع في هذه المدة.

إن الشيء الذي يثير الاستغراب هو ما ذكره بعض المؤرخين من أن يوسف بن وجيه غزا البصرة سنة ٣٤١هـ/٩٥٢م[٢٢]، فهل كان يوسف لايزال حياً آنذاك ؟ وإذا كان حياً فهل تحول من السيد الأول في عمان لمدة تقارب الستة عشر عاماً إلى مجرد تابع إلى ابنه أو خادمه ؟ .

يبدو لنا أن اسم يوسف بن وجيه قد غلب على عائلة بني وجيه الحاكمة في عمان، مما أوقع بعض المؤرخين في إيراد أخبار متناقضة، ففي الوقت الذي أكدوا فيه ثورة نافع الأسود وتنحية يوسف عن الحكم (أو مقتله كما أشار ابن الهمذاني) في سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م يوردون خبر غزو يوسف بن وجيه البصرة

سنة ٣٤١هـ/٩٥٢م[٢٣]، وقد عمل البعض الآخر من المؤرخين إلى تحاشي الوقوع في مثل هذا التناقض واكتفوا بذكر كلمة ابن وجيه أو صاحب عمان في خبر غزو البصرة سنة ٣٤١هـ/٩٥٢م[٢٤] . وينفرد بن كثير بالقول أن غزو البصرة آنذاك كان من قبل موسى بن وجيه[٢٥]، مما يدعو إلى الاعتقاد أن موسى كان قائد جيش ابن أخيه محمد بن يوسف الذي كان حاكماً على عمان، وهو ما تؤيده القطع النقدية التي سُكّت في عمان آنذاك[٢٦]، حيث تعد النقود وثائق تاريخية يصعب الطعن بها[٢٧].

وفي سنة ٣٤١هـ/٩٥٢م نُحي محمد بن يوسف عن السلطة في عمان وتقلدها أخوه عمر بن يوسف الذي بدأت النقود تسك باسمه في عمان حتى سنة ٣٥٤هـ/٩٦٥م[٢٨] .

ولم ترد معلومات عن كيفية نهاية بني وجيه في عمان أو أسبابها، ولكن التنوخي أشار إلى أن العمانيين نصّبوا على الإمارة في عمان رجلاً يعرف بالنوكاني بعد انقراض ملك بني وجيه[٢٩]، ويصف النوكاني بأنه من كبار التجار[٣٠]، لذا يحتمل أن النوكاني كان عضواً بارزاً في حكومة بني وجيه وقد أسندت إليه السلطة بعد موت عمر بن يوسف .

وعندما وصلت الأنباء إلى معز الدولة سارع بإرسال أحد أفراد حاشيته المدعو كردك النقيب إلى عمان وهدد حاكمها النوكاني باستعمال القوة معه إذا لم يدخل في طاعة معز الدولة، عندها اضطر النوكاني إلى الاستجابة لطلبه[٣١]، وهو الدخول في طاعة معز الدولة، إلا أن العمانيين الذين ناصبوا البويهيين لم يرضهم هذا التصرف فثاروا على حاكمهم النوكاني وعزلوه وخيروه في مكان ينفى إليه فاختار البصرة[٣٢]، وهنا ظهر اسم نافع الأسود لأول مرة منذ سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م حيث انفرد بالسلطة في عمان بعد خروج النوكاني منها، ويبدو

أنه استجاب لمطالب العمانيين بعدم الاعتراف لأي نفوذ للبويهيين في عمان، لذلك عمل معز الدولة على إرسال كردك النقيب مرة أخرى على رأس قوة عسكرية أجبرت نافعاً على الدخول في طاعة معز الدولة وإقامة الخطبة له وضرب اسمه على النقود(٣٣).

إن عمل نافع هذا أغضب العمانيين جميعاً، فقد صمموا على عدم الخضوع للسلطة البويهية، فقاموا بثورة كبيرة استدعوا فيها القرامطة لمساعدتهم لطرد نافع وأسياده البويهيين، عندما اغتنم القرامطة الفرصة، فقرروا التوجه إلى عمان واحتلالها مما اضطر نافع إلى الهرب والاستنجاد بمعز الدولة(٣٤)، وبذلك تمكن القرامطة من الاستيلاء على معظم أجزاء عمان وتعيين حاكماً عليها من قبلهم يشرف على الجيش وجمع الضرائب(٣٥).

إن سقوط بني وجيه كقوة سياسية واقتصادية وعسكرية أحدث فراغاً مهماً على الساحة العمانية وجعلها مسرحاً للصراع بين القوى الإقليمية والمحلية المختلفة بعد منتصف القرن الرابع الهجري.

ثانياً : علاقة بني وجيه بالقوى المجاورة

لم يكن إقليم عمان بحدوده الجغرافية المعروفة آنذاك خاضعاً بأكمله لنفوذ بني وجيه، فقد احتفظ قرامطة البحرين طيلة حكم بني وجيه بنفوذ لهم في المناطق الشمالية من عمان، كما احتفظت الإباضية بنفوذها في المناطق الداخلية حتى بعد انهيار إمامة راشد بن الوليد(٣٦) سنة ٣٤٢هـ/٩٥٣م حيث (لم تنقطع الدعوة وربما يقدمون إماماً فيعاجل بالقتل)(٣٧)، أما نفوذ بني وجيه فقد شمل السواحل الشرقية من عمان إضافة إلى بعض المناطق الداخلية التي مر نفوذهم بها بين المد والجزر تبعاً لطبيعة علاقتهم مع الإباضية هناك، وبهذا فقد

شملت إمارة بني وجيه أكثر مناطق عمان والخليج العربي حيوية مما جعل علاقتهم مع القوى المجاورة غير مستقرة .

١ – علاقتهم مع الخلافة :

سبقت الإشارة إلى أن يوسف بن وجيه تولى الإمارة في عمان سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م، وهو وقت كانت تعاني فيه الخلافة من ارتباك سياسي وأزمة مالية حادة[٣٨] أدت إلى (تشجيع ظهور أطماع المتنفذين والطامعين والثائرين وتكوينهم كيانات سياسية[٣٩] استقلت استقلالاً ذاتياً عن جسم الدولة العباسية)[٤٠]، وكان يوسف بن وجيه من بين أولئك الطامعين حيث تمكن من الوصول إلى السلطة في عمان – كما قال الثعالبي – إما غلبة أو وراثة[٤١] .

وعلى الرغم من تمتع يوسف باستقلال ذاتي في عمان وسعيه الجاد لتكوين إمارة وراثية في عقبه إلا أنه ظل يحتفظ بعلاقات جيدة مع الخلافة وتابعاً لها طيلة مدة حكمه، فقد ضرب اسم الخلفاء العباسيين على النقود إلى جانب اسمه[٤٢]، وذلك للتعبير عن ولائه لهم، وفي خلافة القاهر بالله العباسي (٣٢٠–٣٢٢هـ/٩٣٢–٩٣٤م) حمل إلى الخليفة أنواع الرياحين والأزهار والطيور مما كان يجلب إلى هناك من الهند[٤٣]، كما نفى الخليفة سنة ٣٢١هـ/٩٣٣م بعض مثيري الفتن في بغداد إلى عمان، مما يوحي بأن هناك تعاوناً بين الخلافة وبني وجيه، كما تعاون الجانبان في مواجهة الإباضية هناك، فقد أشارت المصادر الإباضية إلى حملة قامت بها قوات الخلافة في إمامة محمد بن يزيد الكندي دخلت فيها إلى مدينة نزوى معقل الإباضية مما اضطر الإمام الإباضي إلى الهرب وأقام يوسف بن وجيه معسكراً له فيها[٤٤]، كما خاض

عدة حروب مع الإمام الإباضي سعيد بن عبد الله – كما سيأتي – كانت تهدف إضافة إلى توسيع ممتلكاته إلى استرضاء الخلافة وكسب ودها لأنها تعتبر الإباضية خوارج مارقين عن السلطة .

إن التطور المهم الذي طرأ على العلاقات بين الخلافة ويوسف بن وجيه كان سنة ٣٣١هـ/٩٤٢م، ففي ذي الحجة من هذه السنة أبحر يوسف بن وجيه بأسطول كبير لغزو البصرة(٤٥)، وتمكن في بداية الأمر من هزيمة البريديين(٤٦) المتغلبين على البصرة، واحتل الأبلة(٤٧) وقارب إخضاع البصرة ولكنه فشل في اللحظات الأخيرة، ويعزو المؤرخون سبب فشله إلى حيلة دبرت ضده من قبل ملاح كان يعمل لصالح البريديين أدت إلى إغراق أغلب مراكبه مما قلب نصره إلى هزيمة اضطر فيها يوسف إلى التقهقر إلى عمان(٤٨)، وينفرد الصولي بالقول إن هزيمة يوسف كانت بسبب نار حملت في زبازب جعلت في زجاج ورميت بها مراكب ابن وجيه فأحرقتها(٤٩) .

أما عن سبب الحملة فلم يشر المؤرخون إليه باستثناء الصولي الذي ذكر أنها كانت بسبب (تغليظ البريديين الضرائب على ما يحمل من البحر)(٥٠) .

ويشير مايلز (Miles) إلى أن هذه الحملة تمت حسب الأوامر الصادرة إلى يوسف بن وجيه من أمير الأمراء في بغداد(٥١)، ومع إن هذا الرأي يبدو مقبولاً لأن علاقة البريديين بالحكومة المركزية في بغداد كانت غير ودية(٥٢) ولكن النصوص لاتسعفنا إليه، ويبدو أن الحملة لم تكن بسبب زيادة الضرائب التي فرضها البريديون فقط، ولكن لضعفهم وعدم استقرارهم في ذلك الوقت بسبب هزيمتهم أمام جيش الخلافة(٥٣)، كما أن زيادة الضرائب هي نفسها إشارات واضحة إلى اهتمامات يوسف بن وجيه الاقتصادية التي دفعته إلى امتلاك

البصرة[٥٤]، وتبدو هذه الاهتمامات جلية من المحاورة التي أوردها التنوخي والتي دارت في سيراف[٥٥] بين يوسف بن وجيه وهو في طريقه إلى البصرة وبين ابن مكتوم الشيرازي حاكم سيراف من قبل علي بن بويه[٥٦] حيث دارت بأجمعها حول مقدار ما يمتلكه يوسف من الجواهر الثمينة مقارنة بغيره من الملوك وسعيه الجـاد في زيادتها[٥٧] .

نستنتج مما تقدم إن غزو يوسف بن وجيه البصرة كان يحمل في طياته عدة أهداف :

١ – تأديب البريديين الذين عملوا على عرقلة مصالحهم التجارية في الخليج العربي عن طريق زيادة الضرائب .

٢ – إرضاء الخلافة وكسب ودها وذلك للتصدي لأعدائها البريديين الذين دخلوا بغداد سنت ٣٣٠هـ/٩٤١م وانتهكوا حرمتها[٥٨] .

وذكر البعض أن علاقة يوسف بن وجيه بالخلافة في هذا الوقت كانت علاقة عداء وحرب مشيراً إلى هذه الحملة[٥٩]، ولكننا نرى أن هذه العلاقة كانت على العكس تماماً، فلم يكن غزو البصرة موجهاً ضد الخلافة بل ضد أعدائها البريديين[٦٠] الذين استأثروا في السلطة بالبصرة دون الخلافة، لذلك لم تشر المصادر إلى أي رد فعل سيئ من قبل الخلافة على هذا الغزو، وعليه فإن العلاقات بقيت حسنة بين الخلافة وبني وجيه حتى دخول البويهيين بغداد .

وفي سنة ٣٣٤هـ/٩٤٠م دخل معز الدولة البويهي بغداد واستولى على السلطة فيها[٦١]، ولم تكن علاقة بني وجيه مع البويهيين حسنة[٦٢]، وربما يرجع السبب في ذلك إلى محاولة الجانبين السيطرة عل المراكز التجارية في الخليج العربي وإلى الاختلاف الفكري والمذهبي فيما بينهم، لأن بني وجيه

كانوا سُنّة ويرتبطون بصلة قربى مع بني سامة الذين كانوا يعتنقون المذهب السني[٦٣] .

وذكر الصراف أن بني وجيه لم يخضعوا لسلطان بغداد الجديد، ويدلل على ذلك بأن معز الدولة البويهي عندما خلع الخليفة المستكفي بالله سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م ونصب مكانه الخليفة المطيع لله (٣٣٤-٣٦٣هـ/٩٤٥-٩٧٣م) لم يعترف بنو وجيه بالخليفة الجديد واستمروا في ضرب النقود باسم الخليفة المستكفي بالله المخلوع[٦٤]، وأورد نموذجاً لدرهم ضرب سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م يحمل اسم محمد بن يوسف والخليفة المستكفي[٦٥]، ولكن الأستاذ العش أورد عدة نماذج من النقود ضربت في عمان للمدة من سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م إلى سنة ٩٥٢/٣٤١م وهي تحمل اسم محمد بن يوسف بن وجيه والخليفة المطيع دون الإشارة إلى النقد الذي يحمل اسم الخليفة المخلوع، بل إنه أشار إلى نقدٍ ضرب سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م يحمل اسم محمد بن يوسف والخليفة المطيع[٦٦] . وخلاصة ما تقدم أن هناك نقدين ضربا في عمان سنة ٣٣٥هـ/٩٦٤م أحدهما جاء في مجموعة الصراف يحمل اسم الخليفة المستكفي ومحمد بن يوسف، والآخر ذكره الأستاذ العش يحمل اسم الخليفة المطيع ومحمد بن يوسف أيضاً .

الذي يمكن أن نستخلصه من هذين النقدين المتناقضين في الظاهر هو أن بني وجيه كانوا قلقين من السياسة البويهية في الخليج العربي، وأنهم كانوا يراقبون تطورات الأحداث في بغداد عن كثب، وخصوصاً علاقة بني بويه بالخليفة، ففي سنة٣٣٤هـ/٩٤٥م عندما تولى المطيع لله الخلافة خضع له بنو وجيه وضربوا النقد باسمه إلى جانب اسمهم، ولكن الذي حدث أنه في سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م (وهي السنة التي ورد فيها النقدان المتناقضان) عمل معز الدولة

على الاستيثاق من الخليفة فاستحلفه بأغلظ الأيمان أن لا يبغيه سوءاً ولا يمالي عليه عدواً)[٦٧]، وأعقب ذلك في نفس السنة تحرك قوات معز الدولة باتجاه واسط والبصرة[٦٨]، ذلك مما أفزع بني وجيه من نية البويهيين والخلافة التي ربما تستهدف الإضرار بمصالحهم التجارية في الخليج العربي، لذلك سحبوا اعترافهم بالخليفة المطيع لله وضربوا النقد المذكور سنة٣٣٥هـ/٩٤٦م باسم الخليفة المستكفي المخلوع، وفي سنة ٣٣٦هـ/٩٦٧م توجه معز الدولة بصحبة الخليفة إلى البصرة للقضاء على البريديين فيها[٦٩]، إلا أن توقف معز الدولة عند حدود البصرة ورفعه القيود المفروضة على التجارة[٧٠] جعلت مخاوف بني وجيه من نوايا معز الدولة تهدأ مؤقتاً، بل ربما اعتبروا ذلك نصراً لهم حيث نرى أن محمد بن يوسف بن وجيه أعاد في سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م اسم الخليفة المطيع على النقود وأضاف إلى نفسه لقباً وهو (المنصور)[٧١] وهذا اللقب يدل على علو شأنه ومنزلته لأنه لا يحمله إلا أكابر أرباب السيوف من القواد[٧٢].

إلا أن هذا الإجراء من قبل محمد بن يوسف لا يعني تحسن العلاقة بينه وبين معز الدولة، فقد استغل محمد بن يوسف توتر العلاقات بين القرامطة والبويهيين بسبب مسير معز الدولة إلى البصرة عبر البادية فاحتج عليه القرامطة بأن هذه المناطق تقع تحت نفوذهم[٧٣]، فأسرع محمد بن يوسف بالتحالف مع القرامطة لانتزاع البصرة من البويهيين ووعدهم بحصة فيه[٧٤]، ويبدو أن معز الدولة حاول القضاء على هذا التحالف وضربه في عقر داره، فأرسل كاتبه محمد بن الحسن المهلبي[٧٥] على رأس قوة لاحتلال عمان[٧٦]، ومع عدم ورود ما يثبت وقوع قتال بين الجانبين أو المكان الذي وصله المهلبي، إلا أن مسكويه الذي ينفرد بهذه الرواية يؤكد فشل الحملة واضطرار المهلبي إلى

الانسحاب مما أثار سخط وغضب معز الدولة عليه[٧٧]، إلا أن اضطراب أمر الري على أخيه الحسن بن بويه[٧٨] (ركن الدولة) اضطره إلى مكاتبة المهلبي بإرسال جيش لنجدة أخيه[٧٩]، وعندما فرغ المهلبي من هذه المهمة وعزم على التوجه إلى بغداد، جاءت الأنباء بتوجه ابن وجيه[٨٠]، والقرامطة إلى البصرة، وكانت قوات بني وجيه بقيادة موسى بن وجيه والقرامطة بقيادة أبي يعقوب الهجري[٨١]، لذلك أوعز معز الدولة إلى المهلبي الذي كان في الأحواز بالإسراع إلى البصرة لصد المهاجمين وأرسل إليه مدداً من بغداد، فوصلها المهلبي قبل وصول ابن وجيه والقرامطة إليها وعمل على تحصينها من ناحية البر والبحر[٨٢].

ويبدو أن القرامطة لم يوفوا بوعودهم إذ انسحبوا قبل اشتداد المعركة[٨٣]، وربما أدركوا عدم جدوى القتال بسبب قوة التحصينات التي أقامها المهلبي، وبذلك بقي ابن وجيه بمفرده، وبعد معركة دامت عدة أيام تمكن المهلبي من هزيمة قوات بني وجيه وأسْر عددٍ منهم والاستيلاء على عدد من مراكبهم[٨٤]، وقد اختلف المؤرخون في تاريخ هذه الغزوة، فجعلها البعض في سنة ٣٤٠هـ/٩٥١م[٨٥]، فيما جعلها البعض الآخر في سنة ٣٤١هـ/٩٥٢م[٨٦]، والراجح أنها حدثت في سنة ٣٤١هـ/٩٥٢م حيث إن اسم حاكم عمان محمد بن يوسف قد اختفى من العملة في هذا العام، ويبدو أنه أُقصي عن منصبه بسبب فشل حملته على البصرة.

أما عن سبب الحملة فيعزوها صاحب العيون والحدائق إلى أطماع ابن وجيه الاقتصادية في البصرة التي ترجع إلى أيام البريديين[٨٧]، كما أن عداء بني وجيه للبوهيين لاختلافهم الفكري والمذهبي سبب يمكن أن يضاف إلى طموحاتهم الاقتصادية في امتلاك البصرة.

تسلم عمر بن يوسف السلطة في عمان بعد هذه الحادثة، واستمر بضرب اسمه على النقود في عمان إلى جانب اسم الخليفة المطيع لله طيلة مدة حكمه(٣٤١-٣٥٤هـ/٩٥٢-٩٦٥م)، ويبدو أن العلاقات مع بغداد في عهد هذا الأمير سادها نوع من الاستقرار بسبب انشغال معز الدولة بمشاكله في العراق طيلة تلك المدة تقريباً[٨٨].

٢ – علاقة بني وجيه بالقرامطة

ترجع علاقة بني وجيه بالقرامطة إلى سنة ٣١٨هـ/٩٣٠م، عندما هاجم القرامطة عمان آنذاك[٨٩]، وقد تحاشى القرامطة في هجومهم هذا مناطق نفوذ بني وجيه، حيث سلكوا الطريق الداخلي المؤدي إلى مناطق نفوذ الإباضية في وسط وغرب عمان ووصلوا إلى أدم[٩٠]، ويبدو أن القرامطة أدركوا أن مصالحهم التجارية تقتضي عدم إثارة المتاعب مع يوسف بن وجيه المسيطر بأسطوله القوي على مدخل الخليج العربي، كما أن يوسف بن وجيه لم يحاول التدخل في الصراع الإباضي القرمطي، لأنه أدرك أن هذا الصراع سيضعف الجانبين على الساحة العمانية مما يمكنه التفرغ لضربهم بسهولة، ولهذا استمرت العلاقات الساكنة بين بني وجيه والقرامطة ولم تتأثر حتى عندما هاجم يوسف بن وجيه البصرة سنة٣٣١هـ/٩٤٢م ومحاربته البريديين الذين كانوا على اتفاق ووئام مع القرامطة[٩١].

إلا أن هذه العلاقة تطورت بصورة كبيرة بعد مهاجمة معز الدولة البصرة سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م[٩٢]، إذ شعر كلا الجانبين بأن مصالحهما مهددة، فعقدا تحالف الغاية منه احتلال البصرة وطرد البويهيين منها[٩٣]، وكما مر بنا، فإن القرامطة لم يوفوا بوعودهم وانسحبوا تاركين ابن وجيه إذ حلت به الهزيمة

أمام البويهيين، وعلى الرغم من أن المصادر لم تسجل ردة فعل بني وجيه تجاه القرامطة، إلا أن التبدل الذي حدث في قيادة بني وجيه إذ أقصي محمد بن يوسف وتقلد أخوه عمر بن يوسف مكانه، قد خفف من حدة التوتر بين الجانبين، وعليه لم تسجل لنا المصادر المتوفرة أية حادثة بينهما حتى سنة ٣٥٤هـ/٩٦٥م عندما قرر القرامطة اجتياح عمان بعد انقراض حكم بني وجيه منها .

٣ - علاقة بني وجيه مع الإباضية

اتسمت العلاقة بين بني وجيه وإباضية عمان بالعداء والحرب طيلة مدة حكم بني وجيه، فكان بنو وجيه العصا العباسية الغليظة على الإباضية في عمان، فقد اشترك الجانبان في أيام الخليفة القاهر بالله العباسي في حملة أطاحت بإمامة محمد بن يزيد الكندي (في حدود سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م أو بعدها بقليل)، إذ أشارت المصادر المحلية بأن الحملة هاجمت مدينة نزوى معقل الإباضية من اتجاهين، الأول من العتيك أي شرق نزوى، والآخر من السر[٩٤] أي من الشمال الغربي مما اضطر الإمام محمد بن يزيد إلى الهرب[٩٥] ربما إلى اليمن أو زنجبار[٩٦] حيث يعيش قسم من الإباضية هناك، وكان من نتائج هذه الحملة أن احتفظ يوسف بن وجيه بقوة له في نزوى[٩٧] .

كما خاض يوسف بن وجيه حروباً عـدة مع الإمام الإبـاضي سعيد بن عبدالله كانت تهدف بالدرجة الأولى إلى توسيع ممتلكاته في عمان، وللظهور أمام الخلافة بأنه المدافع عن أعدائها، وكانت تلك الحروب سجالاً بين الجانبين، وأشار السالمي إلى أن الإمام سعيد حقق بعض المكاسب واستعاد بعض المناطق التي كانت تحت نفوذ بني وجيه[٩٨]، ويبدو من رسالة وجهها

الإمام سعيد بن عبدالله إلى يوسف بن وجيه أن هناك هدنة بعدم تعدي أحدهما على الآخر جاء فيها (من الإمام سعيد بن عبدالله ومن قبله من المسلمين، إلى يوسف بن وجيه، وأن في شأننا وشأنك لعجب، لحلقة حديد في زرب باب، اتهم بهذا رجل من الرعية عندنا أنه قلعها من معسكر أصحابك بنزوى، فحبسنا الذي اتهم بها لأنا نستحل حبس أهل التهم على قدر استحقاقهم في حكم المسلمين وقلنا للناس جهراً على رؤوس الملأ أن أموال أهل القبلة علينا حرام، كحرمة أموالنا بعضنا على بعض، وحجرنا على الناس التعرض لأشيائكم ما دق منها وجل . .)(٩٩) .

يبدو من هذه الرسالة أن هناك اتفاق بين الجانبين احتفظ فيه ابن وجيه بقوات له في نزوى، ربما للإشراف على جمع الضرائب، حيث شددت الرسالة على التزام الإمام وأنصاره بعدم التعرض لأموال ابن وجيه أو عسكره في المناطق التابعة لهم، فيما ترك يوسف بن وجيه للإباضية حرية ممارسة سلطتهم على المناطق الخاضعة لهم طيلة حكم الإمام سعيد بن عبدالله بعد أن فشل في إحراز نصر عسكري حاسم عليهم .

ويبدو أن هذه الهدنة استمرت بعد وفاة الإمام سعيد، فقد بويع للإمام راشد بن الوليد (٣٢٨-٣٤٢هـ/٩٣٩-٩٥٣م) ولم تشر المصادر المتوفرة إلى ما يعكر العلاقة بينهما طيلة حقبة الثلاثينات من القرن الرابع الهجري، ويبدو أن كلا الجانبين قد انشغل بهمومه عن الآخر خلال تلك المدة، فبني وجيه انصب اهتمامهم آنذاك بأحداث الخليج العربي والتغييرات السياسية في العراق بعد دخول البويهيين بغداد، وقد وجهوا قواتهم مرتين إلى البصرة لضمان مصالحهم الاقتصادية، كما كانوا قلقين من نوايا البويهيين وعلاقتهم بالخلافة، أما الإباضية فقد واجه الإمام الجديد معارضة شديدة لسياسته الداخلية من قبل بعض أتباعه أسفرت عن حدوث انشقاق في صفوف

الإباضية، وقد عبر عن ذلك أحد الكتاب بقوله (وكثير من أهل مملكته ومصره يتربص به الدوائر ويسر له أقبح السرائر)[١٠٠]، ثم إن المعارضة ضده قد وصلت حداً أن أخذ يتعرض للشتائم والإهانات[١٠١] مما أفقد حكمه الهيبة والاحترام بين الرعية .

ويبدو أن بني وجيه بعد فشل حملتهم على البصرة سنة ٣٤١هـ/٩٥٢م وتسلم عمر بن يوسف الحكم جعلهم يولوا اهتماماً أكبر في شئون عمان الداخلية، شجعهم على ذلك أحداث عمان نفسها، فقد كانوا يراقبون الموقف في المناطق الإباضية عن كثب، خصوصاً أنهم كانت لهم قوات في نزوى منذ إمامة محمد بن يزيد الكندي، ولا نستبعد أن لهم يداً في تشجيع المعارضة لإمامة راشد بن الوليد في محاولة منهم للسيطرة على جميع إقليم عمان، ففي بداية سنة ٣٤٢هـ/٩٥٢م أرسلوا قواتهم إلى داخل عمان للقضاء على الإمامةالإباضية لتغطية فشلهم في غزو البصرة بالقيام بتوسعات في داخل عمان أولاً، ثم لتهدئة خواطر الخلافة بضرب أعدائها (الخوارج الإباضية) في عمان ثانياً .

وقد حصل بنو وجيه على تأييد واسع حتى من أنصار الإمام راشد نفسه، فما كادت قواتهم تصل إلى منطقة السر شمال غرب نزوى، حتى خرجت جموع كثيرة كانوا في صفوف الإمام راشد للانضمام إلى قوات بني وجيه، وعلى الرغم من أن الإمام حاول استرضاءهم إلا أنه فشل في ذلك مما أضعف قواته كثيرا حيث اضطر إلى الانسحاب والتوجه إلى أدم وأخذ من هناك يراقب الموقف، ثم فشلت كل محاولاته في وقف زحف قوات بني وجيه التي تمكنت من دخول المناطق التي كانت تحت سلطته في نزوى[١٠٢]، ومع قلة أتباعه اضطر إلى مواجهة أعدائه، إذ توجه إلى نزوى ودخل في معركة غير متكافئة استبسلت فيها القوة الإباضية إلا أنه لم يفلح، وقد صورت المصادر الإباضية

ذلك بالقول (فهزم أنصاره وغلبوا، وولوا عنه وأدبروا مع ذلك وهربوا، فانفضت هنالك جماعتهم وزالت رايتهم وخرج مخذولاً مغلوباً خائفاً يترقب مطلوباً، وكان ذلك ضحوة النهار، فلم يكن عشياً من يومه ذلك حتى انفض عنه جميع من كان معه، ووقعت الغلبة والبأس، وآيس مع ذلك من نصر الناس، فاستولى السلطان الجائر على جميع عمان في جميع النواحي والبلدان . . .لعشرين يوماً من ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين وثلاثمئة)(١٠٣)، وعليه خضعت أغلب مناطق عمان إلى سيطرة بني وجيه، واضطر الإمام راشد بن الوليد في النهاية وبعد أن آيس من الحصول على مأوى آمن له إلى تسليم نفسه إلى بني وجيه(١٠٤)، وبذلك فقد انهارت إمامة القرن الرابع الهجري في عمان على أيديهم .

أ.د. جاسم ياسين الدرويش

جامعة البصرة – كلية التربية – قسم التاريخ

الهوامش

١ - Bates, notes and communication, Arabian studies, 1, p. 171.

٢ - Ibid, p. 173.

٣ - ظهر اسم محمد بن يوسف على العملة في سنة ٣٣٣هـ واستمر اسمه يذكر عليها حتى سنة ٣٤١هـ حيث ظهر اسم حاكم آخر جديد هو عمر بن يوسف، ينظر : النقشبندي، كنز خضر إلياس، مجلة سومر، ١٩٠/٢ ؛ العش، النقود العربية الإسلامية، لجنة تدوين تاريخ قطر، ٣١١/١- ٣١٣ ؛ Bates, Ibid, p. 173- 174.

٤ - Bates, Ibid, p. 174 .

٥ - التنوخي، نشوار المحاضرة، ٢٥٥/٨ .

٦ - الدرويش، التطورات السياسية في عمان، مجلة الوثيقة، العدد ٥٣، السنة ٢٧، ٢٠٠٨م، ص٧٣-٧٤ .

٧ - حكم بنو سامة عمان للمدة من ٢٨٠ - ٣١٦هـ، ينظر : الدرويش، التطورات السياسية في عمان، م.ن، ص٦٧-٧٤ .

٨ - ابن خلدون،تاريخ، ١٨٩/٤-١٩٩ .

٩ - لطائف المعارف، ص٨٣-٨٤ .

١٠ - مسكويه، تجارب الأمم، ٣٥٠/١ .

١١ - الصولي، أخبار الراضي بالله والمتقي بالله، ص٢٤٤ .

١٢ - عن خزائن يوسف بن وجيه وجواهره، ينظر:التنوخي، نشوار المحاضرة، ٢٥٠/٨ وما بعدها .

١٣ - التنوخي، نشوار المحاضرة، ٢٥٥/٨ .

١٤ - السالمي، تحفة الأعيان، ٢٩٢/١ .

١٥ - ولعل ذلك له صلة أيضاً بوفرة الذهب بسبب ازدهار تجارته في بداية القرن الرابع الهجري، وشيوع استعمال العملة الذهبية من قبل أمراء الأطراف، ينظر عن هذا الموضوع : الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٢١٨-٢١٩ ؛ متز، الحضارة الإسلامية، ٣٧٦/٢-٣٧٧ .

١٦ - Bates, notes and communication, Arabian studies, 1, p. 173. ؛ العش، النقود العربية الإسلامية، لجنة تدوين تاريخ قطر، ٣٠٧/١-٣١٠ .

١٧ — الحسيني، تطور النقود العربية، ص٤ .

١٨ — العش، النقود العربية الإسلامية، لجنة تدوين تاريخ قطر، ٣١٠/١ .

١٩ — تحفة الأعيان، ٢٩٠/١ ؛ تولى الإمام عبد الله بن سعيد حكم إباضية عمان للمدة (حدود ٣٢٠-٣٢٨هـ) وقد وصفته المصادر الإباضية على أنه أفضل إمام بعمان بعد الجلندي بن مسعود، ينظر عنه : الأزكوي، تاريخ عمان، ص٦٦ ؛ ابن رزيق، الفتح المبين، ص٢٤٠ ؛ السالمي، تحفة الأعيان، ٢٧٦/١-٢٧٧ .

٢٠ — ابن الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ١٣٨/١ ؛ ابن الأثير، الكامل، ٢٩٩/٦ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ٩٤٥/٤ .

٢١ — Bates, notes and communication, Arabian studies, 1, p. 173-174. ؛ النقشبندي، كنز خضر إلياس، مجلة سومر، المجلد العاشر، ١٩٠/٢ ؛ العش، النقود العربية الإسلامية، لجنة تدوين تاريخ قطر، ٣١١/١-٣١٢ .

٢٢ — ابن الأثير، الكامل، ٣٤٠/٦ ؛ أبو الفدا، المختصر، ٩٩/٢ ؛ ابن الوردي، تاريخ، ٣٩٠/١ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ٨٨٢/٣ .

٢٣ — انظر ذلك التناقض في : ابن الأثير، الكامل، ٢٩٩/٦، ٣٤٠ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ٨٨٤/٣، ٩٤٥/٤ .

٢٤ — مسكويه، تجارب الأمم، ١٤٤/٢ ؛ ابن الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ١٦٥/١ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٣٦٨/٦-٣٦٩ ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣٠٤/٢ .

٢٥ — البداية والنهاية، ٢٢٥/١٢ .

٢٦ — Bates, notes and communication, Arabian studies, 1, p. 173-174. ؛ العش، النقود العربية الإسلامية، لجنة تدوين تاريخ قطر، ٣١١/١-٣١٢ .

٢٧ — الحسيني، تطور النقود العربية، ص٤ .

٢٨ — ينظر عن النقود التي سكت باسم عمر بن يوسف بن وجيه :
Bates, notes and communication, Arabian studies, 1, p. 174. ؛ النقشبندي، كنز خضر إلياس، مجلة سومر، المجلد العاشر، ١٩٠/٢ ؛ العش، النقود العربية الإسلامية، لجنة تدوين تاريخ قطر، ٣١٣/١-٣١٤ .

٢٩ — نشوار المحاضرة، ٣٤٧/١ .

٣٠ — م. ن، والصفحة .

٣١ — التنوخي، نشوار المحاضرة، ٣٤٧/١ .

٣٢ – م. ن. والصفحة .

٣٣ – مسكويه، تجارب الأمم، ٢١٣/٢ ؛ ابن الأثير، الكامل، ٥٦٥/٨ (ط بيروت ١٩٦٦م) .

٣٤ – هو أبو الحسن أحمد بن بويه فنا خسرو، دخل بغداد سنة ٣٣٤هـ أيام الخليفة المستكفي بالله وأقام حكم وراثي للبويهيين في بغداد، توفى سنة ٣٥٦هـ، ابن الجوزي، المنتظم، ٣٨/٧-٣٩ ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١٧٤/١-١٧٧ .

٣٥ – ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٤ ؛ مسكويه، تجارب الأمم، ٢١٦/٢ ؛ Miles, The countries and tribes, p.112.

٣٦ – تولى راشد بن الوليد الإمامة الإباضية في عمان للمدة ٣٢٨-٣٤٢هـ، الأزكوي، تاريخ عمان، ص٦٨ ؛ ابن رزيق، الفتح المبين، ص٢٤١ ؛ السالمي، تحفة الأعيان، ٢٨١/١ .

٣٧ – الحارثي، العقود الفضية، ص٦٤ .

٣٨ – ينظر عن حالة الخلافة السياسية والمالية في تلك الحقبة : الدوري، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، ص١٩٩ وما بعدها .

٣٩ – منها على سبيل المثال : بنو بويه في فارس، البريديون في البصرة، بنوحمدان في الموصل، الإخشيديون في مصر، ينظر : الخضري، تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة العباسية، ص٣٥٤ وما بعدها ؛ السامرائي، المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية، ص١٦ وما بعدها .

٤٠ – ناجي، دوافع قرامطة البحرين، ص٦٤ .

٤١ – لطائف المعارف، ص٨٣-٨٤ .

٤٢ – Bates, notes and communication, Arabian studies, 1, p. 173-174. ؛ العش، النقود العربية الإسلامية، لجنة تدوين تاريخ قطر، ٣٠٧/١-٣١٠ .

٤٣ – المسعودي، مروج الذهب، ٣٣٥/٤ .

٤٤ – الأزكوي، تاريخ عمان، ص٦٣ ؛ ابن رزيق، الفتح المبين، ص٢٣٩ ؛ السالمي، تحفة الأعيان، ٢٦٩/١ .

٤٥ – الصولي، إخبار الراضي بالله والمتقي بالله، ص٢٤٤ ويجعلها في ذي القعدة ؛ مسكويه، تجارب الأمم، ٤٦/٢ ؛ ابن الأثير، الكامل، ٢٩٢/٦ ؛ ابن خلدون، تاريخ، ٨٨٣/٣ .

٤٦ – البريديون نسبة إلى البريدي وهو لقب تلقب به الأخوة أبوعبد الله أحمد وأبو يوسف يعقوب وأبو الحسن علي، حيث تمكن هؤلاء الأخوة الثلاثة من الارتقاء في المناصب الإدارية والحصول على الثروة والشهرة التي مكنتهم فيما بعد من احتلال البصرة سنة ٣٢٥هـ وإقامة إمارة لهم

فيها حتى سنة ٣٣٦هـ، ينظر التفصيلات عن إمارة البريديين : Naji, Abdul Jabbar (595-447), Ph. D., thesis, London, 1970, p. 80-149.

٤٧ – الأبلة وهي إحدى المدن التابعة للبصرة، ناصر خسرو، سفر نامة، ص١٥٠ .

٤٨ – تتلخص الحيلة بأن ملاحاً من أصحاب البريدي وعده بهزيمة يوسف حيث وضع خطة سرية لم يطلع عليها أحد وذلك بأن أخذ زورقين وملأهما سعفاً، وهو أمر معتاد في البصرة، وسار بها ليلاً في شط العرب حيث كانت مراكب يوسف بن وجيه هناك مشدودة بعضها إلى جنب بعض، فلما انتصف الليل وساد الهدوء أشعل النار في الزورقين وتركهما في الماء باتجاه مركب يوسف مما أدى إلى إشعال النار في أغلب المراكب واستولى الرعب والذعر على أصحاب يوسف فلم يتمكنوا من مواجهة الناس الذين أقبلوا على المراكب لانتهابها مما اضطره للانسحاب، ينظر : مسكويه، تجارب الأمم ٤٦/٢ ؛ تكملة تاريخ الطبري، ١٣٥/١ ، ابن الأثير، الكامل، ٢٩٢/٦ .

٤٩ – أخبار الراضي بالله والمتقي بالله، ص٢٤٤ ؛ والزبازب هي ضرب من السفن، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ٧٨/١ (مادة زبزب) .

٥٠ – م. ن، والصفحة .

٥١ – The countries and tribes, p.105. ولم يذكر مايلز مصدره .

٥٢ – عارف الدوري، عصر إمرة الأمراء، ص١٣٩–١٤٠ .

٥٣ – Naji, Basra, p. 160.

٥٤ – Ibid, p. 160.

٥٥ – سيراف بلدة تقع على الخليج العربي وصفها البلخي بأنها (الفرضة العظيمة لبلاد فارس) الأقاليم، الأقاليم، ص١٨ .

٥٦ – علي بن بويه أكبر أولاد بويه وأول من تملك منهم، كانت وفاته سنة ٣٣٨هـ، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣٩٩/٣ .

٥٧ – نشوار المحاضرة، ٢٥٠/٨–٢٥٥ .

٥٨ – ينظر عن دخول البريديين بغداد : مسكويه، تجارب الأمم، ٢٠/٢ وما بعدها ؛ ابن الأثير، الكامل، ٢٨٣/٦–٢٨٤ .

٥٩ – عارف الدوري، عصر إمرة الأمراء، ص٢٣٨ .

٦٠ – ساءت العلاقة بين البريديين والخلافة سنة ٣٣٠هـ حتى أن الخليفة أمر بلعنهم على المنابر، الصولي، أخبار الراضي والمتقي، ص٢٢٣ ؛ مؤلف مجهول، العيون والحدائق، قسم ٢، ٧٩/٤ .

٦١ – مسكويه، تجارب الأمم، ٢/٨٤–٨٥ ؛ ابن الأثير، الكامل/ ٦/٣١٤ .

٦٢ – The countries and tribes, p.103.

٦٣ – Wilkinson, Water, p. 225.

٦٤ – ما ضرب من النقود باسم الخليفة المستكفي بعد خلعه، مجلة المسكوكات، مجلد ١، ٢/٤٤ .

٦٥ – وهو درهم يحمل الرقم (٣٢١) في الخزانة الثالثة لمجموعة عبد الله شكر الصراف، ينظر : الحسيني، دليل لمجموعة عبدالله شكر الصراف النقدية، مجلة المسكوكات، مجلد ١، ٢/٥٧ .

٦٦ – النقود العربية الإسلامية، لجنة تدوين تاريخ قطر، ١/٣١٢ .

٦٧ – مسكويه، تجارب الأمم، ٢/١٠٥–١٠٦ .

٦٨ – مسكويه ، تجارب الأمم، ٢/١١١ ؛ ابن الأثير، الكامل، ٦/٣٢٤ .

٦٩ – نفس المصدر أعلاه .

٧٠ – أشار مسكويه وابن الأثير إلى أن معز الدولة عندما ملك البصرة (انحلت الأسعار في بغداد انحلالاً شديداً) تجارب الأمم، ٢/١١٢ ؛ الكامل، ٦/٣٢٥ ، وذلك بسبب رفعه الضرائب التي كانت أيام البريديين .

٧١ – العش، النقود العربية الإسلامية، لجنة تدوين تاريخ قطر، ١/٣١٠ .

٧٢ – القلقشندي، صبح الأعشى، ٦/٣١ .

٧٣ – مسكويه، تجارب الأمم، ٢/١١٢ ؛ ابن الأثير، الكامل، ٦/٣٢٥ .

٧٤ – مؤلف مجهول، العيون والحدائق، قسم ٢، ٤/١٩٢ .

٧٥ – هو الحسن بن محمد هارون المهلبي استكتب لمعز الدولة سنة ٣٣٩هـ وتوفى وهو في طريقه لفتح عمان سنة ٣٥٢هـ، ينظر : مسكويه، تجارب الأمم، ٢/٢٢٣–٢٢٤ ؛ ياقوت، معجم الأدباء، ٩/١١٨–١٥٢ .

٧٦ – مسكويه، تجارب الأمم، ٣/١٤٣–١٤٤ ، لم يحدد مسكويه تاريخاً لهذه الحملة إلا أننا يمكن أن نضعها في الفترة بين سنة ٣٣٩هـ حيث استكتب المهلبي لمعز الدولة وسنة ٣٤١هـ التي هاجم فيها ابن وجيه البصرة .

٧٧ – تجارب الأمم، ٣/١٤٣–١٤٤ .

٧٨ – الحسن بن بويه والد عضد الدولة حكم الري وهمذان وأصفهان مدة ٤٤ سنة وتوفي سنة ٣٦٦هـ، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢/١١٨–١١٩ .

٧٩ – مسكويه، تجارب الأمم، ٢/١٤٣–١٤٤ .

٨٠ – ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٥٠/١١ .

٨١ – مؤلف مجهول، العيون والحدائق، قسم ٢، ١٩٢/٤ .

٨٢ – مؤلف مجهول، العيون والحدائق، قسم ٢٠٤، ١٩٢/٢ ؛ مسكويه، تجارب الأمم، ١٤٤/٢ ؛ ابن الأثير، الكامل، ٣٤٠/٦ .

٨٣ – Miles, The countries and tribes, p.109.

٨٤ – مؤلف مجهول، العيون والحدائق، قسم ٢، ١٩٢/٤ ؛ مسكويه، تجارب الأمم، ١٤٤/٢ ؛ ابن الأثير، الكامل، ٣٤٠/٦ .

٨٥ – مؤلف مجهول، العيون والحدائق، قسم ٢، ١٩٢/٤ ؛ ابن الهمذاني، تكملة تاريخ الطبري، ١٦٥/١ ؛ ابن الجوزي، المنتظم، ٣٦٨/٦–٣٦٩ ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٣٠٤/٣ .

٨٦ – مسكويه، تجارب الأمم، ١٤٤/٢ ؛ ابن الأثير، الكامل، ٣٤٠/٦ ؛ أبو الفدا، المختصر، ٩٩/٢ ؛ ابن الوردي، تاريخ، ٣٩٥/٢ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٢٥/١١ .

٨٧ – مؤلف مجهول، العيون والحدائق، قسم ٢، ١٩٢/٤ .

٨٨ – ينظر عن المشاكل التي جابهت معز الدولة في العراق خلال أربعينات القرن الرابع الهجري : مسكويه، تجارب الأمم، ١٥٨/٢ وما بعدها .

٨٩ – ينظر عن الهجوم القرمطي على عمان بعد نكبة حجاج مكة : Wilkinson, Al Bahrain and Oman, Al Watheekah, no. 7, p. 241. ؛ الدرويش، التطورات السياسية في عمان (٢٨٠ –٣١٧هـ)، مجلة الوثيقة، العدد ٥٣ السنة ٢٧، ٢٠٠٨م، ص٧٦–٧٧ .

٩٠ – ابن المقرب، ديوان ابن المقرب، ص٥٣١ ؛السالمي، العقد الثمين، ٥٥/١ ؛ وأدم إحدى المناطق الداخلية من عمان تقع إلى جنوب غرب نزوى وقد وصفها شيخ الربوة بأنها (مسورة برية)، نخبة الدهر، ص٢١٨ .

٩١ – ناجي، دوافع قرامطة البحرين، ص٦١ .

٩٢ – مسكويه، تجارب الأمم، ١١٢/٢ ؛ ابن الأثير، الكامل، ٣٢٥/٦ .

٩٣ – مؤلف مجهول، العيون والحدائق، قسم٢، ١٩٢/٤ .

٩٤ – السر إحدى المناطق الداخلية من عمان وصفه المقدسي بأنه أصغر من نزوى، أحسن التقاسيم، ص٩٣ .

٩٥ – الأزكوي، تاريخ عمان، ص٦٣ ؛ ابن رزيق، الفتح المبين، ص٢٣٩ ؛ السالمي، تحفة الأعيان، ٢٦٩/١ .

٩٦ - Miles, The countries and tribes, p. 97.

٩٧ — الأزكوي، تاريخ عمان، ص٦٣ ؛ ابن رزيق، الفتح المبين، ص٢٣٩ ؛ السالمي، تحفة الأعيان، ٢٦٩/١ .

٩٨ — تحفة الأعيان، ٢٨٩/١ .

٩٩ — السالمي، تحفة الأعيان، ٢٨٩/١ .

١٠٠ - الأزكوي، تاريخ عمان، ص٦٨ ؛ ابن رزيق، الفتح المبين، ص٢٤٢ .

١٠١ — نفس المصادر أعلاه .

١٠٢ — الأزكوي، تاريخ عمان، ص٦٩ ؛ ابن رزيق، الفتح المبين، ص٢٤٣ ؛ السالمي، تحفة الأعيان، ٢٨٣/١ .

١٠٣ —الأزكوي، تاريخ عمان، ص٦٩ ؛ ابن رزيق، الفتح المبين، ص٢٤٣ ؛ السالمي، تحفة الأعيان، ٢٨٣/١-٢٨٤ .

١٠٤ — السالمي، تحفة الأعيان،٢٨٤/١ ؛ الحارثي، العقود الفضية، ص٢٥٧ .

مصادر ومراجع البحث

١ – ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) الكامل في التاريخ، ط بيروت ١٩٦٦م، وط ٢ بيروت ١٩٦٧م .

٢ – الأزكوي، سرحان بن سعيد (ت١١٤٠هـ/١٧٢٨م) تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، تحقيق عبد المجيد القيسي، أبوظبي ١٩٧٦م .

٣ – البلخي، أبو زيد أحمد بن سهل (ت ٣٢٢هـ/٩٣٤م)، الأقاليم، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى، بغداد، وقد نسب خطأً إلى الاصطخري .

٤ – ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط ١، مصر ١٩٣٢م .

٥ – التنوخي، أبو الحسن علي بن الحسن، (ت ٣٨٤هـ/٩٩٤م) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجي، بيروت ١٩٣٧م .

٦ – الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد، (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م) لطائف المعارف، تحقيق إبراهيم الإبياري وحسن كامل الصيرفي، مصر ١٩٦٠م .

٧ – ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي(ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، حيدر أباد ١٨٥٣م .

٨ – الحارثي، سالم بن حمد العماني، العقود الفضية في أصول الإباضية، دار اليقظة، سوريا ولبنان ١٩٧٤م .

٩ – الحسيني، محمد باقر، تطور النقود العربية، ط ١، بغداد ١٩٦٩م .

١٠ – ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) صورة الأرض، بيروت ١٩٧٩م .

١١ – ابن خلدون، عبد الرحمن بن علي (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) تاريخ ابن خلدون، ط ٣، بيروت ١٩٦٧م .

١٢ – ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٧٣م .

١٣ – الخضري، الشيخ محمد الخضري بك، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة العباسية، مصر ١٩٧٠م .

١٤ — الدرويش، جاسم ياسين، التطورات السياسية في عمان (٢٨٠-٣١٧هـ/٨٩٣-٩٢٩م) مجلة الوثيقة، مملكة البحرين، العدد٥٣، السنة السابعة والعشرون، ٢٠٠٨م .

١٥ — الدوري، عبد العزيز، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٤٨م .

١٦ — دراسات في العصور العباسية المتأخرة، مطبعة جامعة البصرة .

١٧ — ابن رزيق، حميد بن محمد بن رزيق بن بخيت (ت١٢٧٤هـ/١٨٥٧م)، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، تحقيق عبد المنعم عامر ومحمد مرسي عبدالله، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان ١٩٧٧م .

١٨ — السالمي، نور الدين عبدالله (ت ١٩١٣م) تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، تحقيق أبو إسحق أطفيش، ط ٥، ١٩٧٤م .

١٩ — شيخ الربوة، شمس الدين أبوعبدالله محمد بن أبي طالب الأنصاري (ت٧٢٧هـ/١٣٢٦م)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، لايبزك ١٩٢٣م .

٢٠ — الصراف، عبدالله شكر، ما ضرب من النقود باسم الخليفة المستكفي بعد خلعه، مجلة المسكوكات، تصدرها مديرية الآثار العراقية، الجزء ٢، مجلد١، سنة ١٩٦٩م .

٢١ — الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى (ت٣٣٥هـ/٩٦٤م) أخبار الراضي بالله والمتقي بالله أو تاريخ الدولة العباسية من سنة٣٢٢هـ إلى سنة ٣٣٣هـ من كتاب الأوراق، عني بنشره ج. هيورث دن، القاهرة ١٩٣٥م .

٢٢ — عارف الدوري، تقي الدين، عصر إمرة الأمراء في العراق، (٣٢٤-٣٣٤هـ/٩٣٦-٩٤٦م)، بغداد ١٩٧٥م .

٢٣ — العش، محمد أبو الفرج، النقود العربية الإسلامية في مدن شرق الجزيرة العربية، لجنة تدوين تاريخ قطر، الدوحة ١٩٧٦م .

٢٤ — أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن محمد عمر صاحب حماه (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م) المختصر في أحوال البشر، بيروت ١٩٥٦م .

٢٥ — الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/١١١٤م) القاموس المحيط، ط ٢، مصر ١٩٢٥م .

٢٦ — القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٢١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة ١٩٢٠م .

٢٧ – ابن كثير، عماد الدين إسماعيل (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) البداية والنهاية، ط ١، بيروت ١٩٦٦م.
٢٨ – متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ط ٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٨٧٢م .
٢٩ – المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٤، ١٩٧٤م .
٣٠ – مسكويه، أبو علي أحمد بن عمر(ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م) تجارب الأمم، اعتنى بتصحيحه هـ.ف. أمدروز، مصر ١٩١٤م .
٣١ – المقدسي البشاري، أبو عبدالله الشافعي (ت ٣٧٥هـ/٩٨٥م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط ٢، ليدن ١٩٠٦م .
٣٢ – ابن المقرب، أبو الحسن علي العيوني، (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) الديوان، تحقيق عبد الفتاح الحلو، ط ١، الإحساء ١٩٦٣م .
٣٣ – مؤلف مجهول، (ت القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي) العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تحقيق نبيلة عبدالمنعم داود، النجف ١٩٧٢م .

دور الأرشيف في تركيا

الوثائق الأرشيفية عن العهد العثماني بتركيا تتوزع على دور الأرشيف التالية :

١ – أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول .

٢ – أرشيف متحف "طوبقابي سراي" باستانبول .

٣ – أرشيف المديرية العامة للأوقاف بأنقرة .

٤ – أرشيف سجلات المحاكم الشرعية في عدة محافظات تركية .

٥ – أرشيف السجلات الشرعية باستنبول .

٦ – أرشيف نظارة (وزارة) المعارف الملغاة بأنقرة .

٧ – أرشيف المديرية العامة للسجل العقاري والمساحة بأنقرة .

٨ – أرشيف بحري باستنبول .

٩ – أرشيف مخزن الأوراق لوزارة الخارجية باستنبول .

١٠ – أرشيف نظارة المالية الملغاة باستنبول .



١١ – أرشيف دائرة تاريخ الحروب بأنقرة .

١٢ – أرشيف نظارة الصحة الملغاة بأنقرة .

١٣ – أرشيف نظارة الحربية والطوبخانة الملغاتين بأنقرة .

١٤ – أرشيف بلدية استانبول .

كما أن هناك مؤسسات أخرى تضم وثائق أرشيفية عن العهد العثماني مثل المكتبات العامة والمتاحف وغيرها .

عددها ٨ دفاتر فيما بين ١٢٤١ — ١٢٨٩هـ (١٨٢٥ — ١٨٧٢م) ويضم القوانين والأنظمة الخاصة بالجيش .

٥ ـ دفاتر مجلس تنظيمات :

عددها ٣٠ دفتراً فيما بين ١٢٧١ — ١٣٣٣هـ (١٨٥٤ — ١٩١٤م) وصادرة عن قلم ديوان همايون .

٦ ـ دفاتر عتيق شكايات وأوردو ركاب(٦) :

عددها ٢٠٨ دفاتر فيما بين ١٠٥٩ — ١٢٢٩هـ (١٦٤٩ — ١٨١٣م) وهي شبيهة بدفاتر المهمة وتضم الأحكام الصادرة في الشكاوى المقدمة إلى ديوان همايون لحل المنازعات والخلافات .

٧ ـ دفاتر توجيهات ومهمات عساكر :

عددها ٦٨ دفتراً فيما بين ١١٩٦ — ١٣٢٦هـ (١٧٨١م — ...) وفيها الإصلاحات الجديدة في المجال العسكري اعتباراً من ١٧٨١م .

٨ ـ دفاتر مقاولة نامة (٧) :

عددها ٢٦ دفتراً فيما بين ١٢٧٣ — ١٣٤١هـ (١٨٥٦ — ١٩٢٢م) وتضم العقود والاتفاقات المعقودة مع الأشخاص والمؤسسات في مختلف المجالات .

٩ ـ دفاتر مهمة مكتوم(٨) :

عددها ١٠ دفاتر فيما بين ١٢٠٣ — ١٢٩٤هـ (١٧٨٨ — ١٨٧٧م) وتضم الأحكام الهامة التي لها صفة سرية .

١٠ ـ دفاتر مهمة مصر ومكتومي(٩) :

عددها ١٥ دفتراً فيما بين ١١١٩ — ١٣٣٣هـ (١٨٤٠ — ١٩١٤م) وتضم الأحكام المختلفة الصادرة في المسألة المصرية .

١١ ـ دفاتر نفي وقصاص :

عددها ١٠ دفاتر فيما بين ١٢٥٦ — ١٣٢٧هـ (١٨٤٠ — ١٩٠٩م) .

١٢ ـ دفاتر توزيعات وذخائر وأصناف[١٠] واحتساب[١١] :

عددها ٣٣ دفتراً فيما بين ١٢٠٧ — ١٢٥٣هـ (١٧٩٣ — ١٨٣٦م) وتضم الأحكام والأوامر الصادرة في هذه المواضيع .

١٣ ـ دفاتر امتياز :

عددها ٥ دفاتر فيما بين ١٢٨٦ — ١٣٣٤هـ (١٨٦٩ — ١٩١٥م) وتضم الامتيازات الممنوحة من قبل الدولة .

١٤ ـ دفاتر مقتضى :

عددها ٣٥ دفتراً فيما بين ١٢٨٢ — ١٣٣٠هـ (١٨٦٥ — ١٩١١م) وتضم المطالعات والملاحظات الناتجة عن بحث الأسباب والمقتضيات والنواحي القانونية للحكم أو القرار الصادر عن ديوان همايون .

١٥ ـ دفاتر قلعة بند[١٢] :

عددها ٤٤ دفتراً فيما بين ١١٣٥ — ١١٤٧هـ (١٧٢٢ — ١٧٣٤م) وتضم العقوبات في الإقامة الجبرية في القلاع والنفي وهي تتمة دفاتر النفي والقصاص .

١٦ ـ دفاتر أحكام :

من حيث المحتوى تشبه دفاتر شكايات إلا أنها منظمة حسب الآيات القرآنية وهي على أقسام :

- دفاتر أناضول وعددها ١٨٥ دفتراً فيما بين ١١٥٥ – ١٣٠٦هـ (١٧٤٣ – ١٨٨٨م) .
- دفاتر رسيواس وعددها ٣٦ دفتراً فيما بين ١١٥٥ – ١٣٢٦هـ (١٧٤٣–١٩٠٨م) .
- دفاتر طرابيزون وعددها ٨ دفاتر فيما بين ١١٥٥ – ١٣٢٩هـ (١٧٤٣ – ١٩١١م) .
- دفاتر ديار بكر وعددها ٩ دفاتر فيما بين ١١٥٥ – ١٢٩٢هـ (١٧٤٢ – ١٨٧٥م) .
- دفاتر شام شريف وعددها ٩ دفاتر فيما بين ١١٥٥ – ١٣٢٦هـ (١٧٤٢ – ١٩٠٨م) .
- دفاتر أضنه وعددها ٩ دفاتر أيضاً فيما بين ١١٥٥ – ١٢٩٥هـ (١٧٤٢ – ١٨٧٨م) .
- دفاتر قرمان وعددها ٣٩ دفتراً فيما بين ١١٥٥ – ١٢٩٥هـ (١٧٤٢ – ١٨٧٨م) .
- دفاتر حلب وعددها ٩ دفاتر فيما بين ١١٥٥ – ١٢٦٦هـ (١٧٤٢ – ١٨٤٩م) .
- دفاتر أرضروم وعددها ١٩ دفتراً فيما بين ١١٥٥ – ١٢٩٦هـ (١٧٤٢ – ١٨٧٨م) .
- دفاتر مرعش وعددها ٦ دفاتر فيما بين ١١٥٥ – ١٢٩٤هـ (١٧٤٢ – ١٨٧٧م) .
- دفاتر جزائر ورقـة وعددها ٢٥ دفتراً فيما بين ١١٥٩ – ١٣٠٨م (١٧٤٦ – ١٨٩٠م) .
- دفاتر روم إيلي وعددها ٨٥ دفتراً فيما بين ١١٥٥ – ١٣٢٦هـ (١٧٤٢ – ١٩٠٨م) .
- دفاتر أوزي وسلسترة وعددها ٤٩ دفتراً فيما بين ١١٥٥ – ١٢٩٤هـ (١٧٤٣ – ١٨٧٧م) .
- دفاتر استنبول وعددها ٢٦ دفتراً فيما بين ١١٥٥ – ١٣٢٨هـ (١٧٤٢ – ١٩١٠م) .
- دفاتر بوسنه وعددها ٩ دفاتر فيما بين ١١٥٥ – ١٢٨٤هـ (١٧٤٢ – ١٨٦٧م) .
- دفاتر مورا وعددها ٢١ دفتراً فيما بين ١١٢٨ – ١٢٥٥هـ (١٧١٥ – ١٨٣٩م) .

١٧ ـ دفاتر إذن سفينة :

عددها ١٠ دفاتر فيما بين ١١٩٤ — ١٢٦٠هـ (١٧٨٠ — ١٨٤٤م) وتضم الأحكام الصادرة في سير السفن التجارية المحلية والأجنبية وعبورها من المضايق العثمانية .

١٨ ـ دفاتر حضرية :

عددها ١٦ دفتراً فيما بين ٩٨٣ — ١٢٦٠هـ (١٥٢٥ — ١٨٤٤م) وتضم المخصصات المالية للتكايا والزوايا في الدولة العثمانية .

١٩ ـ دفاتر توجيهات ملكية :

عددها ٣ دفاتر فيما بين ١٢٨٠ — ١٣٣٠هـ (١٨٦٣ — ١٩١١م) وتضم توجيه وظائف في الشئون الإدارية للبلاد .

٢٠ ـ دفاتر الكنائس :

عددها ٧ دفاتر فيما بين ١٢٨٦ — ١٣٤٠هـ (١٨٦٩ — ١٩٢١م) وتضم المسائل المتعلقة بإنشاء وتعمير الكنائس والمدارس ودور الأيتام وربط ذلك برخصة رسمية .

٢١ ـ دفاتر شهبندر(١٣) :

عددها ٣ دفاتر فيما بين ١٢١٧ — ١٣٣٠هـ (١٨٠٢ — ١٩١١م) وتضم تعيين ملحقين تجاريين في الدول الأجنبية لحماية المصالح التجارية للدولة والشعب .

٢٢ ـ دفاتر نيشان (١٤) :

عددها ٤٤ دفتراً فيما بين ١٢٦٢ — ١٣٣٧هـ (١٨٤٥ — ١٩١٨م) وتضم منح النياشين والأوسمة المختلفة للأشخاص .

٢٣ ـ دفاتر تقاعد :

عددها ٣ دفاتر فيما بين ١٢٩٧ — ١٣٣٠هـ (١٨٧٩ — ١٩١٨م) وتضم معاملات وقيود إحالة الموظفين إلى التقاعد .

٢٤ ـ دفاتر الذميين :

عددها ١٧ دفتراً فيما بين ١٢٣٦ — ١٣٣٣هـ (١٨٢٠ — ١٩١٤م) وتضم الأحكام الخاصة بحقوق الذميين وامتيازاتهم ومعاملاتهم .

٢٥ ـ دفاتر دول أجنبية :

عددها ١٠٧ دفاتر فيما بين ٩٧٥ — ١٣٣٢هـ (١٥٦٧ — ١٩١٣م) . وتضم علاقات الدولة العثمانية مع الدول الأجنبية من عقد معاهدات ومنح أوسمة وتبادل قنصليات وما إلى ذلك .

٢٦ ـ دفاتر مسائل مختلفة ومتنوعة :

عددها ٨٧ دفتراً فيما بين ٨١٥ — ١٣٢٦هـ (١٤١٢ — ١٩٠٨م) .

٢٧ ـ دفاتر رؤوس :

عددها ٢٦١ دفتراً فيما بين ١١١٦ — ١٣٢١هـ (١٧٠٤ — ١٩٠٣م) فيها تسجيل المعاشات والرواتب للموظفين ما عدا الوزراء والولاة وأمراء الألوية وأصحاب المقاطعات .

٢٨ ـ دفاتر تحويل :

عددها ٨٥ دفتراً فيما بين ١٠٢٤ — ١٣١٥هـ (١٦١٥ — ١٨٩٧م) تضم المسائل المتعلقة بتعيين القضاة والوزراء والولاة وأمراء الألوية ومنح مقاطعات محلولة .

٢٩ ـ دفاتر واردات وصادرات ديوان همايون :

عددها ٥٩ دفتراً فيما بين ١٢٩٠ — ١٣٤١هـ (١٨٧٣ — ١٩٢٢م) فيها قيد وتسجيل الأوراق الواردة إلى ديوان همايون والصادرة منه .

٣٠ ـ دفاتر ألقاب وسجلات موظفي ديوان همايون :

وهذه الدفاتر لأواخر العهد العثماني، كما أن هناك دفاتر أخرى تحمل عناوين مقاولات وخلاصة المقاولات والتنظيمات والنظامات وآل عثمان .

أوراق ديوان همايون

معظم هذه الأوراق عائدة للقرن الثامن عشر وما بعده أما الأوراق العائدة لما قبل القرن الثامن عشر فلم يمكن العثور إلا على مقدار ضئيل منها، وفيما يلي نذكر أهم مجموعات الوثائق المعروضة للبحث والتدقيق في أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول :

١ — النسخ الأصلية لجميع المعاهدات والاتفاقيات المعقودة مع الدول الأجنبية فيما بين ١٧٩٧ — ١٩٢٠م وهي منظمة على حسب أسماء الدولة وتواريخ عقدها .

٢ — كارتونات مقاولة نامه، وهي النسخ الأصلية لدفاتر مقاولة نامه .

٣ – كارتونات نامه، تضم النسخ الأصلية لرسائل السلاطين العثمانيين فيما بين ١٨٤٠ – ١٩١٢م وتشكل ٩ ملفات ولكنها غير معروضة للبحث والدراسة .

٤ – أوراق صندوق نامه، تضم وثائق تتعلق ببعض مسائل خارجية هامة لم تدون في دفاتر نامه همايون وبينها نسخ أصلية لبعض اتفاقيات معقودة فيما بين ١٧٩١ – ١٨٣٨م وتشكل ٣٨ ملفاً .

٥ – أوراق ديوان همايون القديمة والحديثة، وهي عائدة للقرن التاسع عشر .

٦ – أوراق خاصة بمسائل مختلفة، منها جبل لبنان وشام شريف ومصر وروم إيلي الشرقية وغير ذلك .

وهناك عدد كبير جداً من الأوراق العائدة لديوان همايون إلا أن أعمال التصنيف لا تزال مستمرة فيها .

دفاتر باب آصفي

الباب الآصفي هو مقر الصدر الأعظم في الدولة العثمانية واعتباراً من أواخر القرن الثامن عشر درج إطلاق اسم "الباب العالي" عليه وعرف بذلك بعد هذا التاريخ، وأهم الدفاتر العائدة للباب الآصفي هي كما يلي :

١ ـ دفاتر بيورولدو وعلم خبر(١٥) :

عددها ٨ دفاتر فيما بين ١٢٢٦ – ١٣٣١هـ (١٨١١ – ١٩١٢م) وتضم الأوامر الصادرة من الصدارة والمصدقات .

٢ ـ دفاتر قيد إرادة :

مجموعة من الدفاتر تتعلق بتسجيل الإرادات السنية للسلاطين اعتباراً من ١٢٥٥هـ (١٨٣٩م) حتى نهاية الدولة العثمانية .

٣ ـ دفاتر عينيات :

عددها ١٥٦١ دفتراً فيما بين ١٢٢٧ — ١٢٩٦هـ (١٨١٢ — ١٨٧٨م) وتضم صور التحريرات من كتب ومذكرات صادرة من الصدارة إلى الدول الأجنبية والولايات والدوائر الأخرى .

٤ ـ دفاتر أوراق واردة وصادرة :

عددها ١٠٤٥ دفتراً فيما بين ١٢٦٠ — ١٣٤١هـ (١٨٤٤ — ١٩٢٢م) فيها تسجيل المحررات المتبادلة بين الصدارة وبين الدوائر الأخرى للدولة .

وهناك دفاتر أخرى لباب آصفي لا تزال أعمال التصنيف مستمرة فيها .

أوراق باب آصفي

أعمال التصنيف لا تزال مستمرة في هذا القسم ايضاً، وفيما يلي مجموعات الأوراق العائدة للباب الآصفي :

١ — **مضبطات مجلس وكلاء** : تشكل ٢٢٤ ملفاً فيما بين ١٣٠٢ — ١٣٤١هـ (١٨٨٥ — ١٩٢٢م) وتضم قرارات مجلس الوزراء في ذلك العهد المؤلف من الصدر الأعظم والنظار أو الوكلاء (الوزراء) وشيخ الإسلام .

٢– **ملفات مضبطة وإرادة سنية** : تشــكل ١٧ ملفاً فيما بين ١٢٩٨ – ١٣٣٣هـ .

٣ – **مسودات إرادات سنية وتذاكر رسمية ومضابط** : تشكل ٤٧ ملفاً فيما بين ١٣٣٤ – ١٣٤١هـ .

٤ – **تذاكر خصوصية** : تشكل ٨ ملفات فيما بين ١٣٣٤ – ١٣٤١هـ .

٥ – **مسودات تذاكر معروضة** : تشكل ملفين لعام ١٣٣٣هـ .

٦ – **ملفات تذاكر سامية** : تشكل ١١٨ ملفــاً فيما بين ١٣٠٥ – ١٣١٤هـ .

٧ – **وثائق مكتب آمدي (الكاتب الأول للصدر الأعظم)** : تشكل عدة ملفات ورزم تجري فيها أعمال التصنيف .

٨ – **أرشيف غرفة أوراق باب عالي** : إن غرفة أوراق الباب العالي من أهم دوائر الصدارة وتم تأسيسها بقانون صادر في ٢٤ شوال ١٢٧٧هـ المصادف ٥مايو ١٨٦١م وتضم حوالي ٣٥٤,٠٠٠ وثيقة، وجاء تصنيفها في أربع مجموعات رئيسية :

أ) **القسم الإداري** : وأهم المسائل التي تتعلق بها وثائق هذا القسم هي الشئون البحرية والصحية والأمنية والإعمارية وأصول المخابرات والتقسيمات الإدارية والاحتكارات والتهريب والأسلحة والمواد المشتعلة والمناقصات والتجارة والصناعة والجمعيات واستخدام الأجانب في الوظائف الرسمية والمعارض والبلديات والضرائب والرسوم والزراعة والدرك والشرطة والجهاز العدلي والجمارك والمعارف والمهاجرين وإسكان العشائر والجوازات والمؤتمرات وغيرها من الأمور الإدارية .

ب) **القسم السياسي** : وأهم المواضيع التي تتعلق بها وثائق هذا القسم هي أرض فلسطين والمضايق وجبل لبنان والخطة العراقية والخطة الحجازية ومصر والمشاغبون والهاربون والجمعيات التخريبية والمنظمات السياسية والاجتماعية والمطبوعات والمذاهب والدول الأجنبية وإيران وحكومات آسيا الوسطى مثل بخارى وأفغانستان وما إلى غير ذلك من مواضيع سياسية .

ج) **قسم الحقوق** : ويضم هذا القسم وثائق تتعلق بالولايات العثمانية من استانبول إلى اليمن والبصرة وبغداد وبيروت وغيرها .

د) **قسم متنوعات** : ويضم هذا القسم تعيين موظفين وفصلهم وعزلهم عن مناصبهم أو ترفيعهم والشئون الخاصة بهم والزلازل والفيضانات والآفات السماوية والحرائق وغيرها من مختلف الشئون .

ما يجب توفره فيمن يتقدم للبحث والتدقيق في أرشيف رئاسة الوزراء

التركي يقدم طلباً إلى المديرية العامة للأرشيف أو إلى رئاسة الوزراء ، ويذكر في طلبه موضوع بحثه والفترة التاريخية له والسبب الذي حمله على القيام بمثل هذا البحث، وإن كان يريد الحصول على صور أو ميكروفيلم عن الوثائق الخاصة بموضوع بحثه فيذكر ذلك في طلبه . أما مدة البحث بالنسبة للباحث التركي فغير محدودة .

والباحث الأجنبي يقدم طلبه عن طريق السلك الدبلوماسي وينتظر موافقة رئاسة الوزراء عليه وتتم الموافقة لمدة محدودة بين ٣ أشهر وسنة واحدة، وعليه

تقديم طلب آخر في ختام هذه المدة حتى لو أراد الاستمرار في موضوع بحثه السابق .

ويحق لكل من الباحث التركي والأجنبي الحصول على مائة صورة أو مكروفيلم عن الوثائق الخاصة بموضوع بحثه، وللحصول على أكثر من ذلك يجب موافقة رئاسة الوزراء، والطريقة المتبعة في ذلك هي تثبيت الوثائق من حيث العدد والموضوع والفترة التاريخية أولاً ثم طلب صور أو ميكروفيلم عنها، والطلب الإجمالي أي الذي لا يعتمد على مثل هذا التثبيت لا يعتد به عادة .

دكتور عثمان زكي صويغت – استنبول

الهوامش

١ – المجلس السلطاني الذي كان ينظر في شئون الدولة والدعاوى والشكايات المقدمة من قبل الشعب ويحلها ويحضر فيه الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) وشيخ الإسلام وقاضي عسكر ودفتردار (وكيل المالية) وغيرهم من كبار رجال الدولة .

٢ – آصف هو وزير النبي سليمان عليه السلام ويقصد به مقر الصدر الأعظم .

٣ – الشئون المالية .

٤ – رسائل السلطان .

٥ – النظام العسكري .

٦ – الشكاوى القديمة وركاب الجيش .

٧ – العقود والاتفاقات .

٨ – المهمات السرية .

٩ – المسألة المصرية والأحكام السرية الخاصة بها .

١٠ – أرباب التجارة والمهن الحرة .

١١ – الشئون البلدية .

١٢ – المفروض عليه إقامة جبرية في إحدى القلاع .

١٣ – كلمة فارسية بمعنى القنصل .

١٤ – كلمة فارسية بمعنى الوسام .

١٥ – بيورولدو كلمة تركية يقصد بها الأمر الصادر عن مقام الصدارة، وذلك للتفريق بين الأوامر الصادرة من السلطان والصدر الأعظم .